الدكتور
علي شريعتي

التشيع العلوي والتشيع الصفوي

تقديم
الدكتور إبراهيم دسوقي شتا

التشيّع العلوي

والتشيّع الصفوي


بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة الآثار الكاملة ـ ٤ ـ

التشيّع العلــوي والتشيّع الصفوي

الشهيد الدكتور علي شريعتي

ترجمة

الأستاذ حيدر مجيد

تقديم

الدكتور إبراهيم دسوقي شتا



إسم الكتـاب : التشيّع العلوي والتشيّع الصفوي

إسم المؤلــف : د. علي شريعتي

إسم المترجم : حيدر مجيد

تقديـــــــم : د. إبراهيم دسوقي شتا

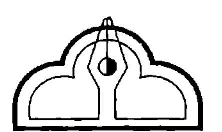
تصميم الغلاف : بشير محمد

الترقيم الدولي : ISBN 978-9953-494-05-0

الطبعة الأولى : ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

الطبعة الثانية : ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م
(بعد تدمير الدار خلال حرب تموز ٢٠٠٦ م)

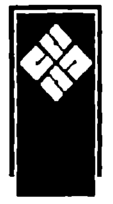
الناشــــــر : دار الأمير للثقافة والعلوم ش.م.م



دار الأمير للثقافة والعلوم
مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر - بيروت - لبنان

تلفاكس: 49 64 27 1 961+
ص.ب: 113/5551 الحمرا - بيروت - لبنان

Website: //http:/www.daralameer.com
E-mail: daralameer@daralameer.com



مؤسسة نشر آثار
الدكتور علي شريعتي

تلفاكس: 2232729 21 98+
ص.ب: 6516-19395 طهران
www.shariati.com

وتستمر دار الأمير ...

إذا كانت مسؤولية المثقف تجاه أمته وتحديات لحظتها التاريخية هي الهم والرسالة التي حملها علي شريعتي، فإن نشر فكر الوعي الحضاري بدوره مسؤولية، إذ كيف يصل هذا الفكر للناس دون ناشر مسؤول؛ يعطيه العناية ويكفل أن يظل هذا الزاد الثقافي حاضراً في الوعي؛ متاحاً للأجيال لتنهل منه في صياغتها لرؤى التجديد والنهضة وتستثمره في حركة التغيير وصناعة المستقبل.

وقد وعت دار الأمير هذه المسؤولية منذ تأسيسها عام ١٩٩١م، وحملتها بأمانة، وتحملت تبعاتها المادية والمعنوية في مواجهة حسابات السوق وفكر الجمود، ورغم الدمار الكُلّي الذي لحق بالدار في حرب تموز ٢٠٠٦م، والذي كان أول ضحاياها كتب علي شريعتي التي أحرقتها صواريخ الهمجية الصهيونية؛ حين دكّت مقرّ دار الأمير في بيروت ومعرض الدار في بنت جبيل، فإن إرادة البقاء وعزيمة الإنتصار بقيت متوهجة، وها هي دار الأمير تستأنف دورها ونضالها بعد أشهرٍ معدودةٍ من العدوان، وتقدم من جديد فكر شريعتي في إخراج متميز، وتنهض من بين الركام مستعيدة دورها المسؤول في نشر ثقافة العودة إلى الذات، والنهضة، والمقاومة في مسيرة الفلاح التي شعارها: **إلهي علمني كيف أحيا..، أمَّا كيف أموت، فإني سأعرفه**. والحمد لله الذي نصر عبده.

محمد حسين بزي

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

خمسةٌ وعشرون عاماً مرّت على استشهاد علي شريعتي . . .

ربع **قرن** وقبله ما يساويه، . . نصف قرن، . . ولم ينته الصراع بعد . . لا أريد أن أُعرّف بالرجل؛ ولكن هناك أمور يجب التركيز عليها . .

حُلمان . .

حلمٌ طالما راود الشاه وقد كفاه «السافاك»[1] تحقيقه عام ١٩٧٧م، فبعد وصوله لندن بشهر واحد تحقق حلمٌ كبيرٌ من أحلامه الشيطانية . . «قُتل المُعلّم»[2].

الحلم الثاني للطاغية لم يتحقق: **«سيظل هؤلاء الجلادون**

---

(١) السافاك: جهاز الإستخبارات الإيراني زمن الشاه، وكان من أخطر وأبشع الأجهزة القمعية على مستوى العالم.

(٢) هذا اللقب رافق الدكتور شريعتي من بدايات الثورة أواسط الستينات حيث كان يُدرّس في جامعة مشهد، ثم في جامعة طهران، وبعد تأسيس حسينية إرشاد عام ١٩٦٩م، تأصل هذا اللقب للدكتور شريعتي وظل مرافقاً له حتى استشهاده؛ وإلى يومنا هذا ما زال يُعبّر عنه بين مريديه باسم «المُعلّم».

يتحسرون على سماع كلمة آه مني»[1] . . . مات الطاغية وازداد المُعلّم في موته حياة وكل يوم يمر؛ تضاعف ذكره وفكره الأيام **«والمبدعون مناياهم تضاعفهم فكلما قلَّ من أعمارهم كثروا»**[2] .

بهذا الإصرار ـ البصيرة ـ كان يخاطب شريعتي الملايين من جيل الشباب ـ «جيل الثورة» ـ وبهذه الروح الشفافة كان يطلق آراءه: الوعي ـ العودة إلى الذات ـ النقد التاريخي ـ رفض الموروث القائم على الخرافات والتسطيح للإسلام والعقول ـ الكفاح من اجل فلاح الإنسان ومقاومة «اغواء» الرأسمالية من جانب و«اغراء» الماركسية من جانب آخر، والانتقال بجيل الشباب إلى النبع الصافي للإسلام الأصيل، بهذا كله كان يخاطب شريعتي طلابه وجمهوره واستطاع إلى جانب الشهيد مطهري والشهيد بهشتي وغيرهم، أن يؤصل هذا الفكر النيّر في عقول ونفوس الشباب، وكيف لا، وهم جيل الثورة وعصبها. . جيل الغد الذي طالما عمل شريعتي أن يكون ناهضاً ومشرقاً. .

ولكن ما ميّز شريعتي عن سواه، هو الإلتفاف الهائل من جيل الشباب حول محاضراته وندواته؛ حيث كان يعتبره الجميع بشكل أو بآخر «مُعلّم الثورة»، ومنهم الكثير، اليوم بالذات، من يشغل مناصب ومراكز مرموقة في إيران ممن يعتبرون شريعتي أستاذهم ولو بمرحلة من مراحل حياتهم، وحتى الذين حاربوه من أصحاب

---

(١) هذه الكلمة أطلقها شريعتي من سجنه بعد إغلاق حسينية إرشاد.

(٢) من قصيدة للسيد محمد حسن الأمين في رثاء الشاعر محمد مهدي الجواهري، مجلة القصب ـ العدد ١١ ـ السنة الثالثة ـ ص ٢١..

العقول المتحجّرة عن قصد أو غير قصد، فإن من الصعوبة بمكان أن ينكروا فضله على هذا الجيل في تلك المرحلة، حتى حين كان جهاز «السافاك» وأعوانه يلجأون إلى تزوير بعض كتبه وتحريفها (بهدف إثارة رجال الدين ضده)، كانوا يطبعون من مليون إلى ثلاثة ملايين نسخة من كل كتاب لتوزيعه مجاناً، وهذا يدل على مدى انتشار آرائه وأفكاره آنذاك.

وهنا لا بدّ أن نشير إلى أن بعض أعمال شريعتي تُرجمت في مراحل الثورة المختلفة إلى أكثر من عشر لغات حيّة، وعلى هذا، وانطلاقاً مما تقدم، أخذت **دار الأمير** على عاتقها تعريب تراث هذا المُفكّر المسؤول ضمن مشروع «الآثار الكاملة» والتي تصل إلى أكثر من ستين عملاً فكرياً، لما تراه من حاجة ماسة تلبيها هذه الأعمال، والتي بعضها بحاجة إلى تدقيق واعادة نظر، فهي ليست كتاباً منزلاً، وهذا ما كان شريعتي يقوله عن نفسه وكتبه. ولكنهم بدل أن يحاوروه خوّنوه، حتى وصل بهم الأمر إلى اتهامه بالانحراف، فدائماً (ومن شديد أسف)، التهم جاهزة، خاصة عند اصطدام المصالح، ولو كانت على حساب الدين والعلم، وهنا لا بدَّ لي؛ ومن باب الأمانة العلمية، أن أشير إلى أن بعض هذه الأعمال هي أصلاً محاضرات مسجلة على «كاسيت» وقد قام الأخوة المترجمون بتفريغها وتنسيقها موضوعياً، ولا يخفى على متتبع أن التأليف شيء والمحاضرة والخطابة شيء آخر، فيرجى أخذ الأمور على محاملها الحسنة، فشريعتي لم تسعفه الحياة لإعادة النظر في الكثير من أعماله، فقد استشهد ولم يبلغ الستة والأربعين من العمر، وهناك سنوات قضاها

قابعاً في غياهب السجون، وهو نفسه كان قد صرّح أمام الكثير من العلماء والمفكرين، ومنهم ما زال على قيد الحياة أمثال **المؤرخ السيد حسن الأمين**[1] أطال الله بعمره، صرّح أمامه أن هناك بعض الأمور التي جاءت في بعض كتبه ومحاضراته خاصة التاريخية والعقائدية بحاجة إلى إعادة نظر وتدقيق، وانه سيقوم بذلك، ولكن الموت كان أسرع، وعندما كان الشهيد في أواخر أيامه وقد احسّ بدنو أجله خاصة في الرسالة الأخيرة التي أرسلها لنجله والموجود جزء منها في هذا الكتاب، كان قد طلب من بعض أقرانه ومنهم الشهيد مطهري؛ ومنهم من هو على قيد الحياة اليوم، أن يقوموا بتصويب هذه الأمور، خاصة المجموعة في كتب وهي في الأساس كانت مجموعة محاضرات، فالبعض حصل والبعض حتى الآن لم يحصل. لهذا نستميح القارىء عذراً إذا وقع بعض ما تقدم، فنحن في مشروع طويل وشاق، وإننا في **دار الأمير** على أتم الإستعداد لنشر أي رد أو نقد، وفي موقعه من النشر، في طبعات أخرى أو حتى مستقلة، شرط أن يكون مبنياً على أساس علمي سليم، نسأل المولى العزيز التوفيق، والقارىء الكريم العذر عن أي تقصير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد حسين بزي

بيروت في ١٠/ ١٠/ ٢٠٠١م

(١) السيد حسن محسن الأمين مؤرخ جليل، وهو نجل الإمام السيد محسن الأمين العاملي «صاحب الأعيان»، للسيد حسن عشرات المؤلفات منها دائرة المعارف الإسلامية الشيعية وموسوعة مستدركات أعيان الشيعة.

علي شريعتي: حياة وفكر

بقلم الدكتور إبراهيم دسوقي شتا
أستاذ اللغات الشرقية
كلية الآداب ـــ جامعة القاهرة

لا شك في أن ثورة إيران الإسلامية أهم أحداث القرن الرابع عشر الهجري قاطبة إن لم تكن أهم الأحداث في تاريخنا المعاصر، بل إن الانتصار المحيّر لهذه الثورة سوف يكون مجال بحث وأخذ ورد ونقاش مستمر بين الباحثين في العالم، ذلك أنه ـ وربما لأول مرة في التاريخ ـ تقف أمة مستضعفة خالية الأيدي مفتوحة الصدور إلا من سلاح واحد تملكه، وهو الإيمان في وجه قوى طاغوتية، وتقف وتصمد ولا تبخل ببذل الروح والدم حتى تجندل في النهاية كل القوى الطاغوتية، وتُلقي بها في مزبلة التاريخ، وهذا في حد ذاته يثبت أن سلاح الإيمان غير قابل للهزيمة، ويبرهن تماماً إلى أي حد تستطيع البلاد الإسلامية أن تستفيد من هذا السلاح القديم الجديد، الخفي والمتروك، لكنه كالنار تحت الرماد يومض ويحيا في قلب الأمة.

هذا الأصل الإسلامي للثورة، أي الأفكار الإسلامية التي فجرت الثورة وفي الوقت نفسه فجّرتها الثورة فتحولت من خلالها إلى قوى حية وفعالة، هو بلا جدال أهم أصول الثورة، لأنه مهما

قيل عن اتجاهات الثورة، ومهما كان الهجوم الذي تتعرض له من عدو حاقد أو منافق مشفق أو مدّعي أخوّة لكي يشوه من وجه الثورة، فإن الثورة الفكرية التي واكبت الثورة الفعلية سوف تبقى وتنتشر، ذلك أن تأثير مفكري الثورة «**علي شريعتي**» «**وآية الله الطالقاني**» «**وآية الله مطهري**» «**وغيرهم**» في نشر الفكر الثوري، وتحويل المبادىء إلى تيارات حية في قلب الأمة لا يقل تأثيراً إن لم يزد عن دور أولئك الذين بذلوا الأرواح.. في الميادين وإن كان علي شريعتي أبعد أثرا.. لقد كان الحاضر الغائب في ساحة الصدام، ذلك أنه كان قد استشهد قبل انفجار الثورة بعدة شهور.

ولد علي بن محمد تقي شريعتي في «مزينان» وهي قرية من قرى سنروار في منطقة خراسان تقع على حافة الصحراء الكبرى المعروفة باسم «دشت كوير» سنة ١٣١٢ هـ. ش [ديسمبر سنة ١٩٣٣م]، كان أبوه محمد تقي شريعتي من كبار المفكرين والمجاهدين الإسلاميين، أسس في مدينة مشهد بالاشتراك مع عدد من رجال الدين المناضلين «مركز الحقائق الإسلامية» (كانون حقايق إسلامي)، وقام بنشاط واسع في تنقية أصول التشيع مما علق بها عبر القرون من (الدخيل) والخُرافة.. كما قام بتوعية الجماهير بالدور الحقيقي للدين في المجتمع، وفي مثل هذه البيئة، وفي كنف مثل هذا الأب شبَّ (علي شريعتي)، مهتماً منذ طفولته بقضايا الدين والأمراض المنتشرة في المجتمع، مدركاً أن مبادىء الدين الموجودة في الكتب التي تُدرّس شيء، وتلك الشعائر التي يمارسها الناس شيء آخر، أمّا التشيع الحقيقي فهو شيء ثالث مختلف تماماً، وبالرغم من اكتشافه هذه الحقيقة في سن صغيرة،

لم يقم كما قام غيره بالفرار من الدين والنفور منه ونبذه ظهريا. . كان يرى أن الدين في حاجة إلى ثورة تقوم بتحويله من عامل ضعف وخمول إلى عامل قوة وطاقة وحياة.

إلى جوار ذلك لم يعكف شريعتي على البحث المُجرّد فحسب، بل انضم إلى جناح الشباب في الجبهة الوطنية وهو لم يزل بعد صبياً، وبعد سقوط **مصدق** انضم إلى حركة المقاومة التي أسسها **آية الله زنجاني وآية الله طالقاني ومهدي بازركان**، وعندما ضربت بعنف سجن شريعتي ستة أشهر ولم يكن قد تخرج بعد من كلية الآداب (سنة ١٩٥٨) وعندما تخرّج من الجامعة من كلية الآداب بدرجة الإمتياز في السنة التالية برغم كل هذه الظروف، أُرسل في بعثة إلى فرنسا (سنة ١٩٥٩).

وتُعد سنوات فرنسا من أكثر السنوات خصباً في حياة شريعتي القصيرة العريضة، كان شاباً ذا ضمير طاهر ذكيا يقظ القلب، مسلماً حقيقياً يعرف تماماً قيمة كونه مسلماً حقيقياً، عرف تراثه جيداً، وحمل معه زاداً غنياً وفياضاً وقيماً من الثقافة الإسلامية، وبالتالي لم يتعرض شريعتي لتلك الصدمة التي يتعرض لها المبعوثون من العالم الفقير المستضعف عندما يتعاملون مع العالم الغني المستكبر لأول مرة، فتكون نتيجتها أن «يتغربوا» و «يفرغوا من الداخل» و«يتشبهوا» دون مقاومة. لم يحس بنفسه قط «كمسلم» ضئيلاً أو صغيراً أو متخلفاً أمام الجبروت الغربي، لم يفقد شخصيته الإسلامية وذاته الحقيقية، بل على العكس كانت فرصته سانحة لكي يعرف شريعتي عن قرب حقيقة الحضارة الأوروبية، والشخصية الغربية وكبرياءها وغرورها، ووسائل الاستعمار الجديد، وسياسة السلب والنهب

والتسلل وطحن الإنسان. وعلى أساس من هذا الفهم وضع شريعتي أهم نظرية في فكرة الحي الثوري، وهي نظرية العودة إلى الذات، ومرة أخرى وبعد ما يقرب من مائة سنة من **السيد جمال الدين الأفغاني والكواكبي ومحمد عبده**، يثبت علي بن محمد شريعتي أن المسلم الصادق المؤمن، العارف بأصول الفكر الإسلامي، والمتفهم للإسلام جيداً، لا يمكن أن يحوّل وجهه عن الإسلام أو أن يرضى عنه بديلاً. وإن الحضارة الغربية مهما كانت «عالمية» ومسيطرة ومتسلطة لا يمكن أن تصلح للمسلم الحقيقي، بل إن المسلم الحقيقي يستطيع أن يدرك نقاط الضعف في الحضارة الغربية وأن يستغلها لصالح الإسلام، على الأقل عندما يقوم بمقارنة هذا الذي يُقدّم على أنه «الحل الأخير» بما جاء به الإسلام منذ أربعة عشر قرناً من الزمان. وهكذا فعل شريعتي عندما اختار علم الاجتماع الديني ميداناً لتخصصه، وكأنه كان يستشرف المستقبل عندما رأى أن تلك الشعوب الإسلامية المقهورة، لن تتحرك إلا بالدين، ولن تنجو إلا بالإسلام. فنال الدكتوراه في علم الاجتماع الديني، كما نال دكتوراه ثانية في تاريخ الإسلام. وفي فرنسا واصل نشاطه السياسي، فأسس فرع أوروبا **لحركة تحرير إيران** التي أنشأها بازركان وطالقاني سنة (١٩٦١)م، وشارك مشاركة فعالة في دعم الثورة الجزائرية، وتعرف على مناضلي العالم الثالث من أمثال **إيما سيزار وفرانز فانون** الذي قام بنقل جزء من كتاب «معذبو الأرض» إلى اللغة الفارسية، كما سجن في فرنسا لمدة ثلاثة أيام، إذ كان ضمن المقبوض عليهم خلال المظاهرات التي اندلعت في فرنسا احتجاجاً على مصرع **لومومبا**.

وفي منتصف الستينات عاد شريعتي إلى إيران، وعلى الحدود

ألقي القبض عليه، ثم أطلق سراحه بعد فترة، عُيِّن مدرساً بجامعة مشهد. حسناً: كان شريعتي يستطيع آنذاك أن يكون أستاذاً مثل بقية الأساتذة، مفكراً مزيفاً ومفرغاً من الداخل، وناقداً وعالماً بالغرب، ودليلاً متطوعاً للتنوير والتغريب، ذا حيثية وأموال ووجه متألق في وسائل الإعلام، متحدثاً في كل محفل، وخطيباً لكل مجلس، لكن متى يمكن للمسؤول الملتزم ذي الهدف المحدد الواضح أن يكون أهلاً لهذه الأمور؟! عاد شريعتي وبدلاً من أن يقوم بترجمة «الوجود والعدم» لسارتر، ويشتهر كفيلسوف «وجودي» ترجم «سلمان الفارسي» لماسينيون. وبدلاً من أن يكتب عن أقطاب الغرب كتب عن «أبي ذر الغفاري». وبدلاً من أن يتحدث عن الأصول، التي لم تكن موجودة سوى في خيال الإعلام (الشاهنشاهي)، وفلاسفة الماركسية الشاهنشاهية المفسّرين لعهد «أعتاب الحضارة العظمى»، أخذ يلقي الدروس والمحاضرات العامة ذات الهدف التنويري الديني. وكم من الأحجار ألقاها في ذلك المستنقع الآسن الذي كان غائباً في نوم الغفلة، وفجأة خلال هذا الحلم (الشاهنشاهي) عن «حضارة الشاه العظمى» التي تقوم بإحياء عظام ملوك جاهلية إيران، يُعلن الشاب أن إيران لا تملك سوى حضارة الإسلام. لا علماء ولا شعراء، ولا فلاسفة، ولا أدباء فيها إلا أولئك الذين ينتسبون إلى الإسلام، ويصبح ذلك الشاب الذي يبلغ نيفاً وثلاثين سنة حجر عثرة، ليس بالنسبة للبلاط فحسب، بل بالنسبة لرجال الدين المنتسبين إلى البلاط «أولئك العمال الهواة للظلمة»، والذين كانوا يجاهدون في تلقين الناس «إسلاماً مزيفاً ضعيفاً متوائماً مع الطواغيت مؤدياً إلى النوم». . وكان صوت شريعتي مخلصاً،

عالماً، بعيد الغور، بسيطاً في نفس الوقت، بحيث كان عدد المشاركين في ندواته ومحاضراته لا يقل عن ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف مشترك، ولم يكن هناك بد سوى طرد الشاب «الخطر» من الجامعة ونقله إلى إحدى القرى النائية معلماً في المدارس الابتدائية. لكن «لا بأس»، إنه لم يفقد صفته كمُعلّم على كل حال، فلم يهن ولم يستسلم، والناس يقطعون الفيافي لكي يستمعوا إليه. فتستسلم السلطة وتنقله مدرساً في جامعة طهران، على الأقل لكي يكون تحت سمعها وبصرها قريباً من أعوانها وجواسيسها.

في سنة (١٩٦٩) كانت «حسينية الإرشاد» قد افتتحت لكي تكون مركز إشعاع إسلامي، ويركز فيها شريعتي كل نشاطه، ملقياً محاضرات منتظمة عن الإسلام وتاريخ التشيع، مصححاً من خلالها المفاهيم السائدة، ملقياً بثقل الإسلام عاملاً لشحذ الهمم والتعبئة الفكرية والسياسية في أوساط الشباب، ومؤسساً لخمس لجان للإشراف على النشاطات المتعددة: لجنة لتاريخ الإسلام ولجنة لتفسير القرآن، ولجنة للأدب والفن، ولجنة للغة العربية لتصحيح منابع التراث الشيعي، ولجنة للغة الإنجليزية لحمل رسالة الإسلام العالمية ونشرها. والتف حول حسينية الإرشاد جيل كامل من الشباب، نعم، لقد حول المجتمع كله إلى جامعة يلقي فيها دروسه ومحاضراته. ومرة أخرى أثبت شريعتي أنه هو نفس الأستاذ اليقظ الصامد. وملأ ذلك الرجل الفريد رسالته، وبأسلوب واضح ومفهوم استطاع أن يجعل من قضايا الإسلام قضايا يومية، وفي دروس معرفة الإسلام (إسلام مشناسي)، جلا الإسلام في ضوء بقية الأديان والمذاهب الفلسفية المعاصرة، وهيأ أرضية مناسبة

تماماً للثورة الفكرية، وطرح «التشيع العلوي» في مقابل «التشيع الصفوي التقليدي»، وصار وحده جيشاً يقاتل «التغرّب» و«التشبه» و«عبادة الشاه» و«المفكرين المزيفين»، ويقف بالمرصاد للعملاء في لباس رجال الدين ووعاظ السلاطين و«استغلال الدين ضد الدين».
وقامت عليه الدنيا وقعدت، فهو حيناً يتهم بأنه وهابي، وحيناً يتهم بأنه زنديق، وهو يقف لكل حملة مفنداً دعاويها، فاضحاً ما وراء أستارها. ولا تجد السلطة بدأ من إغلاق حسينية الإرشاد (سنة ١٩٧٣)، وتقوم بالقبض على شريعتي ووالده، ويبقى في السجن ثمانية عشر شهراً متعرضاً لصنوف العذاب، ويتدخل المسؤولون الجزائريون فيفرج عنه سنة (١٩٧٥) لكنه يوضع تحت المراقبة ويمنع من أي نشاط. وتسمح له السلطة ـ لأمر في نفسها ـ بالرحيل عن إيران في مايو سنة ١٩٧٧، ويسافر إلى لندن. وبعد شهر من إقامته في لندن يعثر عليه ميتاً، ميتة غامضة تعلن عنها السلطة أنها نوبة قلبية، والكل يعلم أنها من تلك النوبات المصطنعة التي دبّرتها السلطة عشرات المرات لأعدائها. ولا تسمح لجثمانه بأن يدفن في إيران، فينقل إلى دمشق ويدفن في الحرم الزينبي، شهيداً شاباً كشهداء الثورة الحسينية التي طالما اعتبرها نموذجاً يحتذى. ويترك لنا حوالى مائة وعشرين عملاً ما بين فلسفي وأدبي وتحريضي، لكنها كلها تتخذ من جذوة الإسلام القبس الذي يضيء الطريق أمام جماهير الشباب، وتؤدي إلى انخراط جيل كامل من الشباب في صفوف الحركة الإسلامية في إيران، ويكون في موته أكثر حياة وأكثر حضوراً.

ابراهيم دسوقي شتا

قالوا في شريعتي

الإمام السيّد علي الخامنئي(١)

أودّ هُنا أن أنقل لكم خاطرة جرت، عام ١٣٤٧ هـ ش (١٩٦٩م) أي في السنة الأخيرة من عمر جلال آل أحمد، حيث جاء المرحوم آل أحمد إلى مشهد، فجمعتنا وإيّاه جلسة مشتركة كان من حاضريها بالإضافة إلى آل أحمد المرحوم شريعتي وعدد من الأصدقاء. حين وصل الحديث إلى علماء الدين، وكان يعبّر عنهم يومذاك بالحوزة العلمية، التفت المرحوم آل أحمد إلى شريعتي متسائلاً لماذا تنتقد الحوزة العلمية بكثرة ولا تنتقد مثقفينا... هلمّ وانتقد مثقفينا أيضاً!

«أجاب المرحوم الدكتور شريعتي بجواب يمكن أن نتلمّس من خلاله حقيقة موقفه في التمييز بين «الروحانيين» كموقع وحالة،

(١) الولي الفقيه وقائدالجمهورية الإسلامية في إيران، وكان في أيام الثورة على معرفة وصلة بالدكتور شريعتي.

و«الروحانيين: علماء الدين» كأشخاص، قال: **ان سبب تأكيدي في نقد الحوزة العلمية، يعود إلى أننا ننتظر الكثير منها، بينما لا ننتظر شيئاً من نخب مثقفة ولدت في أحضان الثقافة الغربية. الحوزة العلمية قاعدة أصيلة نأمل منها أن تقدم الكثير، وحين تتخلّف عن العطاء في مقام العمل فإننا نمارس النقد»**.

استطيع القول أن شريعتي يمثل مرحلة، ولكن بهذا المعنى: لقد استطاع أن يطرح أفكاراً في المجتمع من خلال لغة واضحة وأن يبينها لذلك الجيل من خلال هيمنة خاصة على الثقافة السائدة بين أفراد ذلك الجيل.

وهذا لا يعني مطلقاً أن شريعتي لا يملك ابداعاً معيناً، وإنما كان له الكثير من الإبداع في المسائل الجديدة وهذا هو المعنى ـ الذي أعنيه ـ بأن شريعتي يمثل مرحلة مضت.

المرحلة التالية ـ لشريعتي ـ هي أن نأتي للقضايا التي طرحها انطلاقاً من فهمه للثقافة الإسلامية، ونعيد تأسيسها ومطابقتها في إطار أصول الرؤية الفلسفية (الكونية) للإسلام.

إن عملية إعادة البناء هذه ستتمخض في نظري عن مرحلة جديدة تكون مفيدة لجيلنا الحاضر وبتعبير آخر، إن ما نحتاج إليه هو أن نقرأ شريعتي إلى جوار مطهري.

فما ينتج من الجمع بين جمال (البيان) لشريعتي ومتانة الفكر الإسلامي وإحكامه لمطهري، هو بالضبط المرحلة الجديدة التي يحتاج إليها جيلنا الحالي.

إن الإطار التأسيسي الذي يجعل الدكتور شريعتي في إطار الروّاد الأوائل، يتمثل في قدرته البيانية الفائقة في إعادة طرح الإسلام بلغة حديثة تتناسب مع ثقافة الجيل يومذاك. وإذا كان الكثيرون ولجوا قبله هذا المجال، فإنَّ النجاح الذي حققه شريعتي لم يحققه سواه[١].

(١) مجلة الوحدة، العدد ١٦٢/ رجب ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ص ٣٦ ـ ٣٧.

الشهيد الدكتور محمد حسين بهشتي(١)

لقد أوجد الدكتور ـ علي شريعتي ـ طوال السنوات الحساسة ـ من عمر الثورة الإسلامية ـ جواً حماسياً مؤثراً، وكان له دور بنّاء في جذب الطاقات الشابة المتعلمة نحو الإسلام الأصيل، واجتذب قلوباً كثيرة نحو الثورة الإسلامية. وعلى الثورة والمجتمع أن يقدّران له ذلك الدور المؤثر.

كان الدكتور ـ علي شريعتي ـ **رجلاً عاملاً مجدّاً، لقد كان فناناً بحق، وهذا الجانب الفني يظهر في قلمه وكتاباته. كان يرغب حقاً أن توجد حركة وثورة اسلامية أصيلة في بلدنا بعيدة عن التأثر بثقافة الشرق والغرب، تقوم على أساس التعاليم الإسلامية، وكان يعشق تلك الفكرة.**

(١) إن السيد بهشتي كان أمة في رجل. من كلمة الإمام الخميني(قدس) في نعي الشهيد بهشتي.

كان يعير الجيل الشاب أهمية كبرىٰ، وكان يعرف معاناتهم وهمومهم، وقادر على بيانها. كان يشكل رصيداً قيماً، وكان باحث، وقد ارتكب بعض الأخطاء في استنتاجاته الإسلامية والإجتماعية، لا بد من ملاحظتها في كتاباته[١].

(١) من أجوبة الدكتور الشهيد بهشتي على أسئلة الطلبة الجامعيين حول الدكتور شريعتي، راجع كتاب: الدكتور شريعتي باحث على طريق الوصول، تأليف الشهيد بهشتي، دار البقعة، الطبعة الثانية ١٩٩٩.

آية الله السيّد محمود الطالقاني[1]

. . . ، جاء رجل إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام وهو مضطرب، فخاطب الإمام: يا ابن رسول الله هلكت. فسأله الإمام: وماذا حدث؟ فأجاب: إني شككت بوجود الله. فهدأ الإمام من روعه، وبدلاً من تكفيره أو طرده قال له: الله أكبر هذا أول اليقين، فالله الذي عرفته وعبدته من قبل كان صنيعة خيالك وأوهامك، كان صنماً صنعته أنت، ليكون آلة بيدك تستخدمها لصالحك. الآن شككت بذلك وحطمت ذلك الصنم، وقد بقي عليك أن تواصل طريق اليقين لتصل إلى الإيمان الصحيح. . .

هناك الكثيرون ممن يعبدون إلهاً كهذا، إنهم يحتاجونه كوسيلة للعيش والشفاء من الأمراض، وكبديل عن العمل والسعي والطب والعلم و. . . ، إن ذلك الإله هو تماماً كالصنم الذي تصنعه الأوهام والخيالات المريضة لبشر ضعفاء.

---

(١) أحد الرموز الكبار للثورة الإسلامية في إيران.

لا شك أيضاً بأن كثيرين يبدأون بالشك، ويبقون أسراه دون أن يستطيعوا الخلاص منه والعبور إلى اليقين. أما الشك الذي نتحدث عنه، فهو الذي يعتبر أول اليقين، ويعتبر حافزاً على البحث والدراسة الجادة، . . .

. . . إن المرحوم شريعتي، تميز بروح مستقصية شكاكة منذ بداية شبابه وأوائل عهده بالدراسة والتحصيل العلمي. كان يشك بكل شيء، حتى بدينه؛ فقد كان يشك بالدين السائد بين الناس، أي بذلك الإسلام الممسوخ، ذلك الإسلام الذي حُوّل إلى دكان للارتزاق، ووسيلة للاحتراف وتربية «المريدين». كان لا بد لشاب واع مثل شريعتي أن يبدأ بالشك، لكنه لم يبق أسير الشك.

بدأ بالدراسة، بحث في الأصول، قرأ في المناهل الأولى، فكر وتمعن في التفكير، هاجر في أرض الله الواسعة، والتقى بالناس في العالم، واحتك بمختلف المدارس والمناهج، فتوسعت آفاق فكره، حتى بلور مفهومه عن إسلام ثوري حيّ. . وعاد إلى وطنه حاملاً عبء الرسالة. إن هذا التحول والتطور إنما عاشه معظم شبابنا، ولكن ليس كل واحد منهم بشريعتي، ليستطيع أن يَعْبُر مخاض الشك والتردد فيصِل اليقين.

في ظل أكثر العهود إرهاباً وسواداً، حيث كان مجرد ذكر الإسلام الثوري، يعد أكبر جرم في نظر الطغاة، بدأ شريعتي مهمته، فكسب قلوب الشباب وبدأ بتغيير مفاهيمهم. فقد كان الشباب إما أسرى مناهج ومدارس فكرية أخرى، أو مبهورين وغير

واثقين من أنفسهم. إن علي شريعتي رسخ ثقة عميقة بين الشباب، ثقة بأصالتهم وفكرهم وبقدرتهم على الوصول لليقين؛ ورغم كل هذه الجهود الجبارة، فقد كان يردد طوال عمره وإلى أن وافته المنية: **لست منزهاً عن الأخطاء؛ وغالباً عندما كنا معاً، كان يقول لي: قوّمني إذا أخطأت، ناقشني لأرى كيف يمكن أن أصحح أخطائي. إن هذه كانت من صفاته البارزة، إذ أن على الإنسان أن يتوقع دائماً بأنه قد يخطىء وأن عليه تصحيح خطئه.**

* * *

كان دائماً يستمع للآخرين، ويفكر في القول ليتبع أحسنه. كان يأخذ ما هو الأحسن من كل مدرسة وفكر: مدرسة اليسار، مدرسة اليمين، مدرسة الإسلام، وقد قال لي مرة: إنني آخذ جملة أو فكرة من كتاب عادي جداً، كتاب ديني شائع مثلاً، فأبرز وأطوّر ما لم تقع عليه أعين القراء.

لقد كان إنساناً نبيلاً خلوقاً متواضعاً، وكم ظلمه أولئك الخصوم الذين اتهموه بأنه عنيد لا يقبل النقاش.

كان يتحدث ويكتب ثم يقول للآخرين: **ناقشوني وقوّموني فلربما كنت أنا على خطأ**... ومن خلال النقاش الصبور الدؤوب، استطاع أن يبلور ذلك النهج الإسلامي الذي هو كفيل بتغيير أمة بكاملها، واستطاع أن يسترجع شبابنا من «قصور الشباب» التي بناها الشاه ليلهو فيها الشباب وينسوا رسالتهم الإجتماعية ويصبحوا مشوهين وممسوخين. لقد استرجعهم شريعتي بعدما جعل من

حسينية الإرشاد مناراً ومركزاً للاستقطاب.

* * *

كل يوم.. كنا نشهد معركة ضد شريعتي في أحد أحياء العاصمة. لقد شنّوا عليه حملات ظالمة مستمرة. كنا نقول لأولئك المتحاملين: ماذا حدث؟ إذهبوا واسمعوا آراءه وناقشوه، وقدموا له الرد الذي تريدون. لكن الأمر كان يجري على نحو آخر، إذ كان البعض يقتطع جملة أو فقرة من كتاب له، ويستخدمها لتشويه فكر شريعتي والتحريض ضده في الاجتماعات العامة ومختلف الأوساط. تلك الاجتماعات التي كلنا نعلم بأن السافاك كان وراء تنظيمها ـ سراً أو علانية ـ.

لكن تلك المحاولات لم تنل من شريعتي، وقد حققت أفكاره تغييرات كبرى في عقول الواعين من الناس، وخصوصاً في عقول الجيل الجديد. إن الانجازات التي حققها شريعتي في قلب مفاهيم بأكملها بين الناس، هو الذي مهد لثورتنا العظيمة وأرسى أسسها.

* * *

إن آخر مرة التقيته فيها، كان عندما خرج من السجن، وقد سهرنا الليل معاً إلى ما بعد منتصفه، وقد تلمست فيه صفاء روح واجادة تعبير لن أنساهما طوال حياتي؛ وعندما كنت أتحدث، كان يستمع إلي بكل جوارحه، ثم يعلق على الموضوع فيغنيه بشرح أوضح وتعبير أفضل. كان آخر موضوع تحدثنا حوله، هو

سورة القدر، وتفسيرنا لمسألة ليلة القدر. أنا قلت جملت واحدة، فتلقفها مني، وشرع بتحليل بهرني وجعلني أنسى الوقت، فلم انتبه إلا وقد مرت ساعة من بعد منتصف الليل. . . بعدها ودعته وافترقنا. . .

سار هو نحو قدره، نحو «ليلة قدره»، وسرت أنا نحو قدر آخر، نحو السجن، حيث اقتربت من الموت، لكنني لم أحظ بالشهادة، ولربما كانت مشيئة الله تريد بي شيئاً آخر. أما هو فقد هاجر متجهاً نحو الشهادة.

أرجو من الله، أن يحفظ أفكار ونظريات ذلك الإنسان العظيم، حية في الأذهان. كما أرجو منكم أن تدرسوا مؤلفاته وأفكاره وأن تطوروا مواضيعها.

ناضلوا وسيروا على الدرب الذي انتهجه شريعتي من أجل تشخيص ومعرفة الإسلام الذي نريد، إسلام الثورة الإجتماعية، لا إسلام تقليدي وذاتي. . فهذا ما كنا ننتمي إليه دوماً دون جدوى.

إن مسؤولية الحفاظ على الثورة ومواصلتها، تقع على كاهل الجيل الجديد. إنني أعيش آخر أيامي، وقد وصلت إلى نهاية حدّي. أرجو من الله أن يحفظ ويوفق الذين لا زالوا على الدرب سائرين[١].

---

(١) فقرات من كلمة آية الله السيد محمود الطالقاني في جامعة طهران. بمناسبة ذكرى استشهاد شريعتي.

فرانز فانون[1]

« . . . ، إن الإسلام سبق كل آسيا وأفريقيا في الكفاح ضد الإستعمار والغرب، لماذا؟ . . لأن الإسلام تعرض، قبل أي شيء آخر، في هاتين القارتين إلى حملات الاستعمار والغرب، فقد كان أعداؤه الألداء، أثخنوا جسمه بالجراح وشوهوه، لذلك نرى الحقد الأصيل للإسلام على الاستعمار.

إنني لا أحمل للإسلام نفس المشاعر التي تحملها أنت، ولكنني أتفق معك وأؤكد على كلامك بقوة ـ وربما أكثر منك أيضاً ـ بأن الإسلام في العالم الثالث هو أكثر العناصر والقوى (الاجتماعية والايديولوجية) التي تستطيع مواجهة الغرب، والتي لها بالأساس طبيعة مناهضة للغرب.

(١) مجاهد كبير في الثورة الجزائرية ومؤلف كتاب معذبو الأرض والذي ترجم بعضه شريعتي للفارسية.

إنني آمل من كل قلبي، بأن يستطيع المثقفون الأصيلون في بلدانكم، التمسك بذلك السلاح الجبار، بذلك الاحتياطي الضخم من الثروة المعنوية والثقافية، الكامن في أعماق المجتمعات الاسلامية. إن ذلك ضرورة حيوية، من أجل توعية واستنهاض الجماهير، للكفاح ولمقاومة حملات أوروبا، ولمقاومة الأفكار والحلول والوساوس التي تتسلل إلى بلداننا من أوروبا.

إن التمسك بالاسلام ضروري لخوض تلك المعركة الدفاعية، ولإرساء الأسس من أجل بناء إنسان جديد وحضارة جديدة لذلك فمن الضروري أن تُبْعث الروح الإسلامية في الكيان الشرقي الذي ضعف وانحطّ. إنني شخصياً لا أستطيع القيام بدور في ذلك، **ولكنني واثق بأنك واخوانك تتحملون مسؤولية آداء تلك الرسالة،...»**[١].

(١) مقتطف من رسالة بعثها فانون إلى شريعتي، وتعتبر من رسائله الأخيرة.

إحسان شريعتي

. . . إن إحدى الوسائل التي استخدمتها السلطة في محاربة شريعتي، كانت تشويه سمعته وتلويث شخصيته، التي أصبحت أسطورية، لقد قامت السلطة بإعادة طبع محاضرات له في جامعة مشهد حول الماركسية، بعد أن غيّرت من النص الأصلي، وزوّرت جوهره وهدفه؛ وكان هدف السلطة من وراء ذلك، هو بث التفرقة في صفوف الشعب، وفتح معارك جانبية، بغرض الإلهاء عن معركة الشعب ضد الامبريالية التي هي المعركة الأساسية، وبغرض صرف نضالات شعبنا لصالح الاستعمار وعملائه.

حاولت السلطة أن تستفيد من مقالات شريعتي، بغرض توسيع إطار معركة الاسلام ضد الماركسية وتعميمها على كل المجالات. بينما هي في الواقع معركة مطروحة على الصعيد الفلسفي. كل ذلك لكي يتم إظهار الماركسية، وكأنها العائق الأساسي أمام الشعب.

لكن شريعتي كان يقول: في الطب، من الأفضل تقوية مناعة الجسم بدلاً من استخدام الأدوية والوسائل الأخرى؛ وعلينا نحن أيضاً، أن نعتني بتطوير أنفسنا وتقوية صفوفنا بدلاً من الانشغال بالخصوم.

هكذا رأينا أن شريعتي لم يستخدم قلمه من أجل تفنيد الشيوعية وإسقاطها، وإنما وجه رماحه ضد الرجعية، التي سادت في بلادنا منذ العهد الصفوي، وكانت تمسخ الاسلام والتشيع بإظهارهما في صورتهما «الصفوية». لقد وقف شريعتي في وجه الرجعيين الذين تلبّسوا الإسلام، ليدعوا بأن محاربة السلطة القائمة إنما تخدم الماركسيين في النهاية، . . .

. . . ولكن شريعتي وقف موقفاً واضحاً ودقيقاً ضد الخصوم وأيديولوجياتهم المنافسة، موازناً في نضاله ضد القاسطين (الامبريالية والاستبداد)، والمارقين (الرجعية والاستحمار)، والناكثين (أدعياء اليسار الانتهازيين)؛ وإن مواقفه هذه أثارت ضده عداوات كثيرة، إذ تعرض لحملات ظالمة من قبل (أعداء عقلاء وأصدقاء جهلة)[١]

(١) فقرات من خطاب تأبين ألقاه إحسان شريعتي في ذكرى والده.

مقدّمة الطبعة الفارسية

الكتاب الذي بين يديك يتألف من قسمين:

القسم الأول منه تحت عنوان (التشيّع الأحمر والتشيّع الأسود) وهو عبارة عن بحث موجز كتبه الاستاذ الشهيد ليكون بمثابة مقدمة توضيحية لمسرحية (السربداران)[1] التي لم تعرض سوى ليلة واحدة ـ نظراً للمناخ القمعي السائد في ظل النظام السابق ـ وهذا البحث أصبح فيما بعد، بأمر من الاستاذ نفسه، مقدمة لكتاب (التشيّع العلوي والتشيّع الصفوي) والذي يشكّل القسم الثاني من هذا الكتاب، وكان في بدايته عبارة عن محاضرة ألقاها الاستاذ على مدى ثلاث ساعات في احدى ليالي شهر رمضان بتاريخ (٢٩ / ١٠ / ١٩٧١) وذلك في حسينية الارشاد، وقد أجرى بعد ذلك تعديلات واضافات لتنشر هذه المقالة على هيئة كتاب يتألف من (١٤٣) صفحة في ربيع عام ١٩٧٢ م.

اشارة

تجدر الاشارة هنا الى ان احد الأخوة كان بصدد إصدار الطبعة الثانية من كتاب (التشيّع العلوي والتشيّع الصفوي)، ونظراً لان حسينية الإرشاد كانت مغلقة

---

(١) رؤوس على المشانق!

في ذلك الوقت، قرّر ان يقوم بهذا العمل بمفرده وعلى حسابه الخاص، بالطبع بعد استحصال اذن الدكتور شريعتي، وبعد طبع الكتاب تعذّر عليه نشره وتوزيعه لمدة ستة أشهر بسبب تأزم الأوضاع واختناقها آنذاك، وأخيراً صدر الكتاب بعد حذف عدة صفحات.

والكتاب الذي بين يدي القاريء الآن هو النص الكامل لهذا المؤلَّف نضعه في متناول أيدي عشاق تراث الاستاذ الشهيد...

مكتب جمع و ترتيب تراث

الاستاذ الشهيد الدكتور علي شريعتي

مقدّمة المترجم

ما يزال الجدل القائماً حول قيمة النتاج الفكري الذي خلّفه أبرز المفكرين الإسلاميين الإيرانيين في عقد الستينات والسبعينات ـ من خارج دائرة الحوزة طبعاً ـ ألا وهو المرحوم الدكتور علي شريعتي الذي شكّل دون أدنى ريب أحد محاور النهضة الدينية التي استقطبت الشباب الإيراني خاصة في الجامعات للفترة التي سبقت انتصار الثورة الاسلامية في إيران، شباط ١٩٧٩.

وخلال سنيّ الثورة جرت عملية تعتيم تام على دور الرجل وذلك بدافع من القناعة بأن الرجل منحرف أو ضالّ لكونه تخطى كثيراً من الخطوط الحمراء التي يعتبر تجاوزها جريمة لا تغتفر في معظم الأوساط الحوزوية التقليدية والتي صار لها بعد الثورة نفوذ واسع في السلطة.

ورغم أنني ـ كقارىء ومترجم ـ لا أبرىء ساحة المرحوم شريعتي من كلّ الاتهامات الواردة عليه، إلّا انه من الواضح أيضاً ان الحملة التي تعرّض ويتعرض لها الرجل مبالغ فيها إلى درجة كبيرة، خاصة اذا اخذنا بنظر الاعتبار التباين الواسع بين الأدوات المدرسية التي يتعاطى معها الرجل وبين الأدوات التي يتمّ محاكمته ـ حوزوياً ـ على أساسها.

ولي شخصياً كطالب في مدرستين ـ اكاديمية وحوزوية ـ أن أدرك حجم هذا

الفارق وأعي الدور الذي يلعبه في توسيع هوة الاختلاف في النظر والتقييم، الى الدرجة التي أراني أعذر كلا الفريقين في احكامهما الصادرة ضد بعض ـ ليس دائماً بالطبع ـ!

أحد هذه الفروق الأساسية هو الاهتمام وعدم الاهتمام ببعض التقاليد والرسوم حيث يعتبرها أحد الفريقين اموراً شكلية وجزئية فيما يرى الفريق الآخر انها وان كانت كذلك في الظاهر الّا أن لها نحو ارتباط جذري بقضايا اكبر وبالتالي فإن عدم مراعاتها تكشف عن ضعف أو انحراف على مستوى اكبر.

لا أزعم هنا انه يمكن وبسهولة حلّ هذه الجدلية ولا اهتدي الى طريقة معينة لذلك، بيد انني اشعر ان الأجواء اليوم مستعدة اكثر من أي وقت مضى لإعادة فتح حوارية حول هذا الموضوع خاصة بعد حركة الإصلاح التي يقودها الرئيس الايراني محمد خاتمي (وهو مثقف حوزوي)! والتي لا أؤيد منها هنا سوى انها أسهمت ـ بقصد أو بغير قصد ـ في تقويض أسس كثير من القدسيات الزائفة، وبالتالي مهّدت الأرضية لإجراء حوار متوازن بعيد عن لغة الفتوى الجاهزة على الفور أو لغة الاتهام بالتحجّر والتقليد.

نتاجات الأستاذ شريعتي جديرة بان تقرأ من جديد وان يعاد تداولها سواء في الشارع الإيراني أو العربي خاصة وانها تسلّط الضوء على سرّ التوتر الدائم في العلاقات بين العرب والإيرانيين برغم وجود أواصر مشتركة كثيرة جداً، بل وان كتاباته تلقي بعض الضوء على جذور الاخفاقات التي تعرّضت لها تجربة الثورة الاسلامية في ايران الى درجة استحقت ان تكوّن لنفسها حركة لإصلاح نفسها رغم اني ـ وهذا رأي شخصي ـ أرى ان حركة الإصلاح الايرانية ربما تكون شرّقت وغرّبت بعيداً عن جذور المشاكل التي استوجبت ان يكون هناك إصلاح، واعتقد ان

دعاة الإصلاح هم أيضاً بحاجة الى قراءة (التشيّع العلوي والتشيّع الصفوي)[١].

ادعو المتشدّدين في الحوزة لقراءة شريعتي بقدر من الشفافية يتيح لهم ان يدركوا ان الرجل قد تمكن من فهم روح الاسلام العزيز وان ارتبك أحياناً على مستوى تمييز ما هو قشري وما هو أساسي، وأقول لهم مسبقاً انهم سيعثرون على أخطاء سواء على المستوى التاريخي أو الفقهي أو حتى العقائدي، وأدعوهم لكي لا يتشبّثوا بها ويغفروا للرجل هفواته هذه لصالح نجاحه الكبير في التأثير على الملابسات التي أحاطت بالتشيع جراء تغلغل الدولة الصفوية واختراقها لجدار هذا المذهب في وقت من الأوقات.

كما أدعو المتفتحين الى قراءة شريعتي بقدر من الجدية والمسؤولية ولا يقتصروا على عباراته الحادة التي يطلقها بين الحين والآخر شجباً واستنكاراً للوسط الحوزوي ربما بدافع الانفعال الطاريء والاّ فالرجل ذو شخصية ايجابية بناءة وليس من عشاق الهدم والتدمير.

وأخيراً، آمل ان يكون هذا الكتاب حلقة اولى في سلسلة للتعريف بسائر نتاجات المرحوم علي شريعتي وان يفتح شهية القاريء العربي للإطلاع على مجمل هذه النتاجات التي ترقى الى مستوى مكتبة كاملة.

ومن الله التوفيق

---

(١) منذ الأيام الأُولى للثورة الاسلامية في ايران كان هناك جدلية ساخنة بين من يقول (ايران للاسلام) وبين من يقول (الاسلام لإيران) وأخيراً حسمت الجدلية لصالح الفريق الثاني وبفوز ساحق، ولا شكّ انّ لتركيبة الشخصية الايرانية دوراً مهماً في تحقيق هذا الفوز.

كلمة بخصوص الترجمة

هذا الكتاب كان في الأصل محاضرة ألقاها الاستاذ المرحوم في حسينية الارشاد بطهران عام ١٩٧١ م، ومن المعلوم ان اسلوب الخطابة يختلف اختلافاً جذرياً عن اسلوب الكتابة، الأمر الذي لم يكترث به ناشرو الكتاب باللغة الأصلية، ربّما حرصاً منهم على الحفاظ على نص كلام الاستاذ، إلا انه بعد الترجمة لم يعد هناك عذر يبرّر لنا نقل الكتاب بصيغته الخطابية التي عادة ما تكون مملّة وعادة ما لا تتوفر على شروط الإنشاء السليم.

من هنا تعيّن علينا بذل جهد استثنائي في تقريب المسافة بين الخطابة والكتابة وهي مهمة يعرف اهل الاختصاص انها شاقة حتى على مستوى اللغة الواحدة فكيف اذا كان العمل يتمّ على مستوى لغتين!...

وبالطبع كنا خلال الترجمة نواجه أحياناً مواقف محرجة نتحيّر فيها بين الاقتراب من لغة الكتابة والابتعاد عن نص المؤلف (المحاضر!) وبالتالي صعوبة بالغة في التوفيق بين الأمرين فنختار أحياناً حلّاً وسطاً على اساس ان خير الأمور أوسطها، واخرى نميل الى الحفاظ على لغة الكتابة رعاية لذوق القاريء العربي، وثالثة نميل الى لغة الخطابة في الموارد التي نشعر أن الاستاذ يريد المعنى بهذا اللفظ وبهذه الصيغة لا غير، وهي موارد ليست بقليلة لدى المرحوم د. شريعتي.

مضافاً الى ذلك ان هناك اصطلاحات استخدمها الاستاذ هي في الأصل

كلمات عربية لا يستخدمها العرب في تلك المعاني الاصطلاحية وان كانت تؤدي المعاني بشكل أو بآخر، وحينئذ فإن كان لها مرادف عربي دقيق وشائع الاستعمال لجأنا إليه وإلّا أبقيناها على نصّها الأصلي رعاية لانسيابية النص وحرصاً على دقة المعنى المطلوب. نشير هنا الى مصطلح (الروحانية الصفوية) والمقصود منها طبقة رجال الدين، تارة عندما تمتهن الدين فتصبح شبيهة بوعاظ السلاطين، واخرى عندما تنعزل عن الحياة فتصبح قريبة من الرهبنة، وثالثة عندما تكون خليطاً من الحالتين، وقد تفادينا تكثير المصطلح في الترجمة، ورجّحنا ان نبقي الاصطلاح على حاله لكي نترك للقاريء العزيز حرية فهم المعنى من خلال السياق، علماً باننا سوف نشير في الهامش الى اي مورد من هذا القبيل.

تمهيد

الإسلام دين تجلّى للإنسانية في صورة (لا) صدع بها وارث إبراهيم ومظهر دين توحيد الخالق ووحدة الخلق ، النبي محمد (ص) ، (لا) بها يبتدىء شعار التوحيد ، ومنها ينطلق الإسلام في مواجهة الشرك والإلحاد ، دين أصحاب المصالح والسلطة والجاه .

أما التشيّع فهو بمثابة (لا) ثانية صدع بها عليّ وارث محمد ومظهر إسلام الحقّ والعدالة ، وقد اكتسب التشيّع هويته الحقيقية في التاريخ الإسلامي وتحددت ملامح وجهه ووجهته من خلال كلمة الرفض التي أطلقها (عليّ) في الشورى جواباً على عبد الرحمن بن عوف الذي كان يمثل على الجانب الآخر إسلام الجاه والمصالح .

والى العهد الصفوي ، ظلت كلمة الرفض (لا) هي المَعْلم الرئيس الذي يميز بين الموالين لأهل البيت وأنصار علي وأتباعه وبين غيرهم ، سواء كان ذلك على الصعيد الاجتماعي أو الطبقي أو السياسي ، وبهذه الكلمة تحقّق الفرز تاريخياً بين جبهتين وحزبين ، حزب يؤسس قناعاته ومواقفه على ضوء ما يمليه القران والسنة المأثورة عن آل الرسول ، وحزب يستمد هذه القناعات والمواقف مما يمليه عليه

بنو أمية وبنو العباس أو الغزنوية[١] والسلاجقة أو حتى أحفاد جنكيزخان وتيمورلنك وهولاكو .

وهكذا ، طوى الاسلام مساراً تاريخياً غريباً عجيباً ، حيث تمكن جميع المستكبرين وطواغيت الزمان وأصحاب البيتوتات من العرب والعجم والترك والمغول والتتار من بلوغ سدة الحكم والاستواء على مسند خلافة النبي ما عدا آل النبي وأهل بيته من أئمة الحق والهدى !

أما التشيّع الذي انطلق رافضاً للمسار الذي اختاره التاريخ لنفسه ، فقد بقي متمرداً محتجاً على ذلك التاريخ الذي ركب ، باسم القرآن ، أمواج جاهلية كسرى وقيصر ، وعمد ، باسم السنة ، الى التنكيل بتلامذة مدرسة القرآن والسنّة !

الشيعي لم يركن لحتمية التاريخ ، ونهض ثائراً على أولئك الذين فرضوا هيمنتهم عليه وسلّطوا جام غضبهم على الشعوب رافعين شعار خلافة النبي وامامة المسلمين. بلى ، لقد أعرض الشيعي عن المساجد الفاخرة والقصور العامرة التي شيدها (خلفاء الاسلام) ووجد ضالّته في بيت فاطمة ، المشيّد من الطين !

وفي ذلك البيت المهجور وجد الشيعي ، ممثل الطبقة المسحوقة والمنادي بتطبيق العدالة والمساواة ، وجد ما يريد ومن يريد معا !

فاطمة بالنسبة إليه كانت الوارثة للنبي ومظهر (الحق المهتضم) وهي في الوقت ذاته تجسيد حي لأول اعتراض علني وأولى المطالبات الصريحة بتطبيق مبدأ العدل والمساواة : شعار الشعوب المضطهدة والطبقات المسحوقة في ظل

---

(١) الغزنويّون ظهروا في أواخر الدولة العباسية وتمركزوا في خراسان واتخذوا من مدينة (غزّين) عاصمة لهم ، ومن أشهر سلاطينهم السلطان محمود الغزنوي .

أنظمة الحكم الجائرة.

أما عليّ فهو مرآة (العدل المظلوم) والمجسد الواقعي للحقيقة التي تظافرت الحكومات على خنقها وحكم عليها الدين الرسمي للدولة بالطمس والكتمان !

وجاء الحسن ليمثل آخر خطوط المقاومة في جبهة إسلام الإمامة بإزاء الخط الأول في جبهة إسلام الحكومات.

ومن بعده كان الحسين شاهداً وما يزال لكل شهداء الظلم والجور على طول التاريخ ووارثاً لجميع أحرار العالم ومن ينادون بتحقيق العدالة والمساواة من عهد آدم الى زمانه والى الأبد ، رسولاً للشهادة ومظهراً لدم الثورة .

وأخيرا ، زينب ! الشاهدة على كل الأسرى العزّل في ظل سطوة الجلادين ، رسول ما بعد الشهادة ومظهر نداء الثورة!

في خط عليّ يجد الشيعي شعاراته الرئيسية والتي ينطلق فيها في تجسيد آمال وآلام الطبقة المسحوقة، الواعية والمتمردة في نفس الوقت على طغيان الحاكم؛ فهو يهتدي الى التخلص من ولاية الجور برفع شعار (ولاية علي) !

وإذا أراد أن يميط اللثام عن الوجه الحقيقي لنظام الخلافة القائم فإنه يعمد الى رفع شعار (الإمامة) !

ولتفنيد أسس نظام التميز العنصري والطبقي يرفع شعار (العدالة) !

وحيث يسعى السلاطين ووعاظهم وحاشيتهم للتمويه على حقيقة ما يدور ويصرفون أنظار الناس عن طريق الفتوحات وكسب الغنائم وبناء المساجد والمدارس واقامة الفرائض وبذل الهدايا والنذور والأوقاف وتعظيم الشعائر والاهتمام بالمظاهر وكأن الأمور تجري على خير ما يرام وعلى النحو الذي يرضي

الله وعباده الكرام، ينبري الشيعي لفضح هذا الزيف من خلال رفع شعار (الانتظار) .

وبغية ايجاد تنسيق في العمل ومركزية في النهضة يلوذ الشيعي بشعار (المرجعية)، ويستثمر شعار (التقليد) من أجل تعبئة الطاقات باتجاه واحد وايجاد منهجية موحدة في التحرك، وبقيادة شخص مسؤول هو (نائب الإمام) !

ولا شك ان كل حركة تحتاج الى تأمين مصادر دعم مالي ليتاح لها النهوض بواجباتها في ميادين النضال الفكري والاجتماعي وادارة التشكيلات والمؤسسات العلمية والتربوية، على الخصوص في ظل أنظمة حكم تصادر باسم الدين، كل موارده المالية وتسخّرها لتحقيق مآربها وأهدافها، فكان لا بدّ من مصدر تمويل حر ومستقل فكان (سهم الامام) !

أما (مجالس العزاء) فكانت هي الوسيلة للتذكير المستمر بكفاح الشيعة على طول التاريخ ضد من يحاولون تحريفه وتشويه مساراته، وبواسطتها كان يشار الى حوادث الظلم والغضب والخيانة ومكامن الزور والخداع والكذب والانحطاط، مضافا الى استثمار تلك المجالس في احياء ذكرى الشهداء !

ومن أجل فضح النظام الحاكم المتستر تحت عنوان وارث سنة الرسول وخليفته، وتعرية الوجه الحقيقي له وكونه الوارث لقتلة ذرية الرسول وجلّاديهم، وبغية التأشير على المنهج السليم وتقديم إجابات شافية على التساؤل القديم الجديد (ماذا ينبغي أن نفعل؟!) وتحديد أوجه تصعيد العمل المعارض لسلاطين الجور ورفض البيعة لهم والإيمان بترابط حلقات التاريخ واعلان الحرب المستمرة بين ورثة آدم وورثة إبليس، وتوضيح حقيقة إن الاسلام الحكومي هو إسلام القتلة متّشحاً بوشاح السنة بينما الاسلام الحقيقي والواقعي ما زال غائبا يرتدي ثوبه المضرّج بالدماء! حقا، هل ثمة شعار يعبّر عن كل هذه المفاهيم أفضل من

نداء (عاشوراء)؟!

بعد ذلك كله، لا بدّ من غطاء يجري من خلاله التعتيم على كل هذه الأنشطة الثورية الرافضة والتستّر عليها حرصا على إدامة المشروع النهضوي وحفظا لعناصره وخططه من الضياع والاستئصال في ظل أنظمة حكم لا تتورع عن فعل أي شيء ترى فيه ضماناً لمصالحها، يعينها على ذلك ويسهّل لها تلك المهمة وجود (رجال دين) على أهبة الاستعداد دائما لتنفيذ مطاليب السلطة بفتاوى جاهزة تصاغ على ضوء ما يشتهيه الحكم مع وجود أناس مغفّلين بالإمكان تسخيرهم لتحقيق مآرب السلطة بأجر أو بدون أجر، والنتيجة أن تسحق النهضة وينكّل بقادتها المخلصين وتشتّت قاعدتها قتلا وحبسا ونفيا حتى تتلاشى ولا يعود بالإمكان مواصلة النهضة فضلا عن تصعيدها. كل ذلك نتيجة عدم رعاية الضوابط الأمنية وعدم كتمان أسرار الثورة ؛ الأمر الذي يتكفل بتحقيق معلم آخر من معالم الخط العلوي. وليس إلّا (التقية) !

وهكذا يتبين انّ التشيّع العلوي لم يكن مجرد حركة ثورية استمرّت على مدى ثمانية قرون – إلى أوان العهد الصفوي – ولم يقتصر على ممارسة الجهاد فكرا وسلوكا بوجه الأنظمة ذات الطابع الاستبدادي والطبقي، الاستبداد الذي كان يمثل قاسماً مشتركاً بين أجهزة الخلافة الأموية والعباسية والسلطنة الغزنوية والسلجوقية والمغولية والتيمورية والايلخانية والتي اتخذت المذهب السنّي مذهبا رسميا للبلاد آنذاك... لم يكتف الشيعة بكل ذلك بل عملوا بشكل جادّ وواعٍ وباسلوب منظم ومدروس ومبتنٍ على أيديولوجية رصينة وواضحة، على قيادة عموم الحركات التحررية وتبنّي الشعارات والمشاريع الواضحة المطالبة بإقامة العدل ورعاية حقوق الجماهير المستضعفة. وبذلك اكتسبت الشخصية الشيعية طابعاً محورياً أهّلها لأن

تكون مركزاً لاستقطاب جميع أصحاب التوجّهات الرافضة للوضع السائد والمتطلعة إلى واقع أفضل .

ونتيجة لذلك، نرى أن ازدياد الظلم وغصب الحقوق واضطهاد الطبقات المسحوقة ووخامة الأوضاع الاقتصادية والسياسية وشيوع حالات القمع الفكري والتعصب الطائفي وتبعية سلاطين الدين لسلاطين الدنيا واتساع الفوارق الطبقية وانتشار الفقر والفساد وغيرها من العوامل لم تفتّ في عضد الشيعة، بل على العكس من ذلك، زادتهم اصرارا على المضيّ في منهج مقارعة الظالمين وأكسبت جبهتهم صلابة وتماسكا أكبر وخلقت أرضية مناسبة أكثر للتفاعل مع الشعارات التي يطرحونها وينادون بتحقيقها ؛ الأمر الذي جعل التشيّع يتحول من عقيدة ومنهج خاص في التفكير والعمل الى طريقة مثلى في فهم الاسلام وفكر أهل البيت في مقابل شيوع الفلسفة اليونانية وظاهرة التصوف الشرقي، ومن منهج نظري وعلمي مجرد الى مشروع نهضة سياسية واجتماعية وثورة تمتدّ جذورها في أوساط المجتمع وبخاصة المحرومين منهم، وتقضّ مضاجع قوى الزور وعلماء الزيف والتزوير من الذين يستغلون عنوان المذهب السنّي لتمرير مخططاتهم الرامية بالأساس إلى فرض الهيمنة على مقدرات الشعوب وتبرير أعمال السلاطين. وكان من شأن ذلك ان بعض الخلفاء والسلاطين ممن كانوا يتمتعون بدرجة من التحرر الذهني والانفتاح السياسي كانوا لا يتوانون عن استقبال اليهود والنصارى المجوس والدهريين في بلاطهم بينما يغيظهم ذكر الشيعة وكل ما يتعلق بالتشيع ويسجّر في قلوبهم غضبا وغيظا لا ينطفي إلّا بإراقة المزيد من دمائهم في أكبر هجمة استئصالية شهدها التاريخ الاسلامي ضد جماعة معينة .

لقد أصبح قتل الشيعة وصلبهم ونزع جلودهم وهم أحياء وقلع أعينهم وقطع

ألسنتهم من القفا مظاهر يومية وسياسة رسمية، وممّا زاد الطين بلّة، الفتاوى التي كان يتبرّع بها الفقهاء والفلاسفة وعرفاء البلاط والتهم الجاهزة التي يلصقونها بالشيعة بلا حرج ولا تورع، بل الأنكى من ذلك أنّهم كانوا يعتبرون تلك الفتاوى عبادة يستحقون عليها الأجر والثواب !

من هنا نفهم السر في تصريح السلطان محمود الغزنوي بالقول أنّه (سيطلب الشيعي أينما حلّ وكان)! ونتفهّم لماذا يصدر الفقيه السنّي فتواه الشهيرة بتحليل زواج المسلم من الكتابية يهوديةً أو نصرانيةً أو مجوسيةً، وتحريم الزواج من المسلمة الشيعية !

عقيب هيمنة الأتراك على أوضاع الدولة الاسلامية، برزت ظاهرة التعصب وضيق الافق في الجانب الفكري والعقائدي، فيما برز على الصعيد الاجتماعي النظام الاقطاعي الذي كان يعمل على استغلال الشعب خاصة الطبقات المحرومة وبشكل وحشي لا يرحم، مما أدى بتبع ذلك إلى لجوء السلطة الحاكمة إلى اسلوب النار والحديد ونصب المقاصل والأعواد بغية إرعاب الناس والسيطرة عليهم، وإلى جانب ذلك تحوّل المذهب السنّي الذي مثّل على الدوام دين الدولة (الرسمي) إلى مجموعة شعائر طائفية وعقائد منحطّة تبرّر الممارسات اللاإنسانية للجهاز الحاكم، وتتبرع بأحكام وفتاوى جاهزة تناغم التوجه الرسمي للحكومات المتعاقبة وسلاطين الغزنوية والسلجوقية والمغولية، وأضحى الدين بمثابة أفيون للشعب وآلة قمع وتنكيل بكل حركة إصلاحية تهدد مصالح الأقوياء وأصحاب رؤوس الأموال والاقطاعيين.

وفي ظل هذه الأجواء برز التشيّع آنذاك، ليحمل راية الثورة والرفض الجماهيري وذلك على شكل حركات ثورية أو اتجاهات إصلاحية تختلف تطرفاً

واعتدالاً. وتغلغلت في الغالب في أوساط الطبقات المسحوقة على الخصوص الفلاحين الذين كانوا يتعرضون لأبشع أنواع الظلم والاستغلال. فظهرت حركة «حسن صباح» ذات الطابع الإرهابي، وحركة القرامطة ذات الطابع الاشتراكي. وقام الغلاة بممارسات ثقافية وعقائدية متطرفة. فيما شهد المجتمع الاسلامي تمرّداً فكرياً مستنيراً قاده بعض الصوفية المتحرّرين وذوي الميول الشيعية ضدّ مظاهر التحجر والعنف الديني التي كان يمارسها الفقهاء المسيّرون من قبل السلطة الحاكمة.

وقد جاءت الإمامية كمذهب معتدل وغني بالمعارف لتمثل قمة هذا التوجه الثوري التغييري والرافض للوضع السائد المدعوم من قبل السلطة. وقد ارتكز هذا المذهب في دعوته التربوية إلى ركيزتين: الإمامة والعدل، وكان شعاره الثوري هو عاشوراء حيث استطاع من خلاله تعبئة الجماهير المتذمّرة من الوضع السائد متمّماً ذلك بالدعوة إلى انتظار الإمام المهدي وطرح قضايا من قبيل علامات الظهور وآخر الزمان، وإحياء الأمل والفرج بعد الشدة، وفكرة الثأر والانتقام والايمان بانكسار الباطل والظلم في نهاية المطاف، وانبساط العدل بالسيف وإعداد جميع المظلومين والمنادين بالعدالة إلى لحظة الثورة... وقد ترسّخ هذا النمط من التفكير في نفوس الناس إلى درجة انّه في المدن ذات الأغلبية الشيعية يصار في أيّام الجمعة إلى وضع سرج على فرس بيضاء ثمّ يخرج الناس جميعهم وراء هذا الفرس في تظاهرة احتجاجية على رغم السلطة ترفع شعارات انتظار الفرج والتحرر من الظلم والدعوة إلى الثورة... إلى غير ذلك من الشعارات التي تغيظ الحكام وتثير حفيظتهم.

في النصف الأوّل من القرن الثامن الهجري، تمكن المغول من فرض سيطرتهم التامة على ايران، وأمعنوا في إذلال أبناء الشعب عن طريق حملات الابادة الجماعية التي أقدم عليها هولاكو وجنكيزخان، وأمسى كلام جنكيزخان

بمثابة القانون، والسيف هو المنفذ لهذا القانون، واقتسم ملوك المغول وكبار قادة جيشهم ورؤساء طوائفهم مناطق ايران وحوّلوها إلى مقاطعات مملوكة وعمدوا إلى معاملة الأهالي القاطنين في تلك المناطق معاملة العبيد. وفي داخل المدن أصبح علماء الدين يعملون بإمرة الحكام المغول ويدعون الناس باسم مذهب «السنّة والجماعة» إلى الرضا والتسليم المطلق لإرادة الحكام الذين أشهروا إسلامهم (!) في الظاهر ولكنهم عملياً استمروا يحكمون بسياسة جنكيزخان واقتصروا على فعل الختان ارضاءً لمشاعر المسلمين إزاء تدمير دينهم ودنياهم وتفتيت الكيان الاسلامي اخلاقياً واجتماعياً وفكرياً.

سوى ذلك كانت هناك طائفة أُخرى من العلماء من الذين أعرضوا عن الدنيا وبهارجها ولم يُسوّغ لهم ورعهم وتقواهم التضامن مع المغول وحكّام الجور، ولكنهم بدل أن يتصدّوا لمواجهة الوضع الفاسد اختاروا العزلة والانزواء في صوامع التصوّف وعبّدوا الطريق بذلك أمام الحكام المستبدّين ليمعنوا في اذلال الأمة وارتكاب أبشع الجرائم بحقّ ابنائها، وتركوا الناس الأبرياء تحت رحمة أسواط الجلادين والناهبين ووعاظ السلاطين.

في هذه الأجواء، ينبري إلى خط المواجهة رجل دين ينشد الحقيقة، كما نشدها سلمان الفارسي من قبل. وهو (الشيخ خليفة) الذي يحاول أن يطّلع بنفسه على كلّ مدرسة فكرية قائمة في ذلك العصر، فيبدأ بمدرسة الزهد، فيلتحق برجل زاهد يقال له (بالو) علّه يجد عنده طريقاً للنجاة والتحرر، ولكنه سرعان ما يكتشف انّ الزهد هو في واقعه سكوت في مقابل الظلم، وليس هناك أكثر قبحاً وعاراً وأنانية من أن يكرّس المرء جهده لإنقاذ نفسه وإيصالها إلى الجنّة الموعودة في حال يرى بعينه الناس المحيطين به وهم يرزحون في جهنم الدنيا وعذابها ويذوقون ألوان

الفقر والحرمان ويسمع صرخاتهم وهم يطالبون بمدّ يد العون إليهم فلا يأبه بذلك كلّه ويصمّ أسماعه دون تلبية نداءات استغاثتهم.

فيقرّر صاحبنا الإعراض عن (بالو) الزاهد والتوجّه نحو مدينة سمنان حيث يوجد ركن الدين عماد الدولة الذي ذاع صيت عرفانه وتصوفه في الآفاق، ولكن لا يلبث أن يكتشف أن التصوف، شأنه شأن الزهد، ليس إلّا هروباً من مواجهة الواقع وتنصّلاً عن المسؤولية واعراضاً عن المجتمع ولا أُبالية حيال المصير الذي ينتظره إذا استمر الظلم والعدوان. صحيح انّ عماد الدولة رجل ذو قلب صافٍ منزّه عن الكدر ويتمتع بروحية سامية وإحساس لطيف، ولكن كيف يتسنى له مع هذه الخصال أن يتحملّ سيل الدماء التي يسفكها سلاطين المغول على هذه الأرض، وكيف لا يهزّه من الأعماق خطر الفناء الذي يهدد الاسلام والمسلمين في كلّ حين ؟

وينفر الشيخ خليفة من ركن الدين، الذي كان يمثل مدرسة التصوف آنذاك، وينطلق إلى شيخ الاسلام الامام غياث الدين هبة الله الحموي القاطن في (بحر آباد) لينتهل على يديه من أحكام الشرع المقدّس وفق «المذاهب الحقّة لأهل السنّة والجماعة» علّه بذلك يصل إلى ينبوع الحقّ والحقيقة!

ولكن هيهات! فقد وجد ان الفقيه يتوفر على ألف مسألة شرعية في آداب التخلّي دون أن يقدّم مسألة واحدة وحكماً شرعياً واحداً يتعلّق بالمصير المشؤوم الذي ينتظر الأُمّة والبلاد!

وهكذا يصاب الشيخ بخيبة بالغة إزاء ما يصنعه رجال الدين والمذهب، ويصل إلى قناعة راسخة بأن ممارسات هؤلاء ما هي إلّا «تأطير للقوة والظلم بوشاح التقوى والورع» وينطلق ساخطاً على الحكم المغولي الجائر متحسّساً لكلّ آلام وآمال المسلمين ويستعدّ للنهوض بأعباء المسؤولية عارفاً بأمور زمانه

ومحتجاً على الوضع الراهن وعازفاً عن كلّ الدكاكين التي تروّج الدين كبضاعة تباع وتشترى، وليختار مذهب الرفض والشهادة: «إسلام علي» !

قدم إلى سبزوار في زيّ درويش بسيط غريب، لا ناصر له ولا كفيل، واستقر في جامع المدينة ويبدأ بالوعظ والإرشاد؛ واعظ ناقم ومتمرد على كلّ شيء من شأنه أن يجعل الناس يرتضون الذل والجهل والجور والمهانة، نقمة وتمرداً مستنداً على دعامة منهج فكري وايماني صلب وعنيد وتاريخ مضرّج بالدماء؛ ألا وهو التشيّع !

وشيئاً فشيئاً يَلتئم الناس المحرومون أفراداً وأفواجاً حول هذا الواعظ ليتحولوا في خاتمة المطاف إلى مركز قوة جديد أصبح يشكل خطراً لا يستهان به.

وهاهنا يأتي الدور التقليدي لملالي السلطة حيث يبدأون أولاً بترويج الشائعات ومن ثم اصدار الفتاوى، وأخيراً الحكم «بالذبح على الطريقة الاسلامية».

«هذا الشيخ يتكلم في المسجد بأمور دنيوية» .

«هذا الشيخ يُحدث في المسجد ولا يحترم بيت الله» .

«هذا الشيخ يشوش على عقائد الناس وإيمانهم...» .

بهذه الطريقة يسعى الملالي جاهدين لخلق حاجز من عدم الثقة بين الشيخ وجموع الناس ويمهّدون الأرضية اللازمة للقضاء عليه بتعبيد الطريق لحاكم المغول لكي يزهق روحه !

كتبوا إلى السلطان المغولي بأنّ هذا الشيخ انحرف عن مذهب الحقّ لأهل السنّة والجماعة، وأنّه لا يكترث بمحاولاتهم المتكررة لإعادته إلى طريق الهدى والصواب، وهو سادر في غيّه ومستمر في التبليغ للدنيا داخل المسجد الجامع ونشر

عقائد وأفكار الرافضة، وبالتالي فهو مهدور الدم وعلى السلطان (سعيد) أن يخلص المسلمين من شرّه !

وتتسع دائرة الإشاعة وتشتدّ المساعي المحمومة لتفريق الناس من حوله ولكن دون جدوى، فلقد عثرت الطبقات المسحوقة من المجتمع في كلام هذا الشيخ على ما تريد، وغدت أقواله تنفذ إلى أعماق وجودهم وضمائرهم وتلامس آلامهم وآمالهم التي يتطلعون إليها .

وفي النهاية حدث ما كان متوقعاً في مثل هذه الحالات، ففي سحر احدى الليالي وحيث كان الناس مشتاقين إلى لقائه في المسجد والاستماع إلى مواعظه وارشاداته، وجدوه مقتولاً في باحة المسجد !

لم تكن هذه نهاية الطريق، إذ سرعان ما نهض تلميذه الشيخ حسن الجوري بأعباء الأمر، فأعلن التعبئة العامة ونظّم الجموع واعتمد مبدأ النضال السرّي، وأخذ يدور بنفسه في القرى والمدن ينشر بذور الوعي والثورة والرفض على طريقة التشيّع !

الآن أصبحت الفرصة مؤاتية للثورة، فقد بلغ النضج الفكري حدّاً كافياً، وأخذت مراجل الثورة تغلي في نفوس الناس، ولكن حجاب التقية يكبح جماح هذا الغليان الشعبي بانتظار ساعة الصفر !

وقدحةٌ واحدة تكفي !

ذات يوم، وفد ابن أخت السلطان كعادته إلى (باشتين) وهي قرية تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة سبزوار ويفصل بينهما ستة فراسخ .

دخل ابن أخت السلطان مع حاشية على بيت رجل يقال له (عبد الرزاق) وهو من غياري القرويين ممن لم يؤثر فيهم ـ بعد ـ عمليات الإذلال المتعمّد التي

تمارسها أجهزة السلطة مستعينة بالأبواق المتلبّسة بلباس الدين .

طلب طعاماً فلبّي طلبه !

طلب شراباً !

طلبه الثاني كان له وقع الصاعقة على قرويّ مسلم وشيعي من أتباع الشيخ خليفة ما زال صدى مواعظ الشيخ يدوي في أُذنيه، ولكن مع ذلك لبّى له الطلب !

دبّت الخمرة في رأس الضيوف! سكروا! وطالبوا بمؤنسات! وهاهنا يبدأ الانفجار! بسرعة وبساطةٍ بالغتين !

ذهب صاحب الدار إلى أهل القرية، ونادى بالشيعة! صرخ فيهم بأعلى صوته: ان حاكم المغول يريد فتياتكم، بماذا ستجيبون ؟

قالوا: «نصعد على أعواد المقاصل ولا نطيق هذا العار، وسيوفنا هي مؤنسات أعدائنا!» .

النتيجة واضحة، لقد صمّم الناس على شيء !

قتلوهم عن بكرة أبيهم، ولأنهم أدركوا أن لا خطّ للرجعة اختاروا الموت بلا تردّد، مما منحهم قدرة عجيبة جعلت هذه القرية الصغيرة تصمد أمام نظام دمويّ وجيش جرّار وتنتصر في خاتمة المطاف !

هجم القرويون على المدينة وأعلنوا الحرب على جيوش المغول وفتاوى وعاظ السلاطين وكان حليفهم الانتصار !

والشعار :

العدالة والنجاة !

انهارت سلطة المغول وتلاشى نفوذ الملالي وتبدّدت سطوة الطبقة المالكة والاقطاعيين .

وسرعان ما التحق بركب الثورة باقي ضحايا جور المغول وجهل الملالي، وتحولت سبزوار إلى مركز قوة وسرت الثورة في البلاد سريان النار في الهشيم...

واستوعبت ثورة الشيعة (السربدارية)[١] تمام مقاطعة خراسان والقسم الأعظم من شمال ايران وقفزت شرارتها إلى الجنوب تقدمها سيوف القرويين الأبطال وأفكار الشيخ خليفة وتلميذه البار حسن الجوري وأنصارهم من العلماء الواعين طلاب الحقيقة واليقين.

ولأول مرّة، تقوم حركة ثورة على أساس التشيّع العلوي، لتقاوم الاستعمار الخارجي والاستحمار الداخلي على حدّ سواء؛ ثورة ضد سطوة الإقطاع والرأسماليين، هدفها انقاذ الشعب المحروم، وشعارها نشر العدل وثقافة الاستشهاد، وقيادتها هم الفلاحون وغيرهم من أبناء الطبقات المسحوقة، حصل هذا قبل حوالي سبعمائة عام! وكان هو آخر تيار ثوري ذي طابع شيعي علوي؛ ويحمل هوية «التشيّع الأحمر» الذي فجّر في النفوس روح الثورة والرغبة بالتحرر وإقامة العدل ومقاومة الجور والفقر والجهل ببسالةٍ وعزم لا يلين.

وبعد ذلك التاريخ بمئة عام تقريباً، جاء الصفويون... ونزح التشيّع من «المسجد الجامع» في القرية والمدينة إلى «مسجد شاه» بجوار مقر اقامة السلطان في قصر «عالي قاپو»[٢].

وتحول التشيّع الأحمر إلى تشيّع أسود!

ومذهب الاستشهاد إلى مذهب عزاء وحداد!

---

(١) حركة شعبية يقودها رجال دين وقعت في زمان السلطان محمود الغزنوي و (السربداران) تعني رؤوس على أعواد المشانق!

(٢) قصر شاهق في مدينة أصفهان كان يمثل مركز حكومة الصفويين، وقد بنى إلى جواره مسجد فخم باسم (مسجد شاه)



التشيّع العلوي

و ....

التشيّع الصفويّ

المقدمة

بادىء بدءٍ، أقدم اعتذاري إلى السادة الحضور لأن محاضرتي ليس لها زمان محدّد، فقد تنتهي قبل الموعد المقرر وقد تطول لعدم قدرتي على حصر الكلام في مدة محددة، أنا شخصياً لا أستطيع التنبّؤ بمقدار الوقت الذي سأستغرقه في الحديث عادة، وذلك لأنّ كلّ كلام له أمد زماني يقتضيه، ولا يقدر على ضبط الحديث في مسافة معينة إلّا الخطباء الماهرون والمحترفون، أما أنا الناشيء المبتدىء فأجدني أُرخي عناني دائماً لكلامي فيقودني حيث يذهب وبالمقدار الذي يرتئيه هو لا أنا! أقول هذا لأعتذر سلفاً عمّا إذا ستكون هناك إطالة في الكلام أكثر مما هو مقرر.

ولكني أشير في الوقت ذاته ان البحث الذي سألقيه على مسامعكم هو بمثابة محاضرة ودرس ـ ولو لم يُعتَدْ هنا على إطلاق اسم المحاضرة والدرس على البحوث الملقاة في مثل هذه الليالي ـ وسيكون المخاطب الرئيسي في كلامي هم طلبة الجامعة أو الأشخاص الذين هم في مستواهم الفكري ممّن يحضرون هنا لاستماع درس ومحاضرة وليس وعظاً أو خطابة، ومعلوم ان تحمل هذا النمط من الأشخاص يكون أكثر بطبيعة الحال، ممّا سيهوّن الخطب.

سوى ذلك، فأنا مبدئياً لست خطيباً محترفاً، كما ان الذي يحضر هاهنا لا ينبغي أن يكون محترفاً للاستماع، المحترفون للاستماع والإصغاء هم أولئك المهتمّون أكثر من اي شيء بأعمالهم وحياتهم اليومية ولا يهمّهم أمر سوى ذلك،

وهم ـ عادة ـ يخصّصون ساعة من أوقاتهم للإصغاء إلى موعظة أو خطابة بضمير فارغ وبالٍ مرتاح كي يحصلوا على الثواب والأجر لقاء ذلك، وربّما أثّرت الموعظة في أحدهم وشجّعته على الإقدام على عمل خيري، ومن ثم ينصرف لمواصلة نمط حياته الرتيب والدخول في معترك المعاش حيث تدور في رأسه ألف فكرة حول مشروع تجاري أو عمراني، وبالتالي إذا طالت المحاضرة أكثر ممّا هو مقرّر يبدو وكأنه جالس على جمر يريد أن ينهي الخطيب محاضرته لكي ينطلق هو للّحاق بركب الحياة بعد أن يكون قد أرضى ضميره بالاصغاء إلى الموعظة، وأقنع نفسه بأنه فعل ما كان ينبغي عليه وكفى!

في حالة كهذه، لا يهمّ المستمع أن يتطرّق المحاضر إلى أمر جديد ويطرح عليه فكرة غير مسموعة. فالغرض الأصلي هو تحصيل الثواب، وهذا الغرض يتحقّق بمجرد الجلوس والاستماع وتذكّر الآخرة واهداء ثواب المجلس إلى أرواح موتى الحاضرين.

ومن هنا نجد ان بعض من يحترفون الإصغاء والاستماع ولهم باع طويل في هذا المضمار، يعمدون إلى استثمار وقت الخطبة في تلاوة القرآن مع أنفسهم ـ والخطيب يتكلّم ـ وفي نفس الوقت يذكرون الله عزّ وجلّ باستخدام المسبحة، وبهذه الطريقة الذكية يضربون ثلاثة عصافير بحجر واحد! فيحصلون على ثواب مجلس العزاء وثواب تلاوة القرآن وثواب ذكر الله تعالى في وقت واحد!

أما أنا فعندي جرح أئنُّ من ألمه، ولديّ خطاب ونداء وأريد مخاطَباً لا مستمعاً، أريد انساناً يتألم هو الآخر ويبحث عن جواب فوري للسؤال الملحّ الذي مفاده: ماذا يجب أن نفعل؟

وبطبيعة الحال ان شخصاً كهذا يفكر دائماً ماذا سوف أقول وليس كم سأقول!

البحث الذي ألقيته البارحة هو أحد الركائز الأساسية لبحثٍ رئيسيّ أريد هذه الليلة أن أتطرق إليه. ولعلّ البحوث التي سوف أتطرق إليها في الليالي القادمة من هذا الشهر تشكل هي أيضاً عناصر أساسية ترتبط بالبحث الذي أنا بصدد إلقائه الآن تحت عنوان: التشيّع العلوي والتشيّع الصفوي.

الخطيب اليوناني المعروف (غاردموستنس) كان شاباً ضعيفاً خجولاً جداً صوته غير جهوري وهيكله مذموم وكان لا يجيد الكلام حتى على مستوى الأطفال، وكانت اليونان في ذلك العهد قد انتشر فيها السوفسطائيون[1] وهم أشخاص ذوو حذاقة عالية في الجدال والمناقشة وكانوا قادرين ببيانهم الساحر على قلب الليل إلى نهار والنهار إلى ليل. وقد هيمن السوفسطائيون بقوة استدلالهم وسحر كلامهم على مقاليد الأمور في اليونان على كافة الأصعدة السياسية والفكرية والقضائية.

قلنا ان دموستنس كان صبياً ضعيفاً ويتيماً حرم من ارث أبيه وذلك بواسطة هؤلاء السوفسطائيين الذين كلّفوا من قبل خصوم دموستنس بالمحاماة في القضية واستطاعوا ببراعتهم في الجدال قلب الحقائق وغصب حق دموستنس لصالح خصومه في القضية، ممّا سبّب حرمانه من حقّه في الإرث، وهذه المحرومية التي نشأت بسبب السفسطة خلّفت في داخله عقدة نفسية جعلته يصمّم على تعلّم الخطابة لاسترجاع حقّه برغم ما كان يعانيه من ضعف في المظهر الخارجي واللسان.

(١) السوفسطائي: نسبة إلى السفسطة، وهي معرّب كلمة (سوفيست) اليونانية وتعني في الأصل (الحكمة) ولكن حيث ان الأشخاص الذين كانوا يحترفون السفسطة جعلوا ملاك الحق والباطل هو قناعة نفس الانسان وتطورت عقيدتهم هذه إلى مستويات خطيرة لتتحول إلى مجرّد تلاعب بالألفاظ اكتسبت كلمة السفسطة المعنى السلبي المتبادر منها إلى الأذهان.

وقد عكف لأجل بلوغ هذا الهدف على برنامج مكثف للتمرين على الخطابة إلى أن أصبح في النهاية خطيباً مفوّهاً يضرب به المثل وعدّ تاريخياً من أرباب الخطابة والبيان حتى قيل انّه اشتغل سبعة أعوام لأجل الإعداد لإحدى خطبه!

ان التمرين الذي اتبعه دموستنس يطابق شكلاً ومحتوى طريقتنا نحن في تأهيل الخطيب!

كان يذهب لوحده إلى المناطق الجبلية أو الصحراوية ويلقي خطباً رنانة على جموع افتراضية غفيرة! ويقال أنه حفر في وسط الجبل حفرة عميقة كأنها غار وعلى نحو يتيح له فقط أن يقف فيه، ونصب على جدران هذا الغار الاصطناعي الضيق أنصالاً وحراباً ومسامير من مختلف الأحجام والأشكال ونظّمها بحيث يتاح له الخطابة في مجال محدود ومقيّد لا يمكنه الخروج عنه خلال الخطابة وإلّا تعرّض لوخزة مجبراً نفسه على الالتزام بقدر من حركات الرأس والأيدي يتناسب مع مقام الخطابة فإذا ذهب في حركاته إلى أبعد ممّا يقتضيه الحال لتمرين ذلك اليوم فإنه سينال جزاءه على الفور ويفهم أنه قد بالغ في الوصف والتأشير بيديه أو هزّ رأسه أكثر ممّا يتطلب الموقف، وبمرور الوقت ومع كثرة التمارين تولّدت لديه ملكة خطابية معينة تطابق ما هو موجود لدى أكثر الخطباء المعروفين ومن شأنها أن تجلب استحسان الكثيرين!

إن أوضاعنا الحالية في حقل الخطابة والتدريس تشابه إلى حد بعيد الوضع الذي لجأ إليه دموستنس في ذلك الغار الضيق المليء بالأشواك والصخور الحادة، إذ كلّما تطرّقنا إلى قضية حساسة نجد ان سهام النقد والتجريح تنهال علينا من كل جانب، وكلّما تعمّقنا في طرح موضوع معيّن أكثر من الحدّ المعتاد وخرجنا عن

اطار الفئوية والتعصّب والجمود إذا بالحراب تتوجّه إلينا محذّرة إيّانا من مغبّة مواصلة الطريق حتى النهاية، تارة من اليمين وأُخرى تأتي من الشمال ممّا يضطرنا في الواقع إلى معالجة الموقف باستخدام تعبير جديد أو ترك الموضوع وطرح آخر مكانه، وبنتيجة ذلك فاننا ملزمون في هذا الغار الضيق (غار دموستنس) أن نراعي كلّ الأمزجة والأذواق والتوجّهات لكي لا نغضب أحداً .

هذا الأمر يبدو عسيراً في الغالب وربما يتعذّر في بعض الأوقات، ومما يبعث على الأسف كثيراً اننا قد نتأقلم بعد حين على هذا المنوال من الخطابة ونعتاد مثل (دموستنس) على التحدث بصورة (متعقلة) ترضي الجميع على اختلاف توجهاتهم وأنماطهم في الفكر والسلوك، وبدلاً من أن نسخطهم نحرص على كسب ودّهم وتعاطفهم معنا وربّما مكافأتهم لنا بالخير، حينها نكون قد أصبحنا خطباء بارعين مفوّهين، ولكن أي خطباء ؟!

ذات يوم، نصحني أحد أصدقائي طالباً مني أن أتنبه إلى فحوى ما أقول والتزم عدم إثارة استياء أحد، وقد ضرب لي ـ مثالاً ـ شخصاً آخر مارس مهنة الخطابة لمدة ثلاثين عاماً دون أن ينتقده أحد طوال هذه الفترة، بينما ما أن أتكلم أنا إذا بسهام النقد والاعتراض تستهدفني من كلّ حدب وصوب وربّما جاءتني من مواقع متضادة وتقف فيما بينها على طرفي نقيض !

قلت لصاحبي: انّ غاية ما أخشاه أن يكون مصيري هو مثل ذلك الشخص، وأبتلي بمصيبة (الخطابة في غار دموستنس) والتي من شأنها تحويلي إلى خطيب مثل صاحبك له قدرة على الخطابة ثلاثين عاماً دون أن يثير حفيظة شخص أو جهة أو مركز قرار !

إذا كان ثمة من يتكلّم ثلاثين سنة دون أن يوجّه إليه نقد من أحد فالسبب في

الحقيقة يرجع إلى ان هذا الانسان تكلم ثلاثين سنة دون أن يوصل سامعيه إلى أي نتيجة !

والواقع أن أحد الفوارق بين التشيّع العلوي والصفوي تكمن في هذا المجال ؛ وهو فرق رئيسي بلا شك !

لقد كان هذا الصديق الناصح من زمرة أولئك الذين يسدّون نقصهم ويعالجون عقدة الشعور بالذنب في أنفسهم من خلال توجيه النصائح إلى الآخـرين؛ أولئك الناصحون (المحترفون) الذين يغرقون المقابل بسيل من النصائح العقلانية المنطلقة من الشعور بالحرص وتقدير المصلحة وطلب العافية والسلامة والتفكير بـما هـو أبعد، هؤلاء الناصحون ـ الذين هم في الواقع أحوج من غـيرهم إلى النـصيحة ـ يدعونك إلى الحديث بطريقة لا تضمن لك سكوت الآخرين فـحسب، بـل ربّـما أثارت إعجابهم واستحسانهم وأسفرت عن تحصيل مقام اجتماعي بارز للمتكلّم في أوساط المجتمع وبين أصحاب الجاه والنفوذ.

عليك ـ والكلام لصاحبي ـ أن تتكلّم وتخطب عـلى النـحو الذي يـرضي المدّعي والمدّعى عليه لكي لا يغضب أحدهما عليك، بل ربّما وصل خيره إليك! كيف تكون خبيراً في علم الاجتماع فـي حـال ليست لديك أي خـبرة ومـعرفة بالمجتمع الذي تعيش بين ظهرانيه؟ وبدلاً من أن ترضي جميع الجهات والأطراق عنك تؤلّبهم جميعاً عليك ! هل من الانصاف أن يمضي الانسان عمره في خـدمة المذهب ولا يسمع من أبـناء مـذهبه سـوى النـقد والتـهمة والبـهتان والتـجريح والمعاندة؟ إلى متى؟! بأي لغة اتحدث إليك لكـي تـفهمني ـ والكـلام مـا يـزال لصاحبي ـ إذا كنت خبيراً في شؤون الناس والمجتمع فلماذا لا تتحدّث وتتصرف بطريقة ترضي الجميع، وأعني بالجميع أولئك الذين يـعتبرون قـدوةً لدى العـوام،

دعْهم يرضوا عنك، تزاور معهم، تجنّب توجيه النقد إليهم، فإذا رضي عنك هؤلاء ضمنت رضا العوام وأمنت غضبهم، لا تجرِ على لسانك كلّ ما يخطر في بالك!...

لا تصرّح بكل العوامل التي تقف وراء تعاسة المجتمع والدين. ينبغي عليك أن تراعي مصالح أصحاب النفوذ وحدود صلاحياتهم، هذه الأُمور ليست صعبة عليك، كلّ ما تحتاجه هو قليل من النضج والنباهة، هؤلاء هم الذين أثاروا كلّ هذا الضجيج ضدك: واإسلاماه... واإماماه! وزّعوا المنشورات ولفّقوا التهم ضدّك وحرّفوا أقوالك أو نقلوها مبتورة ليألّبوا ضدّك العوام، وقد رأيت أنّهم مستعدون لفعل أي شيء يحقق لهم أهدافهم ومآربهم بمجرّد أن يشعروا بالخطر على مصالحهم وانّك تزاحمهم في مناطق نفوذهم، انّ ابتسامة واحدة منك بوجه هؤلاء كفيلة بتغيير مواقفهم منك (١٨٠) درجة! جرّب ذلك مرّة واحدة وسوف ترى صحة رأيي...

حاول في احدى محاضراتك أن تعرّج بمناسبة أو غيرها على واحد منهم، فتذكره بخير، وقل مثلاً ان فلاناً من أولياء الله وعباده الصالحين، وعبِّر عن فلان بأنه حجة الاسلام والمسلمين، سرعان ما تجني ثماراً مضاعفة! سيدي ان عالم الاجتماع جدير بأن يدرك مقتضيات وخصائص المجتمع الذي يعيش فيه: ماذا يحبّ؟ مِمّ يتحسّس؟ وعليك أن تأخذ بنظر الاعتبار دائماً ان المراد بالمجتمع ليسوا هم عوام الناس بل أولئك الذين لديهم القدرة على التلاعب بعواطف الناس وأفكارهم، لأنّ رأي أولئك يمثّل في المحصلة رأي المجتمع برمّته، وعليك بضمان ودّ ورضا هؤلاء دون غيرهم لكي تحصل على رضا المجتمع بأكمله...

...ان لهؤلاء أثراً واضحاً في تحديد حيثية الانسان ودرجة وجاهته الاجتماعية، دع عنك تتبّع عثرات الناس، فلان جيد، وفلان سيء، ما لك ولهذا

الكلام؟! أنا وأنت لسنا مسؤولين عن الناس، الله يحكم بين عباده! وعليك كخبير بالاجتماع أن تدرك أين تكمن المصلحة، وما هي العناصر المؤثرة في تسيير أمور المجتمع، وعليك أن تراعي كلّ تلك العناصر وتتجنب إثارة حفيظتها ضدّك، بل احرص قدر الامكان على كسب ودّها ورضاها والتقرّب إليها بشتى الطرق والأساليب، وذلك لكي يترسخ موقعك الاجتماعي ويكون لديك أكثر من نقطة قوة وارتكاز، وحظوة لدى مختلف شرائح المجتمع وأوساطه وطبقاته من التجار والوجهاء ورجال الأعمال وأصحاب النفوذ السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وبعبارة واحدة تضمن رضا وتأييد العوام والخواص والراعي والرعية، وهكذا يكون بمقدورك أن تصل إلى أهدافك لا بالاعتماد على بضعة طلاب جامعيين ومجموعة من الشباب الطائش!...

...وإذا أردت أن أتحدث إليك بلغة الدين لا بلغة علم الاجتماع فسوف أكتفي بالقول انّ الأئمّة ماذا كانوا يعملون، وما هي سيرتهم في هذا المجال؟ ذات يوم عيد، جلس الخليفة ليستقبل المهنئين من رجال البلاط والأعوان وكبار المسؤولين، فما كان من الامام إلّا أن يحضر إلى جانب هؤلاء لتهنئة الخليفة الغاصب ويقف في صفّ المهنئين، حتى وصلت النوبة إليه فإذا به يهوي ببدنه على الخليفة ويلصق بطنه ببطنه! تعجب الخليفة من فعل الامام فسأله عن السرّ فيما أقدم عليه، فأجابه الامام بانّه سمع من النبي بانّ الرحم إذا مست الرحم قرّت وسكنت وأنّه أراد بذلك أن يمسّ جسد ابن عمّه مخافة أن يكون قد غضب عليه!...

...عليك أن تطّلع على الأحاديث والروايات الصادرة عن أهل البيت (ع)، أنت تفعل ذلك، ولكن عليك أن تعيش في جوّ هذه الروايات لكي تدرك ـ أكثر ـ معارف أهل البيت وتستشعر روح الإمامة والولاية والتشيّع...

...أليس يوجد عندنا في الروايات التاريخية موارد كثيرة صريحة في أنّ الأئمّة كانوا يصدرون فتاوى على خلاف الواقع عملاً بالتقيّة ؟ بلى، يا صديقي، ان هذه هي طريقة أهل البيت (ع) في مقابل الخليفة الجائر الغاصب لحقّهم. لماذا؟ السبب واضح لأنّ كلّ شيء كان بيد الخليفة. ولذلك فانني لا أريد أن أدخل معك الآن في بحث لإثبات أنّك على حقّ أو لست كذلك. إنما أقول ان على الخبير بأمر مجتمعه وهو في الوقت ذاته شيعيّ يؤمن بمنهج أهل البيت، أن يدرس الظروف المحيطة به ليعرف أي حديث يناسب وضع المجتمع ويؤثر في شرائحه وطبقاته أكثر، وأين يكون الصلاح في القول والعمل، وما هي الأمزجة والأذواق الحاكمة على المناخ الاجتماعي العام، وعليه، في ضوء ذلك، أن يكون حاذقاً في انتقاء المواضيع التي يلقيها في البحث بل عليه فوق ذلك أن يدقّق في شكل العبارات التي يستخدمها في التعبير عمّا يريد! وهكذا يكون بوسعه أن يؤثر في شتى الأجنحة والاتجاهات بأسلوب عاقل ومتّزن، ويحفظ نفسه من شرور الأفراد المتنفذين، صالحين كانوا أم طالحين، المهم أنهم ذوو سلطة ونفوذ، وثمة من يتّبعهم وينعق وراءهم. بهذه الطريقة يستطيع أن يحفظ شأنه وحيثيته وموقعه الاجتماعي وفي نفس الوقت يمارس واجبه الديني والتربوي بلا مشاكل وعراقيل، حيث سيصبح الجميع معه، يؤيدونه ويدعمونه في مواقفه. ولن تأتيه الضربات من القاصي والداني والبعيد والقريب ؛ ومن الكافر والمؤمن والسنّي والشيعي على حد السواء! ولن يبقى بمفرده معزولاً عن الطبقة الاجتماعية الموقرة وليس له من الأصحاب إلّا بضعة شباب!

قلت لصاحبي: يا شيخي الناصح الحكيم!

ايها الخبير الاجتماعي والشيعي العارف بشؤون الأئمّة! انني لا أتحرق ألماً

على نفسي بل على علي (ع) لأنّه لم يبق إلى زماننا هذا ليستفيد من نصائحك! فعليّ لم يكن ـ مثلك ـ خبيراً في الاجتماع ولا كان يعيش ـ بقدرك ـ في مناخ روايات أهل البيت، ولذلك كان يصدح بكل ما يدور في خلده من قضايا وهموم، وقد عانى ما عاناه بسبب عدم إدراكه لضرورة تجنّب التصريح بمثل تلك الأُمور، كان ينتقد ويعترض ويواجه كبار صحابة النبي وأصحاب الشأن والقداسة بين المسلمين وأصحاب التأريخ الجهادي الطويل وحفظة القرآن وجهابذة العقل واللسان، وبالتالي خرجوا عليه وتركوه وحيداً أمام العدو المشترك، بل شاركوا في طعنه من الخلف، وقف أمام جهاز بني أُمية المدجّج بالمال والجاه والسلاح، وإذا بأعز إخوانه وأقرب المقرّبين إليه ممن عايشوه طوال عقدين من الزمن ونيّف ينفصلون عن معسكره ويلتحقون بمعكسر الأعداء! لم يكن عليّ (ع) ينظر بعين المصلحة للأُمور حتى أنّ أخاه الأكبر لم يتحمّل تصرفاته بعد أن كواه بحديدة حارة فتركه والتحق بمعاوية.[1]

هيهات! لو كان علي موجوداً ليستمع إلى هذه النصائح والإرشادات التي تكشف عن دراسة وخبرة عاليتين في المجال العلمي والاجتماعي، بالتأكيد كان سينجح وينتصر لو عمل بهذه التوجيهات، ولأصبح من أبرز الخلفاء والخطباء والشخصيات المحترمة في تاريخ الاسلام! ولما بقي في المجتمع لوحده بعد ٢٣ عاماً قضاها في الجهاد وخدمة الدين والمسلمَين، ولما تعرّض لطعون الأعداء والأصدقاء، والعوام والخواص، الصالح والطالح، المؤمن والمشرك، والقريب

(١) يعتقد بعض العلماء انّ عقيلاً التحق بمعاوية من بعد شهادة علي (ع)، وأنا اعتقد ان هذه محاولة بائسة لتبرئة ساحة عقيل، إذ بعد شهادة علي (ع) كانت الحكومة أيضاً بيد الإمام الحسن (ع) فالإشكال باق على حاله إذ الالتحاق بمعاوية في أي زمن لا يمكن أن يبرّىء ساحة صاحبه.

والبعيد. ولما اتفق المجاهد والمنافق والموحد والمشرك على طمس حقيقته وغصب حقّه وتشويه تاريخه!

لو كان عليّ خبيراً ـ مثلك يا صاحبي ـ في شؤون المجتمع وعارفاً بأمور المسلمين في صدر الاسلام، لما ظلّ وحيداً فريداً ليس معه سوى أربعة أنفار لا قيمة لهم ولا شأن ولا اعتبار؛ أبو ذر الاعرابيّ، وسلمان الغريب، وبلال المملوك، وميثم التمّار!

ان الشيعي العلوي هو الذي يسير على خطى ونهج عليّ، وعلى قدر قابلياته واستعداده، ولا يمكن أن نتوخى لشيعي كهذا أن يكون له مصير أفضل من مصير عليّ في مجتمع أسوأ من المجتمع الذي عاش فيه عليّ، وإذا كنا نسمع ونرى بانّ فلاناً الخطيب المتفوّه مورد رضا لدى الجميع ولا يسخط عليه أحد، بل تقبله جميع الشرائح والأصناف حتى لو كانت على طرفي نقيض، وهو قادر على مراعاة مختلف الطبائع والمذاقات دون أن يثير حفيظة أحد أو يؤلّب على نفسه أحداً من التجار أو الشخصيات الكبار من وجهاء قريش أو جبابرة بني أُميّة أو جهلة النهروان أو أصحاب القداسة وسيماء الصلاح!

إذا ما حصل هذا فاعلموا ـ يا أحبتي ـ علم يقين بانّ هذا الشخص شيعي! ولكن ليس شيعياً علوياً إنّما هو شيعيّ على خطى شاه عباس!

انّه يتبع الشاه عباس[1] بدلاً من اتباعه لعليّ! انّه نهج السقيفة الذي يقتضي مراعاة الجميع وحفظ ودّ الجميع وعدم اثارة الجميع والعمل على ضوء المصالح لا المبادىء!

---

(١) أحد السلاطين الصفويين.

وأساساً ان الفارق الجوهري بين خط علي وخط أبي بكر يتمثل في هذه النقطة ؛ مراعاة المصالح أم المبادىء. في منهج أبي بكر لا بدّ من إعطاء شيء لعبدالرحمن بن عوف لكبح جماح شغفه العارم بالأموال! وهو بلا شكّ شخصية ذات نفوذ ومن قبيلة فيها رجال أصحاب وزن وتاريخ من امثال سعد بن أبي وقاص، لذا يجب العمل على ارضائه لكي لا يتسبّب في إيقاع بلبلة ومشاكل.

أما بنو أُميّة فصحيح انّهم يكنّون عداءاً تاريخياً للإسلام وكل المصائب التي جرت على الدين كان لهم فيها اليد الطولى ولكنهم أيضاً أصحاب قدرة ونفوذ ولا يمكن تجاهلهم، والأنسب أن تمنح لهم حكومة الشام من أجل إسكاتهم ولو مؤقتاً!

أما خالد القائد الذي قَتَل مالك بن نويرة وضاجع زوجته الفاتنة في نفس الليلة، فلا بدّ أيضاً من كسبه أو تحييده على الأقل فهو قائد عسكري مرموق ومقاتل بطل، ولا ضرورة لإقامة الحدّ عليه، بل في ذلك خطورة، والفرق كبير جداً بين أن يكون خالد معنا أو أن يكون ضدّنا!

بلى، من المؤكد في حالة كهذه أن تجتمع الآراء لمصلحة رجل يقدّر المصلحة ويعرف طبيعة المجتمع. أمّا عليّ الذي لا يكترث بكل هذه الأُمور ولا يعير لها وزناً فمن دون شكّ، سيبقى وحيداً!

مذهب (الخاكشيرية)!

أظنكم سمعتم بقصة عامل حمّام كانت وظيفته التدليك، في قديم الزمان ومنذ كان في الحمام أربعون عموداً ونافذة، كان المدلكّون يتّسمون في الغالب بخبرة عالية في جميع مجالات الحرف والفنون، وسبب ذلك ان الشخص الذي كان يرتاد الحمام ويجلس بين يدي المدلّك لساعات كان يمضي ذلك الوقت في

التحدث بشؤون صنعته وهمومها لكي لا يشعر بطول الوقت، والعامل ينصت للجميع، وذات يوم وبينما كان المدلّك مشغولاً بحكّ بدن أحد الزبائن شكا الزبون للمدلّك معاناته من ألم شديد في الظهر حرمه القدرة على النوم ولم ينفع معه أي دواء...

قال له عامل الحمّام: بالمناسبة، لديّ علاج بسيط جداً لألم ظهرك، خذ قليلاً من (الخاكشير)[1] ونقّعه في الماء ليلة كاملة وتناوله في الصباح الباكر!

شكر الزبون العامل على هذه الوصفة السريعة، وبعد قليل عاود الزبون الشكوى قائلاً: لا أدري ان كانت هذه من علامات الهرم والشيخوخة أم لا، فإنّ بصري ضعيف ويقول الطبيب انّ عليَّ ان أرتدي نظارة! وأنا لا أطيق النظارات ولا أدري ماذا أفعل، وخصوصاً أني أحبّ تلاوة القرآن.

قاطعه المدلّك بالقول: لديَّ علاج مجرّب لهذه المشكلة أيضاً، خذ قليلاً من (الخاكشير) ونقّعه في الماء حتى الصباح ثمّ اشربه قبل تناول الفطور، إذا عملت هذا ثلاث ليالٍ ستشفى إن شاء الله.

ولا يمرّ وقت طويل إذا بالزبون يجدّد شكوىً بعد أُخرى، والعامل يصف له ذات العلاج، فما كان من الزبون بعد أن سئم من طريقة العامل إلّا أن يغيّر مجرى الحديث، فقال:

لقد تبدّل نمط الحياة هذه الأيام، فلقد كنت أعيش حياة مرفّهة بأقلّ من هذه الأجور التي أتقاضاها اليوم، والآن ازدادت الرواتب والأجور، ومع ذلك فقد أصبحت أربط لحيةً بأخرى لأجل تمشية أُمور المعاش دون جدوى وتراني أتهرّب

---

(١) ويسمّى بالخوبة أيضاً، وهو نبات شبيه بالسمسم ينفع شاربه في إزالة الحمى وغيرها.

ممّن لهم عليَّ ديون ولا أكاد أخرج من داري !

قاطعه المدلّك كعادته قائلاً: خذ قليلاً من الخاكشير ونقعه في الليل و...

هنا انتفض الزبون بوجه العامل صائحاً: ما هذا الدواء الذي يصلح لعلاج ألم الظهر وضعف البصر وتسديد الديون ؟!

فأجابه المدلّك: مهلاً عليك ـ سيدي ـ فقد مضت عليّ ثلاثون سنة وأنا انقّع الخاكشير ليلاً واتناوله وجه الصباح دون أن أرى أي مكروه !

نعم، هوذا مذهب (التشيّع الخاكشيري) ومذهب (أصالة الخاكشير)، ان عنوان «التشيّع الصفوي والتشيّع العلوي» يفصح بذاته عن الفرضية القائلة بوجود نمطين من التشيّع، ولهذين النمطين نمطان من التوابع والأنصار. وأنا الآن بصدد بيان المبادىء العامة لكلا المذهبين والمدرستين ؛ مدرسة التشيّع العلوي ومدرسة التشيّع الصفوي وذلك ضمن مواصلتي لسلسة دروس (تاريخ الأديان) .

ولكن دعوني أولاً أتعرض لمبدأ من مبادىء علم الاجتماع سيكون له دور في توضيح المواضيع اللاحقة :

الحركة والنظام:

ثمة مبدأ يتمّ التعاطي معه كثيراً على صعيد علم الاجتماع، وهو مبدأ تحول الحركة الى نظام (Movement to Instirtution)، وحاصله انّه تظهر أحياناً في المجتمع حركة تحمل أفكاراً وعقائد وتطلعات، وعادة ما يكون وراء هذه الحركة عناصر شابة تنشط في التحرك وتميل الى التغيير والتجديد.

الحركة أو النهضة هي في الواقع عبارة عن مناخ اجتماعي متطلع إلى التغيير،

وأتباعها يوظّفون كلّ حركاتهم وسكناتهم وأفكارهم وشعاراتهم لخدمة الهدف الذي يصبون الى تحقيقه، ويجعلون كلّ شيء بمنزلة الوسيلة الى تحقق ذلك الهدف الذي قامت النهضة من أجل الوصول إليه، ولكن هذه النهضة بمجرّد وصولها إلى حدّ معيّن واصطدامها بعراقيل وموانع ذاتية أو خارجية تبدأ بالتوقف والجمود وتنسلخ عن طابعها الحركي التغييري، وهاهنا تبدأ الأزمة !

اذن، من خصائص النهضة، أي نهضة، أن تبدأ وهي تحمل توجّهاً حركياً يوظّف كلّ شيء لتحقيق الهدف المنشود، هذا أوّلاً، وثانياً انّها سوف تصطدم ـ لا محالة ـ بموانع وعراقيل ذاتية، وسوف تنسلخ عن طابعها التجديدي لتعود جامدة حالها حال الوضع الذي ثارت عليه وقامت من أجل تغييره.

كلّ مذهب أو مدرسة اجتماعية أو دينية أو طبقية أو قومية، تظهر إلى عرصة الوجود على أساس تلبية متطلبات زمانية أو طبقية أو قومية معينة وتدفع أتباعها ومريديها نحو العمل من أجل تحقيق هذه الآمال والتطلعات وتجسيد الشعرات التي يحملها المذهب الحركي أو المدرسة التغييرية وتواصل هذه الحركة سيرها باندفاع ورغبة جامحة في كسر القيود وتحطيم الحواجز التي تعترض طريقها وعادة ما تكتسب طابعاً نقدياً عنيفاً وتحتجّ على كلّ شيء وتقترح بديلاً عن كلّ حالة راهنة ووضع موجود.

فإذا تحقّق لها ما تريد وحصل التحول الاجتماعي الذي كانت ترنو إليه ووصلت إلى أهدافها كلاً أو بعضاً، أو أنها لم تصل إلى الهدف ولكن وصلت إلى أوج قدرتها وبلغت نقطة الـ (Maximum) في الخط البياني لنشوئها ونموّها، وقتئذٍ، تنطفيء جذوة التغيير في نفوس أصحابها، فلقد وضعت الحرب أوزارها ولم يعد ثمة ما يقف في طريق الثائرين، فعلام التوتر والانفعال ؟! آنذاك تبدأ الحالة الثورية

بالضمور تدريجياً إلى أن تتلاشى نهائياً !

وتتحول الحركة إلى نظام ذي طابع محافظ، فلقد انتقل أتباع الحركة من خندق المعارضة إلى فندق السلطة، وبطبيعة الحال، ستظهر لديهم نزعة في الحفاظ على موقعهم السياسي والاجتماعي ضد الأخطار التي تحيق به، ومن الآن فصاعداً سوف ينظرون إلى أي حركة تجديدية على أنّها مظهر من مظاهر المؤامرة التي تستهدف تقويض أركان النظام وسيُحكم على أتباع الحركة الجديدة بالتمرّد والغوغائية وتلصق بهم تهمة الخيانة العظمى تمهيداً لإنزال أقسى العقوبات بحقهم.

إذا قرأنا التاريخ من زاوية اجتماعية يمكن أن نعثر على شواهد كثيرة تؤيد مبدأ تحول الحركة إلى نظام ثابت وكيان اجتماعي جامد يخيّم على المجتمع ويهيمن عليه كقوة منظمة تبدو في أوج قدرتها ونشاطها وحيويتها ولكنها في الواقع قد بلغت نقطة التوقف والركود.

تاريخياً، يمكن أن نعثر على أمثلة كثيرة تؤيد هذا التصور، على سبيل المثال الديانة الزردشتية التي كانت في العصر «الأشكاني»[1] في خندق المعارضة وكانت تمثل جبهة الثورة والتغيير ضد النظام السائد، ولكنها ما لبثت أن تقمصت دور السلطة الحاكمة بعدما هيمنت على مقاليد الأُمور في العصر الساساني وتحوّلت من جبهة المعارضة إلى جبهة الدولة ووصلت إلى أوج عظمتها السياسية وازدهر موقعها الاجتماعي والديني وشيّدت لها المعابد الفخمة وبات لها مطلق الحرية في أداء مناسكها العبادية في ايران واضرمت نيرانها(المقدسة) في كلّ حدب وصوب.

---

(١) الأشكانيون طبقة من ملوك العجم كانت تحكم ايران قبل الإسلام، ولغتهم البهلوية وديانتهم الزردشتية.

هناك، دبّ الجمود في شريان حياة «زردشت» وغدا هذا المذهب الذي بدأ قوةً إيمانية متحركة، كياناً جامداً محافظاً على الوضع الراهن وغير منسجم مع أي توجه اجتماعي جديد، وغير قادر على التأقلم مع حاجات الجيل الجديد الذي ظهر من صميم الحركة الأُولى وهو يحمل بذور الحركة والتجديد.

هكذا يعجز النظام الحالي عن تلبية تطلعات النشىء الجديد، بل سيقف سداً منيعاً بوجه تلك التطلعات، ويفقد تدريجياً سيطرته على القلوب مكتفياً بسيطرته على مقاليد السلطة ومراكز القرار، ومن ثمّ تلوح في الأفق بوادر نهضة جديدة وانقلاب ثانٍ.

بهذا التحليل، يمكن تفكيك لغز التناقض المشهود ـ تاريخياً ـ بخصوص العهد الساساني حيث كان الزرادشتية في أوج عظمتهم وثباتهم خاصة في عهد (انوشيروان)[١]، ومع ذلك، ظهر في ذلك الوقت (ماني)[٢] و (مزدك)[٣] وتوسعوا في النفوذ على حساب الزرادشة بشكل مذهل، فلقد سرت دعوتهم بين أوساط الناس

---

(١) وهو الملك الفارسي العادل.

(٢) ماني: اسم رسّام ظهر في زمان (أردشير) وبعضهم يقول بل في زمان الملك (بهرام)، ظهر بعد عيسى (ع)، وقد قتله (بهرام بن هرمز). اسم كتابه (أرزنك) وعقائده مزيج من عقائد الزردشتيين واليهود والمسيحيين. يقال ان أمه من نسل الملوك الأشكانيين، وأباه من رجالات (همدان)، هاجر إلى (بابل) وولد (ماني) في تلك البلاد عام ٢١٦ م، ادعى النبوة بعد ان اطلع على الأديان الموجودة وسمّى نفسه (فار قليط) الذي أخبر عنه المسيح. ومن أقوال ماني: «يبشّر الأنبياء بأوامر الأله أحياناً من الهند بواسطة (زردشت) والآن أرسلني الله لنشر دين الحق في بابل» و «أرسلني الله نبياً من بابل حتى تصل دعوتي العالم أجمع».

(٣) مزدك: ظهر هذا الشخص في الطرف الشرقي من نهر دجلة في بلدة اسمها (ماذرايا) وذلك في زمان الملك (قباذ) والد (أنوشروان) الذي بدأ حكمه سنة ٤٨٨ م، وقد كان دينه إصلاحاً لدين (ماني).

خصوصاً الشرائح الشابة بحيث بوسعنا القول ان (ماني) قد استقطب ما نسمّيهم اليوم بالعناصر المستنيرة والمثقفين والنخبة بينما التفّ عموم الناس حول (مزدك) بشكل لا نظير له .

ان هذا التناقض ـ الانكسار في أوج الانتصار ـ يعكس حقيقة واقعية مفادها ان المذهب الزردشتي قد توقف عن الحركة وهو في أوج عظمته ، والسرّ في ذلك ان حركتهُ قد تبدّلت إلى نظام فتوقفت عن الحركة ! وكنتيجة طبيعية لذلك ظهرت حركات دينية واجتماعية مناوئة للديانة الزردشتية وتطالب بتغييرها .

المسألة واضحة جداً ، ففي إبان العهد الأشكاني كانت الديانة الزردشتية ديانة ضعيفة محدودة التداول ولهذا لم يقف بوجهها الأنبياء ولا المتنبئون ولم تشنّ عليه الحملات من قبل المدارس الدينية والفكرية والعقائدية السائدة آنذاك ، ما أدّى بالتالي إلى إن تتغلغل الديانة الزردشتية في أوساط الناس بهدوء ومن غير جلبة أو ضوضاء . أما في أبان العهد الساساني وبعد أن تحول دين زردشت إلى دين رسمي للدولة وتسلّق إلى مراكز القرار وأصبحت العائلة المالكة تمارس بنفسها دور رجال الدين ، وأمسى أولاد ساسان هم كهنة معبد (استخر)[1] الكبير وصارت نهضتهم نهضة دينية ورسالتهم احياء الديانة الزردشتية ، وهيمن الكهنة على أعلى مراكز القرار بحيث أصبح قرار السلطان بأيديهم ولا يمرّ إلّا عبرهم ، وأصبحوا مظهر قدرة سياسية واقتصادية ودينية ، وفي نفس الوقت تسندهم قوة الحكومة وتضع تحت تصرّفهم شتى الوسائل والأساليب الكفيلة بفرض اراداتهم على الجميع ، وهيمنوا على القسم الأكبر من الممتلكات والأراضي الزراعية ، وتألقت في عهدهم معابد النار وشبّت ألسنة نيرانها إلى عباب السماء ، وتشكلت في وقتهم أكبر امبراطورية

(١) اسم حصن في فارس ، وسمّي بذلك لأنّ فيه مسبحاً عظيماً .

تقوم على أساس الدين، وقام كبير الكهنة الزردشتيين بتتويج ملك الملوك الساسانيين بتخويل من الإله (أهورامزدا)[١] ليتسنى له فرض سيطرته على أكثر من نصف العالم المتمدن آنذاك، وليصبح الدين الزردشتي ولأول مرة ديناً رسمياً للبلاد، في تلك اللحظة بدأ العدّ التنازلي لعملية الانهيار، لقد فقد الدين الزردشتي جاذبيته في نفوس الناس وبدأ يتآكل من الأعماق، في الظاهر كان هيكلاً عظيماً يزداد انتفاخاً يوماً بعد يوم ولكنه خاوٍ من الداخل وخالٍ من أي محتوى ومضمون فكري أو روحي، وفقد الحيوية والنشاط والقدرة على مواصلة التحرك، وذلك ان هذا الدين الذي بدأ مظهراً من مظاهر الايمان ودعوة للهداية تضرم نار الحبّ في نفوس الناس وتحثّهم على الحركة والعمل بمثابرة ونشاط، وتنفذ في أعماق قلوبهم وتحاكي ضمائرهم، قد تحوّل الآن إلى كيان قوة ونظام حكم ومجموعة من الطقوس والمراسيم والممارسات التقليدية تؤدّىٰ بأسلوب رتيب ومتحجر بلا جدوى ولا طائل من ورائه. وهكذا نرى ان الدين الزردشتي تحول من مذهب روحي إلى تمثال من الحديد وتحوّل إلى بناء فخم ولكنه خاوٍ ومتآكل من الأعماق تكفي لسقوطه أن تصرخ به حركتان ناشئتان قادهما (ماني) و (مزدك)، ومن بعدهما جاءت الصفعة من يد عربيّ قادم من بطون البادية وكانت كافية لتحقّق الانهيار التام لذلك القصر المنخور، ولتجد الدعوة الاسلامية فرصة ذهبية لاستثمار الفراغ الفكري والاجتماعي في أمة (زردشت) والمدهش اننا لدى استقراء تاريخ ايران لا نجد سوى نهضتين دينيتين تبلورتا في رحم المجتمع الايراني، وكلاهما تمرّدتا

---

(١) مركبة من (أهورا) خالق الروح والحياة و (مزدا): صفة أهورا، كما ان (مزدا) مركبة من (مه) وتعني عظيم و (زدا) وتعني العالم المطلق، ومعنى الكلمة بشكل عام عند الزردشتيين أنّه وجود غير مرئي وخالق للحياة وواحد لا شريك له وعظيم وعالم

على الديانة الزردشتية عندما كانت في أوج ازدهارها واقتدارها، والمثير للدهشة أكثر ان الديانة الزرادشتية انهارت وهي في أوجّ عظمتها وجبروتها، وخضعت للاسلام في حال كانت تمتلك أقوى العساكر والجيوش، وتعتبر واحدة من أكبر القوى العظمى في العالم آنذاك، والأعجب من ذلك كلّه ان الاسلام كان في ذلك الحين في أضعف حالاته وكان هو الأقل عدداً وعدة وثروة واقتداراً.

هذا هو الفرق الأساس بين (الايمان المتحرك ـ Movement) والايمان المتحجّر (Institution)، ولو كان لديّ مجال كافٍ لكنت أثبتّ لكم ان الاسلام لو لم يكن قد هاجم الديانة الزرادشتية في القرن السابع، ولو كان انوشيروان نجح في قمع نهضة (مزدك) من خلال حملات الابادة الجماعية التي كان يرتكبها بحقهم ـ قتل عشرين ألف نسمة منهم في يوم واحد ـ ولو استطاع الزرادشتة ـ كهنة واقطاعيين ـ ايقاف الزحف البوذي القادم من جهة الشمال الشرقي والمتمكن من التغلل بسرعة إلى أعمال خراسان وافغانستان ليصل إلى (بلخ) احدى المراكز الدينية والثقافية القديمة للديانة الزرادشتية ويقيم معبداً بوذياً على أنقاض معبد (نوبهار)[1] ذي الشهرة البالغة على ألسنة شعراء ايران وادبائها، ولو تمكنت المؤسسة الدينية الزرادشتية من اجتثاث جذور الوجود (المانويّ) في ايران والذي كان له نفوذ عميق على الصعيد الفكري والثقافي ووصلت آثاره إلى تخوم الصين ولم يتوقف عن التوسّع حتى بعد ظهور الاسلام بعدة قرون...

أقول: لو حصل كلّ ذلك ولو من باب فرض المحال، واستطاعت الزرادشتية الوقوف بوجه هذه الأخطار جميعاً، مع ذلك فانّ مصيرها سيكون إلى الزوال

---

(١) اسم معبد الناس الذي بناه (برمك) جدّ البرامكة في مدينة (بلخ) وبعضهم يقول هو اسم معبد البوذائيين.

والاندثار، هذه المرّة عن طريق المسيحية التي كانت مرشّحةً في ذلك الحين للانتشار في ايران، خاصة المناطق الغربية والشمال ـ غربية، والسريان فيها سريان النار في الهشيم، ثمّ إلحاق هزيمة ماحقة بالمذهب الزرادشتي الذي كان قد خرج من قلوب الناس ليتربّع على رؤوسهم، ولألقت المسيحية بالزرادشتية في أحد مواقد نارها وحوّلتها إلى رماد تذروه الرياح.

ويكفينا لمعرفة مدى النفوذ الذي اتسمت به المسيحية في ذلك الزمان، الإشارة إلى ان (المدائن) العاصمة الرسمية والدينية للحكم الساساني تحوّلت إلى واحدة من أكبر حواضر الترويج للمسيحية على صعيد العالم بأسره شأنها في ذلك شأن القسطنطينية في القرون الوسطى، وروما في عصرنا الحاضر، وذلك بالرغم من ان الامبراطوريتين الايرانية الزرادشتية والرومانية المسيحية قد أضفيتا طابعاً دينياً متعصباً على صراعهما السياسي ـ العسكري، وكان اعتناق المسيحية في المدائن يعدّ بمثابة الانخراط في الطابور الخامس للعدو الروماني، مع ذلك كلّه فقد انتشرت المسيحية بشكل مذهل، ولولا سبق المسلمين إلى الهجوم على الدولة الساسانية لكان بوسع المسيحية أن تتغلغل من جهة الغرب باتجاه مركز الوجود الساساني وتقضي نهائياً عليه.

صفوة القول ان الزرادشتية وهي في عنفوان شموخها قد تعرضت إلى أقوى الضربات، تارة من الداخل عن طريق الهجوم المانويّ والمزدكيّ، وأُخرى من الخارج حيث داهمها البوذيون من الشرق والمسيحيون من الغرب، لتكون الضربة القاضية من نصيب الاسلام الذي كان يسبق جنوده وعساكره في التأثير على الايرانيين!

وفي عصرنا الحالي، وبالتحديد في غضون القرنين الأخيرين شهدنا مثالاً

تطبيقياً آخر لمبدأ تحوّل الحركة إلى نظام، ففي القرن التاسع عشر ظهرت الماركسية والمادية الديالكتيكية كمذهب حركي أوجد فكراً نهضوياً أسفر عن حصول ثورات وانقلابات تجديدية في مناطق متعددة من العالم شرقاً وغرباً، انظروا إلى سنيّ ما بين (١٨٦٠ ـ ١٨٧٠)، في عهد سان سايمون وبرودان وماركس وانجلز، سترون ان بريطانيا وفرنسا والمانيا كانت مسرحاً لاضطرابات عنيفة وواسعة قامت بها الحركات العمالية، وقد استمرت هذه الاضطرابات طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ولقيت رواجاً واسعاً، وأوجدت لها أنصاراً جدداً في العالمين الشرقي أو الغربي على السواء، واجتذبت إليها أجيال الشباب والطبقات المثقفة والمحرومة بشدة إلى أن جاء القرن العشرون وتبدّلت هذه الحركات التحررية إلى أنظمة حكم من خلال ثورات كبرى حصلت في الفترة الواقعة ما بين الحربين الكونيتين، وفي الخمس عشرة سنة الأخيرة رأينا كيف ان هذه النهضة والحركة أخذت تتحول تدريجياً إلى نظام وسلطة حاكمة وهي الآن أقوى من أي وقت مضى حيث تتمتع بقدرات تنفيذية واسعة وامكانيات هائلة على الأصعدة الاقتصادية والسياسية والعسكرية والتقنية والثقافية، ولكنها في الوقت ذاته أضعف من أي وقت مضى على صعيد قدرتها على بث روح جديدة في هيكلها المترامي الأطراف، وذلك أنّها تبدلت إلى مذهب رسمي يسعى دائماً إلى الدفاع عن الوضع القائم وتبرير ممارسات السلطة الحاكمة باسمه، بل ويقف سدّاً مانعاً بوجه الحركات التحررية والتيارات الوطنية والثورية المناهضة للاستعمار، ومن هنا نرى اليوم ان دولاً عديدة في افريقيا وامريكا اللاتينية كالجزائر ومصر والكونغو وليبيا وكوبا والبرازيل نحت منحىً آخر وتجاوزت في حركاتها الوطنية التقدمية الفكر الماركسي كونه لم يعد قادراً على تلبية تطلعاتها نحو التجديد والتغيير، فالموجود في الدول المشار إليها آنفاً هو عبارة عن حركات ونهضات بينما المتبقّي من

المذهب الماركسي ليس سوى نظام حكم يهيمن على أحد قطبي العالم، وتلك ـ لعمري ـ علامة التوقف والجمود عن الحركة. وكان هذا هو السبب الأساس في انفصال الشيوعيين في شتى أصقاع الدنيا عن المركز الأم والمؤسسات المرتبطة به، وتحولّهم إلى حركات مستقلة أو منضمّة إلى جبهات وطنية داخل بلدانهم، وذلك بعد أن أدركوا حقيقة الموقف من خلال قراءتهم لواقع النهضات الثورية في أفريقيا وامريكا اللاتينية وفي أوربا الشرقية أيضاً.

أشير هنا إلى أن المقارنة التي أجريها الآن بين التشيّع وبين هذه المذاهب الفكرية والدينية، مأخوذ فيها البعد الاجتماعي فقط دون غيره من الجوانب والأبعاد، ولا شأن لي هنا بالجهات الفلسفية والكلامية والفقهية والأصولية، وغير ذلك.

اذن للتشيع حقبتان تاريخيتان، بينهما تمام الاختلاف تبدأ الأولى من القرن الأول الهجري حيث كان التشيّع معبّراً عن الاسلام الحركي في مقابل الاسلام الرسمي والحكومي الذي كان يتمثل في المذهب السني، وتمتدّ هذه الحقبة إلى أوائل العهد الصفوي، حيث تبدأ الحقبة الثانية والتي تحول فيها المذهب الشيعي من تشيّع حركة ونهضة إلى تشيّع حكومة ونظام.

الشيعة الأوائل كانوا أقلية محكومة ومضطهدة لا تقدر على ممارسة طقوسها بحرية وعلانية ولم يكن يحقّ للشيعي أن يزور الإمام الحسين في كربلاء أو حتى أن يأتي باسمه على لسانه، كان دائماً تحت المطاردة وملازماً للتقية خوفاً من خطر القتل والسجن والتعذيب، أما الآن ـ أي بعد قيام الصفوية ـ فقد تحول الوجود الشيعيّ إلى قوة كبرى تحكم البلاد وتقع تحت إمرتها أقوى الاجهزة الرسمية، والحاكم الذي كان يقمع الشيعة بشدة ويعتقل كل من يشكّ بولائه وحبّه لعليّ ويعذّبه

ويقتله، بات الآن من أكبر المدافعين عن التشيّع وأكبر المتظاهرين بالولاء لأهل البيت حتى انّه يفتخر باعتبار نفسه (كلباً) للحضرة الرضوية... يا له من انتصار!

الحاكم الذي كان يطارد الشيعة ويعتبرهم أعدى أعدائه طوال ألف عام، نراه اليوم يضع نعليه على رقبته ويقصد من أصفهان إلى مشهد ـ حيث ضريح الإمام الرضا ـ سيراً على الأقدام، يا له من انتصار!

الحاكم الذي كان يحول دون زيارة قبور الأئمّة ويحاول مراراً تخريب تلك القبور بفتح قنوات الماء عليها، هو الآن يشيّد مراقدهم بأبهى صورة؛ القبة من الذهب والضريح من الفضة والمئذنة من السيراميك، يا له من انتصار!

والزيارة التي كان يتلهف الشيعي إليها ويجازف بنفسه متحملاً آلاف الأخطار والأضرار من قبل الحكومة لأجل أن يوصل نفسه إلى مشهد أو كربلاء، أمست الآن مظهراً رسمياً تشجع عليه الدولة وتكرم فاعله كما لو كان ذهب إلى بيت الله الحرام وربّما أفضل، وتمنحه لقب المشهدي أو الكربلائي أسوةً بمن يعود من الحج... يا له من انتصار!

أما العلماء ورجال الدين الذين كانوا على الدوام في معرض الخطر والمواجهة مع السلطات ويتعرضون لأبشع أنواع الظلم والتنكيل ها هُم اليوم معززون مكرمون مرفهون يعيشون في ظروف جيدة للغاية ويجلسون جنباً إلى جنب السلطان على فراشه الوثير، وقد يستشيرهم في كثير من الأُمور المتعلقة بمستقبل البلاد، بل ان السلطان لا يرى لنفسه قدرة وسلطة إلّا بمقدار ما يخوّله رجل الدين بالنيابة عن الإمام صاحب الزمان، يا له من انتصار!

من هذا الموقع العُلوي والحافل بالانتصارات بدأت هزيمة التشيّع! ومن اللحظة التي زالت فيها جميع الموانع والعراقيل بوجه أداء طقوسه العبادية والمذهبية

وتحوّل الأعداء إلى أصدقاء ومؤيدين، توقف الشيعي عن الحركة ليتحول إلى وجود اجتماعي غالب وحاكم وجامد راكد!

وها هنا يتجسد بوضوح قانون تبدّل الحركة إلى نظام! القانون الذي بوسعه تحويل عقيدة نابضة قادرة في يوم من الأيام على تحريك أمة بكاملها وعلى شتى الأصعدة والمستويات، إلى مجرد نظام ونسق اجتماعي رسمي مرتبط مع سائر الأنساق الاجتماعية ـ كالأسرة واللغة وأنظمة الحكم والادارة والمالية والاقتصاد ـ ارتباطاً مصيرياً بحيث لا يمكن التفكيك بينهما بأي نحو من الأنحاء.

خذوا ـ مثلاً ـ التصوّف! فلقد كانت بدايته كحركة حبّ تحررية تدعو الى التخلّص من قيود الارتباط الظاهري بما سوى الله، والتمرد على كلّ علاقة حبّ لغيره تعالى، ولكنها بعد مدة تحوّلت إلى جهاز اجتماعي له تشكيلات ورسوم وأعراف وأزياء خاصة لا يجوز تجاوزها بحال، وأصبح هناك نسيج خاص من العلاقات بين الشيخ والمريد والقطب والبديل والرئيس وغير ذلك من الكنى والألقاب التي تحوّلت فيما بعد إلى قيود وحجب أثقلت كاهل الحركة وحوّلتها إلى كيان معقد يعاني من مشكلة التضخم في الحجم والتقلّص في المحتوى والمضمون، كيان جامد لا روح فيه ولا حركة ولا حياة!

انظروا إلى عبادة (مجاهدي الاسلام)! لقد كان كلّ واحد منهم حركة برأسها وثورة على صعيد الفكر والايمان والروح، يتسابقون إلى ميدان الجهاد عن وعي ودراية، ولكن انظروا إليهم الآن، كلّ واحد منهم يحمل معه خريطة معقدة حول أحكام الشك في الصلاة وقائمة طويلة عريضة بشروط إمام الجماعة، ويقضي نصف عمره في التمرّن على القراءة الصحيحة مع ضبط مخارج الحروف!

بلى، ان التشيّع يعدّ واحداً من أبرز مصاديق قانون التبدّل المذكور آنفاً، خاصة بالنسبة لنا نحن الشيعة الذين نعرفه أكثر من غيرنا.

الامبراطورية العثمانية والغرب :

لماذا حصل ذلك؟ لماذا أشهر التشيّع إفلاسه فجأة وهو في قمّة الانتصار؟ فخلال القرنين السادس عشر والسابع عشر كانت إيران تقع في منطقة خاصة من ناحية التقسيمات والاستقطابات العسكرية والسياسية للعالم.

الاسلام والمسيحية كانا يمثّلان آنذاك أكبر قطبين في العالم، النزاع التقليدي بين الشرق والغرب، وآسيا وأوربا، يتجلّى في الصدام الحاصل بين هاتين القوتين العظيمتين. وكانت الامبراطورية العثمانية تمثل مركز الثقل الرسمي للمحور الاسلامي بينما يتركز مركز الجبهة المسيحية في أوربا الشرقية. أما دول أوربا الغربية والمركزية فقد كانت قد خرجت للتوّ من ظلمة القرون الوسطى وهي الآن في طور الازدهار، نهضة جديدة، وحيوية ووعي جديد، يغمران الساحة الاوربية، ولكن التقنية الغربية لم تكن قادرة بعد على تجهيز المعسكر المسيحي بالسلاح المتطور، ولذلك كانت قدرة الجهاد الديني التي يتسلّح بها المسلمون قادرة على ملاحقة الأوربيين في عقر دارهم وإلحاق الضربات المتوالية بمعاقل الجبهة المسيحية على امتداد خطوط التماس فى ايطاليا واليونان وعموم اوربا الشرقية الى حدود النمسا، بحيث ان اليونان التي كانت تمثل من الناحية المعنوية مركز الحضارة الغربية، وقعت في القبضة العثمانية، وتم احتلالها من قبل الجيوش الاسلامية اسوة ببقية بلدان اوربا الشرقية. لقد تجلّت الجبهة الاسلامية كأقوى قدرة في منطقة حوض البحر الابيض المتوسط بحيث هيمن العثمانيون على البحر المتوسط الذي كان يعتبر هو الأهم ستراتيجياً وسياسياً وحضارياً في ذلك الزمان، وما زال يحتفظ الى يومنا هذا بجزء كبير من هذه الأهمية. وطالما حوصرت (فينّا) عاصمة النمسا من قبل القوات الاسلامية فيما هدّدت ايطاليا بالسقوط اكثر من مرة. اما اوربا

الشرقية فقد كانت منهارة تماماً امام القوة العثمانية رغم انها كانت تمثل في ذلك الوقت الطرف الأقوى اذا ما قيست الى اوربا الشمالية او حتى الغربية.

لقد تمكنت الامبراطورية العثمانية من توحيد مختلف الأقوام والأجناس تحت راية الاسلام وشكّلت منها كياناً سياسياً عسكرياً منسجماً، وأخذت بزمام امور ذلك الكيان العظيم. لا ينبغي الشك هنا في أن الحكومة العثمانية كانت حكومة فاسدة ولم تكن تليق بحمل وسام الحكومة الاسلامية، إذا ما قارنّا بمباديء الإسلام وقيمه الرفيعة، لا إذا ما كان القياس والمقارنة ينطلقان من منظار كونها دولةً تقف بوجه الاستعمار الغربي والمسيحي الطامع بابتلاع الأمة الاسلامية، والمسخّر كل امكانياته للهيمنة على المنطقة الاسلامية ونهب مقدّرات المسلمين، والذي وجد الدولة العثمانية سدّاً منيعاً يعترض طريقه ويحول دون تحقيق اطماعه وأمانيه، بحيث ذاق الاوربيون هزائم مريرة على أيدي الجيش الاسلامي ما زال طعمها باقياً الى هذا اليوم، حتى دخلت بطولات المسلمين كقصص وأمثال في الأدب الغربي واحتلّت مساحة مهمة من تأريخهم وتراثهم الثقافي والاجتماعي.

نعم، سوف تكون المقارنة والنتيجة مختلفة تماماً اذا نظرنا الى الموضوع من المنظار الثاني لا الأول، خصوصاً إذا علمنا المصير الذي آل اليه المسلمون قبيل اعتلاء شأن الامبراطورية العثمانية إذ بدأت اوربا المسيحية تستغلّ ضعف المسلمين وتشتتهم وغفلتهم لتبدأ هجوماً وحشياً كاسحاً ضد المسلمين وتطبّق مشاريعها الاستعمارية البغيضة التي ألحقت بالمسلمين خسائر فادحة على الصعيد المادي والنفسي والحضاري لم يعرف لها التاريخ مثيلاً، غير ان القوات المهاجمة تندحر الآن امام القوة العثمانية وتعود من حيث أتت بعد أن ذاقت طعم الغضب الإسلامي، وبدأ الذعر والهلع يدبّ في قلب البابا وأنصاره من زعماء الغزو الصليبي، واستتبّت

الأمور بمجملها لصالح المسلمين في منطقة الحوض المتوسط واليونان وسائر بقاع اوربا الشرقية.

ان اصدارنا للأحكام يتصف دائماً وللأسف بانه ينطلق من نظرة إحادية للأمور، اننا دائماً ننظر للمسائل بعين واحدة، والباعث على الأسف والدهشة اكثر اننا نعاني جميعاً من هذه المشكلة سواء كنّا متحجّرين ومتطرّفين أو مستنيرين ومنفتحين! و يمكن القول أن أحكامنا الصادرة بحق الدولة العثمانية مثال بارز لظاهرة التشابه في انماط التفكير لدى هذين الفريقين المتضادّين.

المتطرف عندنا ينظر الى الكيان العثماني من موقع شيعي متعصّب فيعتبره بالتالي سنيّاً عُمريّاً منكراً للإمامة ومخالفاً لوصية النبي وغير معتقد بصاحب الزمان.. وفي ضوء ذلك فهو مدان! (حتى في مقابل المسيحية)!

اما الشخصية ذات التوجه المنفتح فانه ينظر الى النظام العثماني على انه نظام إقطاعي منحطّ وطائفي لا يؤمن بالديمقراطية، فهو أيضاً مدان (حتى في مقابل الغرب)! بوسعنا ان نقول ان كلا الفريقين صائب في نظرته ومحقّ في توجيه الانتقاد، لكن الخطأ يكمن في ان كلا الطرفين ينظر الى القضية من زاوية ثابتة ومطلقة، في حال ان من شروط النظرة العلمية الصحيحة ان تكون شاملة ومتعددة الزوايا والأبعاد وذات طابع نسبي، خلافاً للعوام الذين يميلون عادة الى تعميم الأحكام واضفاء صفة الجزم عليها.

نعم! ان النظام العثماني نظام سنّي وغير ديمقراطي وهو فاسد من الناحية الاخلاقية. ولكن إذا تجاوز قضية كوننا شيعة او مؤمنين بالاشتراكية، فاعتبره الشيعي نظاماً اسلامياً يقف بوجه المدّ المسيحي واعتبره المستنير سدّاً منيعاً بوجه الغزو الاستعماري الغربي الذي يهدّد وجودنا كشرقيين، فان الحكم عليه ربما

سيختلف آنذاك! من تلك الزاوية سوف يتمنّى الشيعي ان يظهر صلاح الدين الأيوبي ـ المناويء للشيعة ـ مرة أخرى في فلسطين، ويجرّد خالد بن الوليد (الباغي) سيفه للهجوم على عساكر الروم، وسيتمنّى أن يُبعث السلاجقة من جديد ليلقوا بجحافل الصليبية في عرض البحر المتوسط، و ان ينهض العثمانيون ـ السنّة البغاة ـ ليطردوا الأجانب الغربيين من اراضي المسلمين في آسيا وأفريقيا.

ان هذه الحملات الإعلامية المسعورة ضد العثمانيين انما تعكس وجود عقد قديمة في نفوس المسيحيين والغربيين من الدولة العثمانية، وهي رد فعل متوقع حيال الجروح العميقة التي خلّفها العثمانيون في الجسد الأوروبي إبان الحروب الطاحنة التي خاضوها معهم.

لقد دأبت شخصياتنا المستنيرة ـ للأسف ـ على محاكاة علماء الغرب وكتابه ومثقّفيه في إصدار الاحكام غير المنصفة ـ سياسياً واجتماعياً ـ بديننا وحضارتنا ورموزنا التاريخية، وبالتالي ردّدوا نفس التهم التي ألصقها اولئك بالدولة العثمانية بدوافع مغرضة في الغالب او ناجمة عن تعصّب وحقد.

كانت الجملة الأولى التي كتبتها في مقدمة كتاب (معرفة الاسلام) كالتالي:

«في آذار ١٩٢٤ ومع انكسار الدولة العثمانية، تعرّض للإسلام كقوة سياسية وعسكرية الى هزيمة، وبات الطريق معبّداً امام القوى الاستعمارية للهجوم على الشرق وبخاصة الدول الاسلامية...».

فإذا بأحد هؤلاء ـ ممن لا أعتقد به وانما بالمبدأ الذي يحمله ـ شنّ عليّ في كتابه حملة شعواء ابتدأت بعدّة صفحات شتماً وسباباً واتهاماً لي بأني ادافع عن الدولة العثمانية! ومن ثم نفض في كتابه كلّ ما في جاء في كتاب التاريخ للمدارس الابتدائية، مثيراً تساؤلات عشوائية حول ماهية الدولة العثمانية وظروف نشأتها

وكان يعتمد في كل أحكامه وتصوراته على آراء غربية ومسيحيّة لينهال بعد ذلك على كل من لا يؤمن بالاشتراكية والديمقراطية والليبرالية! وبلغ به الضجيج الى ان يتّهمني بأني أرى ان الدولة العثمانية هي وجه الاسلام وصورته! كل ذلك في حال ان الجملة الاستدراكية أدناه جاءت مباشرة في كتابي بعد الجملة التي ذكرتها آنفاً، وهذا نصّها:

«... رغم ان الدولة الاسلامية جعلت من الاسلام أفيوناً للأمة وجسراً لتحقيق أهدافها في الترويج للعنصر التركي وتبرير مظاهر الأرستقراطية».

لكن مفكرنا المستنير ذا النزعة التحررية جاء على عبارتي وشقّها من الوسط ليسوّغ لنفسه الهجوم عليّ ويتخذ ذلك سبيلاً للتظاهر بالانفتاح والتحضّر ولكي يعمل بذلك على بث الأفكار والمفاهيم الغربية المغرضة في أوساط مجتمع شرقي مسلم. كل ذلك يؤديه مجاناً ودون أجر لا لشيء إلّا لكي ينفّس عن بعض العقد الشخصية ولكي يصبح في موقع يشار إليه بالبنان. يا للحسرة![1]

---

(١) في مقابل ذلك على الجانب الآخر، نرى رجل الدين المتلبس بجلباب التشيّع العلوي، وهو يفعل الشيء ذاته. اذ انني في مكان آخر من نفس الكتاب (معرفة الاسلام) تطرقت الى خصوم عليّ ومنافسيه وعدّدت نقاط قوة وضعف كل واحد منهم حتى وصلت الى الامام علي (ع) وأثبتُّ انه افضلهم على الإطلاق.

لكن صاحبنا ابتلع تسعة أعشار كلامي واكتفى باثارة واحدة وهي أنني جعلت (عليّ) في آخر القائمة!

وها أنا أنقل لكم نصّ العبارة التي كتبتها في مقدمة كتاب «حجر بن عدي»: «لو لم تكن حكومتا أبي بكر وعمر تخضعان لمقارنة تلقائية مع حكومة علي بشكلها الاستثنائي الفريد، لكانتا من افضل أنواع الحكومة على مدى التاريخ ...

مع ذلك فقد كانت هذه العبارة ملحقة مباشرة بعبارة اخرى تؤكد أن هذه الأفضلية تأتي

⇔

إننا حين نعتبر الحاكم العثماني في ذلك العهد حاكماً جائراً وفاسداً وغير مؤهل، فانّما يصحّ ذلك في حال النظر اليه من منظار إسلامي ومقارنة خصائصه بالخصائص التي يفترض ان يتوفر عليها الحاكم الاسلامي الحقيقي، وكذلك اذا نظرنا إليه ممثلاً للطبقة الحاكمة في مقابل الطبقة المحكومة المحرومة اعني جمهور العمال والفلاحين وغيرهم من الشرائح المسحوقة.

اما اذا نظرنا الى الحاكم من زاوية كونه يقف حائلاً بوجه الاستعمار الغربي والتبشير الصليبي، فان الحكم يجب أن يتخذ منحىً آخر. عندما يهاجم الغرب الحاكم العثماني فانه لا يهاجمه لكونه حاكماً فاسداً أو مستبداً أو سنيّاً، بل يهاجمه لأنه الممثل الرسمي لقدرة الاسلام في منطقة البحر المتوسط، وهو سدّ منيع بوجه اطماعهم التوسعية المتجهة نحو آسيا شرقاً وأفريقيا جنوباً.

⇔ بعد حكومة علي! هدفي من الاشارة الى هذه القصة هو عقد مقارنة بين هذين النمطين من التفكير وابراز أوجه التشابه والاشتراك فالطرف الأول يصدر احكاماً نابعة من نظرة احادية يخدم فيها العدوّ، والثاني يعمد الى التشويه والتحريف والتضليل، وإلّا فاستميحكم عذراً من المقارنة بين شخصية غير متدينة ولكن متحررة وأخرى متلبسّة بلباس الدين وتقتات عليه، وذلك أن الأول ورغم كل ما يقال بشأنه فهو رجل معتقد بشيء ويدافع عن اعتقاده، اما الثاني فليس إلّا مرتزق يرتدي زيّاً محترماً بدون أن يكون لديه ادنى المؤهلات التي تؤهله لذلك، وانا لا أدري لماذا لا يتسنى لكل امريء ان يرتدي الملابس الرسمية لعمال البلدية إلّا وفق آلية وشروط بينما الزيّ المقدس لرجل الدين الذي يتحمل المسؤولية الخطيرة لهداية الناس، يكون بمقدور كل من دبّ وهبّ ان يرتديه متى ما شاء ودون اي شروط. أليس من حقنا ان لا نستبعد وجود افراد مغرضين هدفهم تشويه سمعة علماء الدين المخلصين والشيعة الواقعيين في نظر ابناء المجتمع خاصة الجيل المثقف، وذلك عن طريق شنّ حملات سخيفة ومبتذلة ضدّ كل فكرة جادّة أو جديدة والتشهير بأصحابها وتسقيطهم... وذلك عملاً بمقولة شاندل: من أجل تخريب مبدأ لا تهاجمه بقوة بل دافع عنه بشكل ضعيف!

ان النزاع العثماني ـ الغربي هو في أفقه الأوسع يعكس واقع النزاع بين قوّتي الاسلام والمسيحية في عالم القرون (١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ إلى ١٩).[1]

آنذاك، كان التقدم على جميع الجبهات لصالح المعسكر العثماني، وليس للمعسكر الغربي إلّا التراجع والانسحاب من أراضيه وهو يرى ان الخطر يحدق بكيانه الديني والحضاري من جانب واحد هو جبهة المسلمين!

لحظة الهجوم الغادر!

وبينما كان العثمانيون منهمكين في دحر القوات الغربية وتحقيق الانتصارات المتوالية، إذا بقوة جديدة تظهر على حدودهم الشرقية وتباغتهم من الخلف؛ ثورة في ايران يقودها رجل من سلالة الشيخ صفي الدين الأردبيلي أحد أقطاب التصوف.

ان للتصوف في التاريخ الاسلامي منحيَيْن متضادّين، أحدهما سلبي وهو العزلة والانزواء والهروب من مواجهة الحياة بحجة الزهد، والمنحى الآخر ايجابي يتجلى في صورة ثورة وتمرّد على الواقع ودخول في مسرح الأحداث بقوة.

كان أحفاد الشيخ صفيّ من الصنف الثاني الذي يدعو الى التحلّي بصفات المروءة والفتوة والذي اشتهر أتباعه باللقب المعروف تاريخياً (العيّارون) والممتزج

---

(١) أجد هنا من اللازم التأكيد مجدّداً على ان المراد من الاسلام والمسيحية في هذه البحث وامثالها ليس البعد الديني فقط، بل بما هما معبّران عن قوتين ومعسكرين ومحورين سياسيين ونظمين اجتماعيين وبكلمة واحدة: حضارتين! ولعلّ الفهم الخاطيء هنا يوجب سوء فهم آخر لأفكاري ونظرياتي كما ربما فهم بعضهم ـ خطأً ـ مرادي من عبارة (ان المسيحية هزمت الاسلام في الربع الأول من القرن العشرين) والواردة في مقدمة كتابي (معرفة الاسلام).

في التراث الايراني مع ظاهرة التصوف حيث أوجد منحىً جديداً في التصوف يحثّ اتباعه على التحلّي بالفتوة والمروءة والشجاعة معتبراً ان علي بن ابي طالب هو القدوة والمثل الأعلى في هذا المجال، وقد تمكن هذا المنحى الصوفيّ من النفوذ في الوسط السنّي أيضاً من خلال تأثّر فتيانهم وشجعانهم به.

هذا التوجّه الاجتماعي التقليدي شكّل تياراً اجتماعياً جارفاً خاصة بعد أن انضمّ إليه قادة عسكريون كبار نظير شاه اسماعيل جوان (وتعني الفتى) وعصابات (القزلباش)[١] ليتحول الى قوة هجومية منظمة وضعت يدها على أعظم رصيد اجتماعي وروحي وفكري كامن في ضمير الشعب ووجدان المجتمع الايراني، وهي حصيلة تراكم غضب وسخط وأحقاد ظلّت تغلي في نفوس الناس لمدّة عشرة قرون حيال جور السلطات وتعسف رجال المذهب السنّي الحاكم رسمياً. لقد تمكن القادة الجدد ـ وبمهارة فائقة ـ من استرداد تلك الطاقة الكامنة واستخراجها من مكامنها ومن ثمّ توظيفها في خدمة الهدف السياسي الذي يصبون إليه. لقد أمضى الشيعي عشرة قرون وهو يئن تحت سياط القمع والتعذيب التي ينهال بها على ظهره الخلفاء (السنّة) من السلاجقة والغزنوية والخوارزمشاهية والايلخانية والتيمورية وأتباعهم من الولاة والقضاة وأساطين المذهب السنّي، والذين لم يفسحوا له المجال لإبراز عقيدة او ممارسة شعيرة من شعائر المذهب ما اضطره الى ان يمضي عمره ما بين مطامير السجون وخلف حجب التقية قلقاً متحسّباً من نقمة السلطان.

هذا الشيعي بنفسه، اكتشف اليوم ان هناك رجالاً أبطالاً بوسعه أن يسند ظهره إليهم ويأمل منهم ان يمزقوا بسيوفهم عقد الحقد والكبت ويشفوا ضغائن نفسه ممّن ظلموه وأقصوه عن مسرح الحياة، ويعيدوا له شأنه ودوره وحريته في اختيار

---

(١) أفراد عشيرة اعتمد عليها الصفويون في تحكيم سيطرتهم على ايران.

المذهب وممارسة ما يعتقد به من طقوس.

لقد تمكن هؤلاء القادة من ان يشخّصوا هذا الأمر بدقة فنفذوا من خلاله الى اعماق الوجدان الشيعي وتغلغلوا في اوساط المجتمع الشيعي ليشيّدوا نظامهم السياسي على دعائم وجدانيّة وعقائدية لأبناء ذلك المجتمع. ومن هنا نرى ان الحكومة الصفوية هي الحكومة الوحيدة في تاريخ ايران ما بعد الاسلام والتي استطاعت ان تمتدّ بجذورها الى عمق الوجدان الشعبي، ما جعل للشاه عباس وهو من متأخري سلاطين الصفوية، مكانة خاصة في نفس الشيعة العوام حوّلته الى شخصية اسطورية في مستوى الاسكندر والخضر، مما يؤكد الدور البالغ الذي يلعبه الإعلام وفي فرض قناعات وطمس أخرى.

يأتي محتشم الكاشاني[١] ويقف بين يدي السلطان الصفوي ويشرَع بالثناء على السلطان ومدحه على طريقة الشعراء في مدح الملوك، فيثور السلطان غيظاً ويهدّد الشاعر بالويل فيما لو عاود امتداحه والتزلّف إليه بهذه الطريقة مرة ثانية، والسبب هو ان الرجل (السلطان) لا يرى لنفسه مقاماً أكثر من أن يكون (كلباً) في حضرة علي وأهل بيته! فاللازم اذن انْ يمدح الشاعر عليّاً وأهل بيته وينشد شعره فيهم.

فما كان من المحتشم الكاشاني إلّا ان يصرّح بالقول: انا لست سوى شاعر، ولا إصرار عندي على شيء، ومستعدّ لامتداح كل من ترغب بامتداحه!

يقال ان حاكم سبزوار سأل غلامه ذات يوم: ما رأيك بأن تطهي لنا اليوم مرق الباذنجان؟ قال الغلام: فكرة رائعة، خاصة ان باذنجان سبزوار له مزايا فريدة!

---

(١) شاعر ايراني معروف.

بعد قليل غيّر الحاكم رأيه وقال للغلام: ان الباذنجان ثقيل على المعدة فلماذا لا نعدّ مرق الكمثرى؟ استحسن الغلام الفكرة وقال: بلى، هذا افضل بكثير خاصة وأن باذنجان مدينة سبزوار يسبّب المغص!

غضب الحاكم وصرخ بوجه الغلام: ماذا دهاك أيها الصعلوك؟ تارة تثني على الباذنجان واخرى تذمّه!

اجاب الغلام: عفواً يا سيدي! انا خادم الحاكم ولست خادم الباذنجان!!

ولهذا نرى ان الشعراء انقلبوا كليّاً في هذا المجال، فالشاعر الذي كان يحترف مدح السلاطين وخلفاء السنة وفقهاءهم ويبالغ في الطعن على الشيعة ويعتبر التشيّع سكوتاً ينمّ عن حقد وكراهية، نفس هذا الشاعر نجده اليوم قد انتقل الى جبهة أُخرى وغيّر لهجته وانطلق في مدح عليّ وآل علي واللعن على اسماء لم تكن تذكر في السابق إلّا متبوعة بقولهم (رضي الله عنه).

في تلك الحقبة الزمنية حصل تنفيس عن عقد كثيرة؛ وقد جاء في نسخة مخطوطة في مكتبة البرلمان انه في مطلع العهد الصفوي كان (القزلباشية) الصفوية يجوبون شوارع وأزقة المدن وهم يصيحون بصوت واحد: اللعنة على ابي بكر، اللعنة على عمر، وكان يتعيّن على المارّة ان يردّدوا هذا الشعار معهم، وكل من يتردّد في ذلك سيغرز الحراس حرابهم في صدره لإخراجه من حالة الشك والتردد.

الآن، لا شك أننا نرفض هذا العمل ونعتبره وحشياً وارهابياً، ولكنه من الناحية الاعلامية كان له أثر لا يقبل الإنكار في نفسية الشيعة المعبّأة بالعقد، وهو بالحقيقة يمثل ردّ فعل طبيعي على الطعنات والمظالم التي تعرضوا لها طوال التاريخ، والآن تأتي السلالة الصفوية شاهرة سيفها وهي تنادي بالثأر من السنّة والانتقام لظلامة اهل البيت وشهداء الشيعة، فما ظنّك بعوام الناس من الشيعة والذين

لا يمتلكون عادة القدرة على تحليل المسائل الفكرية والتاريخية والعقائدية بعمق ودراية، ولا يدركون ان هذا البقال أو العطار السنّي لم يتورط في احداث السقيفة ولم يشهد كربلاء، هذا الجهل والتعصّب الطائفي كانت القوى السياسية والدينية الرسمية تستثمره في تحقيق اهدافها وتمرير مخططاتها وذلك عن طريق سحب الاختلاف العقائدي من دائرة اهل الخبرة والتخصص الى دائرة العوام ليتحول من خلاف فكري الى خصومة واختلاف بين الترك والفرس والعرب والعجم والمسلمين والهندوس وغير ذلك.

ومع ظهور الحركة المنادية بإبادة السنة في ايران والمتوشرة بالتشيع وولاية علي (ع) كان الملالي في الدولة العثمانية يفعلون الشيء نفسه بذريعة الدفاع عن الاسلام وسنّة النبي فيرتقي واحدهم المنبر ويشمّر عن ساعده الى المرفق ويغمرها في قارورة مملوءة بالشيرة ثم يخرجها ليغمرها في قارورة أُخرى مملوءة بالذرة ويخرجها مرّة ثانية ويتوجه الى مخاطبيه بالقول كم من الذرة علقت بيدي هذه؟!

وعندما يحار الحاضرون في الجواب نظراً لكثرة العدد يضرب صاحبنا ضربته بعد أن نجح في التأثير نفسياً عليهم فيصدر فتواه بأنّ من يستطيع أن يحظى برافضيّ ويقتله فإنّ نصيبه من الحسنات سيكون بقدر الذي علق بساعد الملّا!

ونستطيع ان نحدس حجم الحقد الذي سيعتمل في نفوس الحاضرين تجاه الشيعة بحيث يتمنى كل واحد منهم ان تتسنى له فرصة الظفر بأحد الرافضة ليتقرب به الى الله سبحانه وتعالى ويحصل على رصيد هائل من الحسنات!

ان الخلاف بين الشيعة والسنة هو في الأساس خلاف فكري وعلمي وتاريخي يرتبط بطريقة فهم حقيقة الاسلام، وكل ما يدّعيه الشيعة في هذا المجال ـ وهو ادعاء وجيه ـ انه ينبغي لمعرفة حقيقة الاسلام الاقتداء بأهل بيت النبي

وعلي (ع) لأجل ان تكون المعرفة مباشرة ومن دون واسطة، وهذا بحدّ ذاته كلام معقول. كما يدعي الشيعة ان مواصلة طريق الرسالة وروحها بعد النبي مرهونة باتباع علي (ع) والاعتراف به خليفة بعد النبي دون غيره ممّن عجزوا عن مواصلة الرسالة بروحها حتى آل أمر المسلمين الى ما آل إليه مما يعرفه الجميع. وهذا ايضاً كلام معقول، غير ان هذا المعقول وذلك أصبحا في زماننا هذا لعبة بيد قوتين سياسيتين متشابهتين ومتخالفتين في آن واحد وهما الدولة الصفوية والدولة العثمانية، وتحوّل بالتالي الى اداة لزرع الأحقاد بين رعايا الدولتين والى درجة تثير السخرية والتندّر احياناً كونها تتنزل الى مستوى لعب الأطفال، فحيث يوجد لدى الدولة العثمانية الباب العالي يُقرر السلطان الصفوي ان يبني «عالي قاپو»، ولأن العثمانيين يطلقون على عملائهم لقب (الباشا) يعمد الصفويون بالمقابل الى وضع اسم الباشا على من يعملون تحت إمرتهم. وهكذا دواليك!

ان هذا النمط من التراشق والمهاترة هو الذي خيّم على مناخ الخلاف الفكري والعقائدي بين السنة والشيعة وانعكس بشكل بارز على شكل تهم وافتراءات وسباب وشتائم يأنف عنها اي انسان فضلاً عن الانسان المعتقد بعليّ وبإسلام علي الذي وضع ضوابط اخلاقية رفيعة لأساليب الاحتجاج والمناقشة ومنع من اتباع هذه الاساليب المستهجنة في الدفاع عن المبدأ وإثبات حقانيته[1].

---

(١) القرآن الكريم يأمر النبى بصراحة بالترفع عن سبّ حتى المشركين، قال تعالى: ﴿ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله﴾. سورة الانعام، الآية ١٠٨.

كما ان القرآن الناطق المتمثل بشخصية علي (ع) ينهى عن السباب والشتيمة معتبراً ان الكلام الفاحش يعبّر عن هبوط شخصية المتكلم قبل السامع، قال علي لأصحابه في حرب صفين «اني اكره لكم ان تكونوا سبابين».

وبذلك أصبح سائغاً جداً لدى الشيعي الايراني أن يدع التركيز على الفضائل الاخلاقية والانسانية لعليّ ويغفل الاشارة إلى المزايا الاجتماعية الفريدة لمبدأ

↔ غير انّ السباب والشتيمة يمثلان الشكل الأوّل من أشكال الاستدلال في منطق التشيّع الصفوي، الذي يحاول من جهة أُخرى أن يتقمّص ثوب التشيّع العلوي فيضطر أحياناً إلى التأويل الذي قد يصل إلى درجة قلب الحقائق ونفي الثابت واثبات المنفي كما وقع في ذلك مترجم كتاب نهج البلاغة إلى الفارسية ـ وقد تورط الرجل في ترجمة هذا الكتاب، لأنّ التشيّع الصفوي يحذر كثيراً من الاقتراب من نهج البلاغة وذلك انّ قراءة هذا الكتاب تبدّد الصورة التي رسمها التشيّع الصفوي لعليّ في أذهان العامّة وتحبط كلّ مخططاتهم في ترسيخ تصوّر مشوّه عن المذهب العلوي الأصيل ـ على أية حال فقد كان المترجم يلجأ أحياناً إلى تأويل بعض النصوص التي يرى أنّ ترجمتها بشكل طبيعي لا تتّسق مع ما هو سائد من النمط الفكري للتشيّع الصفوي ليمرّر ذلك على الناطقين باللغة الفارسية والمحرومين من معرفة زلال نهج البلاغة الذي وصفه المترجم ـ بحقّ ـ بأنّه طريق النجاة لعالمنا المعاصر، وطالب بأن يقرأه الملوك والوزراء ورجال السياسة وأعضاء مجلس النواب ومجلس الأعيان وكلّ عمدة مدينة وكبار قادة الجيش والضباط والمراتب والجنود، والظالم والمظلوم والغني والفقير لكي يعرف كلّ منهم ما للظلم من عقوبة وما للصبر من ثواب ويحصلون فيه على كلّ ما يريدون!

هذا الرجل عندما وصل إلى مقولة علي لأصحابه: «إني أكره لكم أن تكونوا سبابين» ووجد أنها لا تنسجم مع التوجه العام لدى علماء التشيّع الصفوي لجأ كالعادة إلى التأويل وهي الحرفة التي تتجلى فيها المهارة الفائقة للتشيع الصفوي في قلب معاني التشيّع العلوي وتجريدها من مضمونها الحقيقي، فقال فضيلة المترجم:

(ليس المراد من هذه العبارة هو عدم جواز شتم المخالف واللعن عليه بل على العكس هذا واجب وتكليف، غير انّ المنع جاء هنا من أمير المؤمنين بخصوص سبّ بني أُميّة وذلك خشية أن يسبّوا بالمقابل أمير المؤمنين فيكون السابّ لبني أُميّة متسبّباً في سبّ أمير المؤمنين (ع) وهو أمر غير جائز! طبعاً). نهج البلاغة، ترجمة فيض الاسلام.

المؤلّف: لاحظوا هنا كيف حوّل المترجم كلام أمير المؤمنين إلى قاعدة مقلوبة، ومفادها انّه لا يجوز السبّ إلّا إذا كان الطرف المقابل مؤدّباً لا يردّ بنفس الطريقة!!

الامامة كنظام الهي لقيادة المجتمع، ويقتصر على اللجوء إلى التنفيس عن عقده وأحقاده بلغة سوقية وألفاظ مبتذلة وافتراءات وأقاويل مقززة بحقّ الخلفاء، ويعمد إلى اختلاق فضائل وكرامات فارغة للأئمّة توجب استغفال عقول الناس وتخديرهم، وتحول دون تمكينهم من معرفة علي حقّ معرفته، وتبقيهم أسرى لأغلال الجهل والمذلّة، وتشغلهم بذمّ الخلفاء عن ذم سلاطين الصفوية وانتقاد أعمالهم التي هي ـ بلا شكّ ـ أسوأ بكثير.

وهنا يكمن السر في عدم تطرق علماء الصفوية وخطباؤها إلى الحديث عن شكل حكومة عليّ وطريقة كلامه، وطريقة سكوته، متى يتصدى ومتى ينزوي ويعتزل العمل، كيف يعمل وكيف يفكر، ما هي علاقته بالناس، موقفه حيال الظلم ومواقفه من التملّق والزور والتزوير والفقر والسرقة واغتصاب الحقوق واثارة الفتنة، وبدلاً من ذلك يؤلفون المئات من الخطب والمجالس وينشدون الأشعار وينقلون القصص والحكايات في ان علياً تمكّن من تحويل الرجل المنافق إلى كلب ـ على الفور ـ وحوّل الآخر بنفخة واحدة إلى امرأة تزوجت وأنجبت لزوجها عدة أولاد وسكنت معه تحت سقف واحد لسنوات مديدة ومن ثمّ عادت إلى حالتها الأُولى؛ كلّ ذلك في طرفة عين!!

مثال لمنطق التشيّع الصفوي!

وهو منطق الدفاع عن عليّ والهجوم على الخلفاء وخصومه السياسيين الغاصبين لحقه في خلافة النبي، وذلك بأسلوب تشمئز منه النفوس ويتسبّب في نفورها عن التشيّع وطريقة الشيعة في الاستدلال على الأشياء، وترسم لهذا المذهب الذي يمثل أبهى صور الحقيقة، صورةً مشوهة يتجسّد عبرها الباطل بأقبح صوره

وأشكاله، وكلا الأمرين صحيحان، إذ المسافة بين وجهي التشيّع العلوي والصفوي هي عين المسافة بين الجمال المطلق والقبح المطلق. وسوف أورد هنا مثالاً حسّياً بسند صحيح وبخط واحد من أبرز الوجوه العلمائية المتخصصة في التشيّع الصفوي وهو العلامة المحقّق السيد مرتضى العسكري، وذلك بهدف إطلاع كلّ من يتلهف للحقيقة من طلاب مدرسة الإمام الصادق ويتعطش للارتواء من زلال التشيّع العلوي من أبناء الطبقة المستنيرة المتعطشين للايمان الحقيقي والباحثين عن سر الانحطاط الذي أودى بفكر المجتمع وحضارته، وليتمكن هؤلاء من الفرز والتمييز الدقيق بين نوعين متضادّين من التشيّع كل منهما يحمل وجهاً يختلف عن الآخر اختلافاً جوهرياً وله منطق خاص به يُميّزه عن الآخر بشكل واضح ومحدد.

والسبب في اختياري لهذه العيّنة بالذات لتكون مصداقاً أوضح لمنطق التشيّع الصفوي هو ان صاحبها يعتبر من أبرز الشخصيات العلمية والمتخصصة لهذه الفرقة، هذا أوّلاً، وثانياً انّه شخصية معاصرة وبالتالي يعكس واقع علماء العصر الصفوي بلحاظ مدى التشابه والتطابق بين أوضاع المجتمع الايراني المسلم هذه الأيام وأوضاعه في أيام الصفويين ممّا يعطي انطباعاً حيّاً عن الدور الذي لعبه التشيّع الصفوي وأقطابه، وذلك لمن يريد أن يبحث القضية تاريخياً واجتماعياً، وثالثاً انّ هذه العيّنة يدور الحديث فيها حول واحد من أهم أصول التشيّع وهو إدانة الخلفاء الغاصبين لحقّ عليّ في خلافة النبيّ، ورابعاً انّ هذه المسألة مكتوبة بخط يد السيد العسكري ممّا يمنحها قيمة علمية من حيث السند.

وبغية توضيح خلفية هذا المبحث وتقييم الدور الاجتماعي الذي لعبه التشيّع الصفوي في شقّ صفّ المسلمين أمام الخطر الأجنبي المشترك وموقف علماء التشيّع الصفوي من قضية الوحدة والتضامن الاسلامي على الصعيد العالمي بازاء

الجبهة المعادية للإسلام والمسلمين، أرى من الضروري الاشارة إلى مفارقة غريبة حصلت عقيب حرب الستّة أيام سنة ١٩٦٧ واحتلال بيت المقدس من قبل الصهاينة وما رافق ذلك من رفع شعار وحدة الصف بإزاء المستعمر.[١]

من المعلوم ان حسينية (الإرشاد) تبنّت منذ بداية تأسيسها (الاسلام الحسيني) وحملت لواء الدفاع عن العترة والامامة والتأشير على الانحرافات التي طرأت على المسيرة بعد غصب الخلافة، وخصّصت حوالي ٢٠٠ برنامج من مجموع برامجها ومؤتمراتها وندواتها الدينية والعلمية والتاريخية البالغة زهاء ثلاثمائة وسبعين، للحديث بشكل مباشر عن أهل البيت والدفاع عنهم، أما أنا فتشهد جميع آثاري المطبوعة والمسموعة والتي هي الآن في متناول الجميع بأنها كانت تدور في الغالب على محور واحد هو الدفاع عن هذا المذهب. ويعزز ذلك ان أساس نظرتي الفلسفية والاجتماعية تبتني على رؤية شيعية واضحة وكان أول كتاباتي كتاب صدر قبل ثمانية عشر عاماً حول (أبي ذر) وآخرها كتاب (الشهادة رسالة الحسين) و (الدعوة رسالة زينب) وان ميولي الشيعية واضحة جداً سواء في هذه الكتب أو في غيرها من القضايا الاجتماعية بحيث حرمني علماء الوهابية عام ١٩٥٠ م من ايراد خطبتي في المؤتمر الاسلامي المنعقد بمكة بتهمة كوني شيعياً مغالياً، مع ذلك كلّه إذا بي أواجه وحسينية الإرشاد حملة مسعورة منظمة نتعرض خلالها لاتهامات مدروسة في أكثر من محفل رسمي وعام في طهران وغيرها من المدن، وذلك تحت شعار (الولاية) المقدّس ومناهضة خطر (الوحدة)، بحيث اتهمت مؤسسة الارشاد وأنا بالذات باننا لا نؤمن بالولاية وننكر

---

(١) طالما رفعتُ المقولة التالية حتى أصبحت من مختصاتي: «لا لوحدة التشيّع والتسنن، ونعم لوحدة الشيعي مع السني».

أهل بيت الرسالة، بل اننا سنّة ووهابيون !

وبعد وقفة تأمل اكتشفنا ان هذه الهجمة جاءت بالضبط متزامنة مع الهجوم الصهيوني وبالتحديد بعد شهر من تبنّي حسينية الإرشاد مهمة الدعوة لدعم الفلسطينيين حتى تمّ تخصيص رقم حساب في البنك لارسال المساعدات والتبرعات المالية مع تأييد شخصيات مرموقة في دائرة التشيّع العلوي لهذا المشروع، وإثر ذلك صدر بيان من قبل شخصيات محسوبة على الخطّ الصفوي في التشيّع يمكن أن يكون بلحاظ نوع الشخصيات وشكل المنطق الاستدلالي والرؤية الطائفية وحجم الاتهامات، مصداقاً بارزاً وسنداً محكماً حول ماهية التشيّع الصفوي.

في هذا البيان تتضح بدقة وجلاء خصائص الاتجاه الصفوي، وبوسع المحقق المنصف أن يجري مقارنة بين تلك الخصائص والخصائص الموازية لها في منطق التشيّع العلوي وطريقة الاستدلال والانتقاد والتقييم لدى علماء الاتجاه العلوي في التشيّع سواء في الماضي أو الحاضر مما يتيح له ادراك الفارق الجوهري بين الاتجاهين .

ان رجل الدين الصفوي ـ ولا أقول العالم الشيعي ـ متعصب تعصباً أعمى، بمعنى انّه غير قادر على تحمل رأي المخالف وليس لديه أدنى استعداد للإصغاء إليه وفهم ما يقول . وليس المراد من (المخالف) هنا بالضرورة من يخالفه في الدين أو المذهب، بل حتى من يخالفه في نمط التفكير وطبيعة المزاج، فانّه لا يتورّع عن تكفيره بدون تردد .

بينما (العالم) في التشيّع العلوي مستثنى من هذه القاعدة بين جميع علماء الأديان وحتى علماء المذاهب الاسلامية الأُخرى، ونراه مصداقاً

بارزاً للعبد الصالح المبشّر بقوله تعالى في سورة الزمر: ﴿فبشِّر عبادِ الَّذينَ يستمعُونَ القولَ فيتَّبعُون أحْسنهُ﴾[1] أو في قوله تعالى: ﴿وجادلهُم بالَّتي هي

---

(١) ان سياق الآية يقود المفسر إلى تفسير كلمة (فيتبعون) بمعنى (فيقبلون)، وذلك لأنّ العالم والمفكر المستنير يقول عادة بوجوب الاطلاع على جميع الآراء والنظريات وقبول أفضلها وأوفرها على الحجة والدليل وأقربها من المنطق السليم، وردّ الرأي والنظرية التي لا تتوفر على هذه المواصفات، أما القرآن الكريم فيذهب أبعد من ذلك في مقام التربية وينهى عن سماع الرأي لمجرّد السماع ويرفض تربية فضلاء ومحققين همّهم فقط الاطلاع على الآراء والنظريات والاكتفاء بقبول بعضها ورفض البعض الآخر، بل على العالم المسؤول أن يكون دائماً بصدد التطبيق العملي والاتباع لما يختاره من بين الأقوال والآراء التي يطلع عليها، ولا يقبل من هذه الآراء إلّا ما كان من شأنه أن يكون صالحاً للعمل والاتباع، ولا يصغي إلّا للكلام الذي له قيمة عملية وتطبيقية وليس مجرد كلام صرف حتى لو كان حقاً.

يقول برشت: ليس الفنان من يتحدث عن الواقعية فقط، بل الذي يتحدث عن واقعية يجب أن تقال! وإلّا فانّ القول بأن (هذا الكرسي مصنوع من الحديد) واقعية أيضاً، ولكنها واقعية لا معنى لأن تقال!

واليوم فانّ أكثر (الحقائق) التي تقال للناس على منابر الوعظ والارشاد هي واقعيات من هذا القبيل، انظروا إلى بعض الخطب والمجالس تجدون انّها تتحدث عن أهمية العلم، وثواب عمل الخير، وفضيلة الأدب وحسن الخلق ووجوب ردّ السلام، وفوائد العمل ومضارّ الكسل وأهمية حسن السلوك وضرورة احترام الكبار، وفي مستوى أعلى من ذلك أهمية التفكر والتعقل والتدبر في الأُمور وأرجحية العلم على الجهل وأهمية العفة والشرف وحسن الأمانة وقبح الخيانة وغيرها من الأُمور التي هي من قبيل توضيح الواضحات والبرهنة على البديهيات، وكما قال الشاعر:

الذي يجري ببطن النهر ماء والذي ليس بيقظانٍ ينام!

حينما ننظر إلى المحافل العلمية الدولية وجامعات العالم ونسمع بأن الغرب الذي أخذ بقصب السبق في المجال العملي يؤكد على رفض الالتزام الاجتماعي والعلمي في مجالات البحث العلمي وذلك بغية ضمان حالة الحياد العلمي حتى اشتهر بينهم مقولة ان هذا القرن هو قرن العلم لأجل العلم وهو قرن تحليل ما هو واقع وتشخيص الحقيقة بغض النظر عن العمل

↔

أحسنُ﴾[1]. ومعناها أنه يتعين اختيار أحسن الأساليب وأجمل الطرق في مقام المحاججة مع الخصم فكرياً او عقائدياً، ولو ان البعض فسّر الجدل هنا بمعناه الاصطلاحي في علم المنطق، وهو شكل خاص من اشكال القياس هدفه إفحام الخصم واسكاته ولو كان ذلك بدليل غير صحيح لدى المتكلم، وهذا الكلام مخالف مع روح القرآن ورسالة النبي مضافاً الى ان القرآن الكريم لا يتعاطى مع المصطلحات الفنية ولغة أهل الفلسفة والمنطق بل يتحدث بلسان الناس، قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾. وبالطبع المقصود هم عموم القوم لا الخواص وأهل الفن والاختصاص من الفلاسفة والعلماء، وهذا هو ما نفهمه من الآية الكريمة لا ما ذكره بعض المفسرين من ان نبي الاسلام جاء باللغة العربية كما ان نبي اليهود جاء اليهم بالعبرية اذ هذا المعنى هو من قبيل الحقائق التي أشرنا اليها آنفاً والتي هي من باب توضيح الواضحات ويكون معنى الآية بحسب هذا الفهم ان الله ارسل النبي محمد الى قريش والعرب يتكلم بالعربية ولم يبعثه باللغة الصينية مثلاً!

لقد اشتهر علماء الشيعة على مرّ التاريخ بالانفتاح والتحرر في مجال البحث والمحاججة العلمية وكانوا يحبّون الدخول في المناظرات والمناقشات الفكرية والعقائدية وذلك لأنّ الأجهزة الإعلامية كلّها بيد المذهب المخالف والشيعي ليس

⇐ والالتزام بها، هاهنا تبرز بلاغة القرآن الكريم حيث يؤكد من خلال الآية اعلاه على ضرورة تقصّي الحقائق لاختيار الأصحّ منها ليس على النطاق النظري فحسب بل بحدود ما يمكن تطبيقه والالتزام به عملياً، وهنا يتجلى الوجه الإعجازي في القرآن الكريم اي في الدعوة الى الجمع بين الحياد العلمي والالتزام العملي وليس في بلاغة الالفاظ ودقائق علم البديع.

(١) سورة النحل، الآية ١٢٥.

لديه وسيلة لإثبات حقانية مذهبه سوى اللجوء الى المحاججة والجدل العلمي الذي كان الشيعة يتمتعون بمهارة فائقة فيه وذلك بخلاف رجل الدين الصفوي الذي كان يتهرب من مواجهة السؤال واذا اجابك ذات مرة وعاودت عليه طرح سؤال آخر فإنّ جوابه سيأتي إليك سيلاً من الشتائم والسباب والاتهام بالفسق والتكفير، كما قال احدهم في جواب أحد الكتاب الذي زعم ان بعض الأدعية الموجودة في الكتاب الكذائي سندها ضعيف، فأجابه أحد المشايخ المحسوبين على الخط الصفوي بالقول: وانت الذي تدّعي بأنك ولد أبيك، هل لديك سند قوي بذلك؟

ان رجل الدين الصفوي وان كان يرتدي في الظاهر نفس الزيّ الذي يرتديه علماء الشيعة إلّا ان المخاطب عنده دائماً هو عوام الناس حتى في مجال البحث العلمي وهو يتهرب من مواجهة العلماء واهل التخصص، ومع انه يزعم انه عالم شيعي ويدعي انه مرجع للعوام في معرفة أُمور دينهم، هو في الحقيقة مقلّد لعوامّ الناس وليس سوى أداة رسمية لإصدار الأحكام على ضوء ما استنبطه مريدوه تبعاً لأهوائهم ومزاجهم، وبالتالي هو ببغاء تردّد ما يقوله العوام حتى في مجال الاعتراض على نظرية واردة في بحث أو كتاب، فتراه يصرّح بان النظرية الفلانية في الكتاب الفلاني باطلة ومخالفة لموازين الشرع المقدس، وعندما يستفسر منه عن الموضع الذي استند إليه في اصدار فتواه يقول انه لم يطلع على تفاصيل الكتاب ولكن عدداً من الوجهاء المعروفين وفدوا عليه وقالوا له ان الكتاب الفلاني ينطوي على أفكار ضلال ويجب أن تفعل شيئاً يحول دون ان يقرأه عوام الناس!

أما المنطق الذي يتحلّى به رجل الدين الشيعي الحقيقي في العالم الاسلامي فما زال يتمتع بمنزلة حضارية وعمق علمي وطابع استدلالي وادب حوار ومناظرة، خاصة وان استقامة العقيدة الاسلامية وسلامة المعتقدات والاصول الخاصة بالشيعة

والفهم الشيعي للتاريخ والمنحى الاجتماعي لهم فيه من حين السقيفة الى يومنا هذا، كل ذلك عوامل أغنت الشيعي عن الحاجة الى اللجوء الى الأساليب الملتوية والمهاترات في اثبات ما يريد إثباته، وبالرغم من عدم امتلاكه لجهاز اعلامي فاعل على الصعيد العالمي او حتى على الصعيد الإسلامي، إلّا ان قوة الحجة لديه ونوع الأسلوب الذي يتبعه في المحاجة جعلته مصدراً مؤثراً في الإقناع، بحيث لا تكاد تنطلق دعوة من عالم شيعي ذي اتجاه علوي ـ وليس صفوياً ـ إلّا وجدت لها آذاناً صاغية في صفوف علماء السنّة والمستنيرين من غير الشيعة وأحدثت فيهم هزّة عنيفة في المجالات الفكرية أو العقائدية أو السياسية.

النص الكامل لبيان «التعريض بالإرشاد»

يتألف هذا البيان من خمس صفحات مستنسخة، وقد تمّ طبعها وتكثيرها خلال ثلاث سنوات مضت، وفي رمضان هذا العام حيث بلغت المؤامرة أوجّها طبع هذا البيان بآلاف النسخ ووزّع في أغلب المساجد والحسينيات وبصورة (خاصة)؛ حيث تقوم أيادٍ خفية بوضع هذه البيانات باعداد هائلة في المساجد و(التكايا)[1] قبل تجمّع الناس فيها، فاذا ما تجمع الناس لأداء صلاة الجماعة او غيرها من الطقوس والشعائر الدينية عثروا على هذه البيانات، مما يدلّل على ان ناشري هذه البيانات يخشون ان يتعرف الناس على شخصية الأفراد الذين يقفون وراء هذا العمل.

اما السبب في اختياري لهذا البيان كسند علمي لبيان حقيقة التشيّع الصفوي من بين عشرات الكتب والرسائل والمنشورات والمقالات المكتوبة على نفس

---

(١) التكايا: أماكن مذهبية تشبه الحسينيات عند الشيعة.

المنوال، فيعود الى ما يلي:

١ ـ ان هذا البيان هو أول نغمة من سمفونية عظيمة سيتمّ عزفها لاحقاً.

٢ ـ ان اكثر الاشخاص الذين تعرّضوا للطعن بي وبمؤسسة الإرشاد من خلال الكتب والرسائل والمنشورات هم من نمط السوقيّة الذين تجلببوا اخيراً بزيّ علماء الدين وقرروا الاعتياش على الدين، وهؤلاء وان كانوا يمثّلون الثقل الأكبر لدى الاتجاه الصفوي في التشيّع إلا أن اعمالهم تفتقر الى القيمة العلمية التي تجعلها تستحقّ الرد بخلاف هذا البيان الذي كتب بواسطة أقلام متخصصة في دائرة التشيّع الصفوي وذات ثقل ديني واجتماعي مرموق.

احد هؤلاء هو آية الله السيد صدر الدين الجزائري ـ عالم مشهور ـ والآخر ابنه السيد مرتضى الجزائري، وهو من الشخصيات البارزة في هذا الاتجاه وقام بنفسه بتهيئة نص البيان، اما الشخص الثالث فهو السيد مرتضى العسكري وهو شخصية معروفة وذات تخصص في التنظير للتشيّع الصوفي وله تأليفات عديدة في هذا المضمار، وعاد أخيراً من العراق. وقد كتب هامشاً على البيان المذكور يؤيد فيه مفاد البيان وما جاء فيه من اتهامات بحقّي مع الرد عليّ في نفس الهامش الذي يعتبر هو الآخر سنداً تاريخياً قيّماً لمن يُريد أن يفقه حقيقة التشيّع بلباسه الصفوي ويرغب بدراسة أبعاد هذا التشيّع وخصائصه ونقدها نقداً علمياً وتاريخياً واجتماعياً موضوعياً، ما يدعوني هنا لإيراد نصّ كلامه بخط يده.

٣ ـ ثم ان هذا البيان خلافاً لغيره من البيانات والمنشورات لم يكن موجهاً لي على وجه الخصوص، ذلك انه يرتبط بفترة زمنية كنت فيها في مشهد وقد جئت الى طهران للمشاركة في مؤتمر جامعي، وقد تخلّل ذلك القاء محاضرات في

حسينية الإرشاد حيث كان يشرف عليها آنذاك ثلة من العلماء والخطباء المرموقين، ويبدو أن أسنّة الحراب في هذه الحملة الظالمة كانت موجهةً اليهم. أما الاستشهاد ببعض أقوالي وآرائي في البيان المشار اليه اعلاه فباعتبار تحمل حسينية الارشاد لمسؤولية نشرها، وبعد مجيئي الى طهران وتحمل مسؤوليات اضافية في الحسينية اضيفت اربع صفحات اخرى الى البيان وكانت حافلة بالسباب والشتائم والافتراءات التحريضية ضدّي شخصياً. وهذا بدوره يكشف عن حقيقة هامة!

فقبل ان انخرط في سلك الارشاد وعندما كنت اعمل بمفردي، كانت كتاباتي تتصف بحدّية أكبر. وكنت اهاجم الاتجاه الصفوي في التشيّع بلغة أوضح وأكثر صراحة، ولكني لم اتعرّض حينها ابداً لحملة مسعورة كهذه، بل على العكس ربما كان بعض اقطاب ذلك الاتجاه يتودّدون إليّ وينظرون اليّ نظرة ودّ واحترام، اما الآن فقد تبدّل الموقف كليّاً. وما اختياري لهذا البيان من بين مئات الموارد التي كتبت للتأليب عليّ بألسنة مختلفة ومضمون واحد، إلّا لما في هذا البيان من دلالة واضحة على ان المستهدف في هذا الهجوم ليس انا شخصياً. وليست المسألة مسألة خلاف شخصي بيني وبين انصار التشيّع الصفوي، بل ولا بين هؤلاء وحسينية الارشاد. بل هو مسعىً محموم انطلق بصورة منظمة ومدروسة وبدافع الخشية من بروز تيار اصلاحي يهدف الى الخروج من هذا الوضع الراكد وايجاد نهضة فكرية اسلامية؛ الأمر الذي أقضّ مضاجع احبار اليهود وقياصرة الروم ممّن أرعبهم هذا المناخ الذي يبشّر بظهور روح قدس جديد في صميم الوجدان الشيعي لاجيالنا المعاصرة، ولكن ما العمل. فقد ولد المسيح، ولن يكون بوسع الأحبار المتلبسين بلباس دين موسى والمدّعين لوراثة مقام هارون واموال قارون، إلّا أن يلجأوا الى اسلوب الدسّ والاحتيال ويتحولوا إلى جبهة القياصرة والمشركين لأجل اطفاء نور الله

وتعليق روح الله على أعواد الصليب... ألا بئس ما يفعلون!

نص البيان:

بعد ايراد مقدمة حافلة بالسباب والشتائم والتهم والافتراءات ضد مؤسسة الارشاد ومؤسّسيها والعاملين فيها وحتى المبنى الذي تقع فيه، يبدأ البيان بالاشارة الى النقاط التالية في معرض الإجابة على اسئلة زعموا انها موجهة الى عدة شخصيات (دينية ذات ورع وتقوى) من قبل أناس يريدون ان يتعرفوا على ماهية المؤسسة ووجهها الحقيقي، واليك نص البيان:

ان أفضل وسيلة لإيضاح اغراض هذه المؤسسة ومن يقف وراءها هو التمعّن في النقاط التالية:

١ ـ دراسة الأحوال الشخصية والخلفيات العقائدية للأشخاص الذين يرتادون هذه المؤسسة وينشطون في العمل فيها، مع التعرف على السيرة الذاتية لمن يقفون وراءها وتقصّي سوابقهم وسلوكياتهم ماضياً وحاضراً.

٢ ـ التعرف على نوع الخطب والمقالات والندوات والاحتفالات التي تقام فيها.

٣ ـ اجراء دراسة ومسح شامل لمنشورات هذه المؤسسة والتي تطرح عادة تحت شعارات دينية لأجل تمريرها على البسطاء من الناس.

هذا الأمر يبدو ضرورياً على صعيد النقطتين الأولى والثانية، إذ لابدّ من الإتيان بأدلة وشواهد قد لا يتسنّى للقارىء الحصول عليها إلّا نادراً.

أما النقطة الثالثة فالمسألة تكاد تكون محسومة باعتبار انّ منشورات هذه المؤسسة في متناول أيدي الجميع ولا حاجة الى بذل مزيد جهد وعناء

لتوفيرها كأدلة وشواهد.[١]

يعتقد البعض ان حسينية الارشاد يقتصر نشاطها على ترويج الوهابية والتسنّن والتشكيك بمباديء المذهب الشيعي وأحياناً نشر بعض المفاسد العملية من قبيل الموسيقى والدعوة إلى اختلاط الرجال بالنساء، وليس لها غرض مناويء لأصل الدين الاسلامي، ولكن سيتضح قريباً جداً ان المؤلفات الصادرة عن هذه المؤسسة تعدّت ذلك الى أكثر من ذلك، وحاولت تحت شعار الموضوعية والحياد والتحرر والانفتاح ونبذ التعصب ان ترسخ في أذهان الناس ان اللادينية هي حالة اجتماعية وظاهرة إنسانية يجب القبول بها ولا داعي للإصرار على وجود ديانة سماوية يجب على الجميع اتباعها. وسوف نشير ادناه الى واحد بالألف من هذه المؤلفات والمنشورات الصادرة عن المؤسسة المشار إليها داعين أهل الفن والخبرة الى التمعن في مضامينها ومطالعتها بصورة تفصيلية:

---

(١) ان حالة التهافت في هذا الحكم تبدو واضحة للعيان، فبالبدء يتمّ الهجوم بقسوة على اشخاص سخروا لسانهم واقلامهم للدفاع عن الدين والمذهب، ويحصل التشكيك بماضي وتاريخ المشرفين على المؤسسة ولكن دون تقديم اية إثباتات. فاذا كانت النقطتان الاولى والثانية بحاجة الى ادلة وشواهد يندر للقاريء ان يطلع عليها فلماذا لايقدم ناشرو البيان هذه الادلة والشواهد، واذا لم تكن لديهم مثل هذه الأدلة والشواهد فكيف يسوّغون لانفسهم سوق اتهامات خطيرة كهذه، وعلى اي اساس شرعي واخلاقي اعتمدوا في هذا الأمر؟ ان اكثر المحاكم الفاشية الصورية تعمل افضل من هؤلاء الذين منحوا انفسهم الحق في التكلم باسم الدين واصدار الاحكام باسم التشيّع مذهب الحق والعدالة، فتلك المحاكم تلجأ على اقل تقدير الى تجميع ادلة ولو مزوّرة للإيقاع بالمتهم ولا تجرؤ على اصدار الاحكام بدون دليل.

والباعث على الدهشة اكثر هو الدليل الذي أوردوه لتبرير عدم إتيانهم بدليل حيث صرّحوا بان السبب في ذلك هو صعوبة حصول القاريء على ادلة من هذا القبيل فيما يمكن ان يوصف بانه عذر اقبح من الذنب!

«خلافة الشيخين وكون خلافتهما نوعاً من الحكومة الإلهية» .

جاء في الجدول الأول من كتاب «محمد خاتم الانبياء» صفحة (٣٦١) ما يلي:

«كان أكثر هدوءاً في تلك الليلة (والمقصود النبي صلى الله عليه وآله) وصباح يوم الاثنين الذي كان يلتقط فيه أنفاسه الأخيرة، حرّكه من السرير الى ان وصل الى عتبة باب بيت عائشة فأزاح الستار ورأى الناس يصلّون مع أبي بكر، وفجأة انتبه الناس الى النبي وهو ينظر اليهم وعلى سيماه تلوح ابتسامة وديعة، كان النبي مسروراً جداً لأنه رأى الناس في المسجد على خلاف ما كان يتوقع، واطمأن الى مصير ومستقبل المسلمين في حال غيابه عنهم!

يقول أنس بن مالك: انه لم ير رسول الله في حالة أحسن من تلك اللحظة، دخل الرسول المسجد ورأى الناس رسول الله وهو يخطو بقدميه نحو المسجد والبسمة لا تفارق وجهه فانتابهم شعور بالغبطة وكادت صفوف الصلاة تنفرط لولا ان رسول الله أومأ بيده اليهم لكي يكملوا صلاتهم!

وفي الصفحة (٣٤٠) من نفس الكتاب جاء ما يلي:

كان أبو بكر واحداً من بين اثنين او ثلاثة اشخاص كان لهم اكبر النفوذ بين الناس، سابقته في الاسلام وصداقته الحميمة مع النبي وقرابته العائلية منه وكذلك الوجاهة الاجماعية التي كانت له في الجاهلية ؛ كلها عوامل ساعدت في أن يظل اسمه جارياً على ألسنة الناس، ولكنه كان ذا شخصية متواضعة، وكان سمحاً وذا طباع دمثة، غير ان المسؤولية السياسية والاجتماعية الحافلة بالأخطار. لا يكفي لها شخصية بهذه المواصفات.

أمّا عمر فعلى خلاف أبي بكر، كان حادّ المزاج خشن الطباع و يتعامل مع الأمور بجدّية وحزم، وهو ذو نزعة أُصولية ـ حسب الاصطلاح الغربي ـ إذا امن

بقضية اندفع فيها بلا مداراة ولا مسامحة، وقد أدّى انضمامه الى أصحاب محمد في مكة إلى تقوية صفوفهم بشكل ملحوظ.[١]

وفي الصفحتين ٣٣٧ و ٣٣٨ من الكتاب ذاته جاءت العبارة التالية: «أثبتت طريقة انتخاب الخلفاء الثلاثة كيف استطاعت الديمقراطية الغربية التي فقدت الشعوب ايمانها بها في الأعوام الأخيرة أن تمنح المجتمع العربي آنذاك قدرة على رسم آفاق مصيره السياسي دون الحاجة إلى حضور شخص النبي بينهم»[٢].

---

(١) وهنا حذف البيان تكملة الجملة لأغراض واضحة وهي كالآتي: «... ولكن عمر بقدر ما هو مسؤول تنفيذي ماهر وحازم، لم يكن لديه قدرة على الابداع والابتكار، روحه قوية اما ذهنيته فكانت سطحية، هذا الرجل الذي كان بارعاً في المجال التطبيقي والعملي، كان ضعيفاً للغاية في الجانب النظري والفكري والاعتقادي وطالما كان يعترف باخفاقاته الفكرية والعقائدية، ولا شك انّ السطحية في التفكير لدى الحاكم للامة الاسلامية وعدم ادراكه العميق لروح القرآن ولا نصّه يجعله غير مؤهل لأن يأخذ على عاتقه المسؤوليات التي كان يتحملها قبله محمد (ص) في قيادة الأمّة» (وبعد ذلك أوردت مجموعة من الشواهد التاريخية على جهل عمر بالقرآن). ص ٣٤٨.

(٢) في كتابي «محمد خاتم الأنبياء» و «معرفة الاسلام» يوجد أكثر من عشر صفحات ما بين متن وهامش خصصتها لدحض مبدأ البيعة والشورى الذي آمن به أهل السنّة في اثبات خلافة أبي بكر، وكذلك تفنيد أسس الديمقراطية التي يعتمد عليها اليوم أبناء الطبقة المستنيرة في العالم أجمع ويلجأ إليها كثير من المسلمين في اثبات مبدأ انتخاب خليفة النبي (الطريقة السنية) ونفي مبدأ الوصاية (الطريقة الشيعية) وقد برهنت من خلال أدلة عقلية وأصول اجتماعية وتقديم شواهد ونماذج سياسية من الثورات والانقلابات المعاصرة ان الديمقراطية نظام لا ثوري ومخالف لقيادة المجتمع أيديولوجياً. هذا أولاً، وثانياً: انّ الديمقراطية لم تتحقق بشكل كامل حتى يومنا هذا وفي نفس اوربا التي شهدت التجربة الديمقراطية منذ زهاء قرنين عقب انتصار الثورة الفرنسية الكبرى، وبالتالي كيف تستطيع الديمقراطية أن تنجح قبل أربعة عشر قرناً في انتخاب قيادة سياسية وفكرية صالحة اعتماداً

وفي نفس الكتاب والصفحة ٣٣٩ تحديداً نقرأ ما يلي: «ومن هنا، فان ممّا لا ريب فيه ان الناس بعد النبي سيحصل لديهم (اجماع) واتفاق على كبار رجال القوم وأشرافهم، أبو بكر بن أبي قحافة شيخ قريش وشريف بني تميم، وعمر بن الخطاب شريف بني عدي، وسعد بن عبادة شريف طائفة الخزرج، وعثمان بن عفان الرجل الصالح السيرة الذي ينتسب للنبي من طريقين ـ متزوج من ابنتي الرسول ـ وعبد الرحمن بن عوف شريف بني زهرة ومنهم أيضاً سعد بن أبي وقاص.

أما أبو سفيان بن حرب وابنه معاوية فهم رؤساء بني أمية وهي أقوى طوائف قريش، والعباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب الوجهان البارزان في بني هاشم (في رأي المؤلف انّ منزلة أبي بكر أعلى من الجميع كما انّ علي بن أبي طالب يأتي في المنزلة الأخيرة).[1]

↔ على آراء الأفراد في مجتمع يضم قبائل الأوس والخزرج وقريش وغطفان وغيرها من القبائل التي لا رأي فيها للفرد فضلاً عن أن يكون هناك اجماع للأُمّة يمكن الاستناد إليه في اختيار القائد السياسي بمعزل عن الحاجة إلى شخص النبي.

وهكذا نرى كيف ان علماء الاتجاه الصفوي سوّغوا لأنفسهم حذف عشر صفحات واقتصروا على ايراد الجملة الأخيرة بشكل إخباري في حال انّها كانت على نحو الاستفهام الانكاري، وذلك بقصد خداع وتضليل العوام من الناس وتأليبهم عليَّ من خلال نسبتهم إليّ عبارة (الديمقراطية أغنت المجتمع العربي عن وجود النبي (ص)!!)

(١) بعد أن برهنت على عدم قدرة الأمة على اختيار الخليفة الحقيقي للنبي بالاجماع أو البيعة، توصّلت إلى نتيجة مفادها أنّهم بحاجة ماسة إلى النبي في تعيين المستقبل السياسي لهم من بعده وتحديد الفرد الأصلح لقيادته بالنيابة عنه. ولم أزعم فقط ان النبي له الحق في ذلك، بل قلت ان ذلك وظيفة عليه وقد عمل بموجبها لدى عودته من حجة الوداع في غدير خم عندما عرف علياً ولياً من بعده.

↔

ﻫ ان جميع ما ذكروه أعلاه من مثالب عليٍّ جاء في مقام تمهيد الأذهان لقبول الضرورة الاجتماعية والاسلامية لواقعة الغدير ووجوب إعلام ولاية علي (ع)، وبعد ذلك أوردت الحديث عن الواقعة وتفاصيلها، بيد ان رجال التشيّع الصفوي بتروا هذه القضية وذلك بغية خداع الناس وليقدموني أمامهم متهماً بإنكار ولاية علي في حال أنّهم يعرفون جيداً ان جوهر كلامي هو في الدفاع عن ولاية علي في مقابل ولايات هؤلاء !

هاهنا، كنت أثبت أفضلية علي (ع) على سائر أصحاب النبي، وأحلل عناصر هذه الأفضلية بلغة عالم الاجتماع والمؤرخ المتخصص وأنقل بعض التصورات التي كانت تدور في أذهان القوم آنذاك تمهيداً لاثبات انّ النبي كان عالماً بأنّه لو لم يقدم على تعيين الخليفة من بعده فانّ المناخ الاجتماعي السائد في أبناء أمّته سيقودهم إلى انتخاب الأفراد حسب مكانتهم الاجتماعية والطبقية في الجاهلية، وبالتالي سيتجه الاجماع الجماهيري نحو رؤساء القبائل والشخصيات المرموقة اجتماعياً النفوذ وسوف تهمل الشخصيات الاسلامية التي تعتبر هي الأفضل والأرجح ضمن المعايير الفكرية والعلمية والاخلاقية التي يقوم على أركانها الكيان الثوري الاسلامي .

هاهنا كنت أقول ان النبي قبل وصوله إلى غدير خم كان ينظر في وجوه أصحابه ويخمّن من منهم سيقع الاختيار عليه فيما لو ترك الأمر للأمة، لكي تحدد الخليفة في ضوء المعايير الجاهلية التي ما زالت إلى ذلك الوقت مترسخة في نفوسهم، وما أوردته من أسماء ووجوه كان نوعاً من المحاكاة لما يراود النبي من أفكار فيما لو لم يتدخل شخصياً لتعيين خليفة حيث ان الأفراد الذين ذكروا هم الأوفر حظاً للانتخاب وفق المعايير القلبية والعشائرية السائدة آنذاك، ولكن ملالي الصفوية أوهموا الناس بأني أوردت هذا الترتيب على حسب قناعتي بالأسماء المذكورة !

والدليل على ذلك انني بعد التطرق لهذه الأسماء عدتُ وجعلتهم مورداً للنقد على لسان الرسول وأحصيتهم فرداً فرداً مع ذكر نقاط الضعف لكل منهم، والتي تحول دون كونهم مؤهلين لمنصب الخلافة، وفي خاتمة المطاف قلت: إنّ النبي استقرّ على نتيجة مفادها انّ عليّاً هو هو الشخص الوحيد الذي كان يتمتع بصلاحية مطلقة لتحمل هذا العبء الكبير وأوردت الأدلّة على ذلك، وقد قمت هنا بتصوير نسخة طبق الأصل من المقطع الذي بتروه ﻫ

⟵ من كتابي (محمد خاتم الأنبياء) وأوردته كاملاً لكي تتجلى للقارىء حقيقة رجالات التشيّع الصفوي ومقدار تقواهم وعدالتهم، وهم ينتحلون صفة علماء الشيعة زوراً وبهتاناً، وليتبين للناس إلى أي مدى يمتلك هؤلاء القدرة على الكذب والبهتان وتحريف الحقائق والتلاعب بالذين من أجل خداع الناس وتأليب العوام وتحريض العناصر المتطرفة مذهبياً ضد من لا ينسجم في منهجه مع أهدافهم وأغراضهم الدنيئة.

لقد اقتطعوا هذه العبارة من كتابي وأوردوها في بيانهم وأصدروا فتواهم للناس بأنّي اعتبر انّ أبا بكر أعلى منزلة من سائر أصحاب النبي وان علياً هو أدنى منزلة من الجميع!

انّ لعليّ في هذا المضمار منزلة خاصتاً هو الرجل الوحيد البارز بين صحابة النبي ممن ليست له خيوط وأواصر مع الجاهلية، وكان يمثل جيلاً من الرجال نشأوا مع الإسلام وقد ارتضع من الفكر النهضوي لمحمد، والخصوصية التربوية الأُخرى له ان يد الفقر العطوفة انتشلته من بين افراد اسرته ليعيش في بيت محمد سنين شبابه الأُولى حيث تتشكل ملامح الشخصية الانسانية على الصعيدين الروحي والفكري. وإنّه لمن الصدف العظيمة أن يقيّض لطفل مع وجود والده ان يتلقى تربيته في حجر ابن عمّه وذلك لتنمو روحه الكبيرة والتي يفترض أن تصبح لاحقاً انموذجاً للنفس الانسانية الكاملة في مدرسةٍ استاذها محمد ومادّتها الدراسية هو القرآن الكريم، ولكي يتعرف على الاسلام منذ انطلاقته الأُولى دون أن يلوّث روحه البريئة رجس من الجاهلية.

رجل السيف والخطابة والسياسة، احساس مرهف برقة العرفان، وفكر راسخ رسوخ الحكمة لدى أصحابها، قويّ وشديد في العدل والتقوى إلى حدّ لا يطيقه الأُصحاب، معرفته الشاملة والعميقة بالقرآن مما أجمع عليه الكل، الظروف الحياتية الخاصة به، سيرته الاجتماعية والسياسية وقربه من الرسول خاصة على الصعيد الروحي والفكري: كلّها عوامل ساعدت على جعله مشرفاً على روح الاسلام ومعناه الحقيقي العميق الذي يكمن وراء الأحكام والطقوس والشعائر الدينية وغالباً ما يختفي على أصحاب النظر الظاهري للأمور، لقد عجن شعوره وفكره ورؤيته بزلال الاسلام، كان لديه (وجدان اسلامي) وهو شيءٌ آخر غيرُ مجرّد الاعتقاد بالدين الاسلامي الحنيف.

وطوال ثلاث وعشرين سنة هي الفترة التي أمضاها محمد في استنهاض من الناس على

⟷

⇔ الصعيدين الروحي والاجتماعي، كان لعليّ قصب السبق في كلّ الميادين، عاش في قلب الأخطار ولم يزغ بمقدار أنملة عن جادة الحق والموقف الصحيح، لم يتزعزع أو يترهل أو يرتبك أو يشكّ أو يهن أو يضعف، وأعظم ما فيه هو روحه المتعددة الأبعاد، الروح البارزة والمتفوقة في جميع الميادين حتى ما كان منها متضاداً بطبعه. لقد كان بطلاً في الفكر وفي القتال وفي الحبّ! رجل المحراب والناس ورجل العزلة والسياسة، وهو العدو اللدود لكل الرذائل التي تعاني منها الانسانية، وهو اللوحة التي تتجسّد فيها كلّ الفضائل التي تتطلع إليها الانسانية جمعاء.

ولكن من الواضح جداً انّ المجتمع الذي لم يفصل بينه وبين المناخ البدوي والجاهلي سوى عشر سنوات لا يمكن أن يحتضن روحاً بهذه العظمة والرقة، ولذلك كان غريباً ومجهولاً على أقرانه، وذلك لعمري هو مشهد مؤلم في التاريخ، وقصة علي وأصحاب علي تمثل المقطع الأكثر إيلاماً في ذلك المشهد الحزين، إذ لم تكن المساحة بين رجل ومجتمعه بهذا البعد في أي مشهد من مشاهد التاريخ كما كانت المسافة بين علي والمجتمع الذي يعيش فيه. لا شكّ ان النبي كان يفكر بعليّ كثيراً، وتوجد على ذلك قرائن عديدة تؤكد انّه كان يكنّ لعليّ نظرة خاصة، ولكنه كان يعلم من جهة أُخرى ان رجال القوم لن يفسحوا المجال أمام هذا الشاب ذي الثلاثين عاماً ونيّف ولن يتحملوا تنصيبه قائداً عليهم في حال ليس لديه سند سوى محمد ولا رصيد غير بطولاته ومواقفه عبر مسيرة التضحية من أجل الاسلام.

ان أقوى الاجنحة السياسية في الاسلام هو جناح أبي بكر، أمّا عمر وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص وعثمان وطلحة والزبير فهم العناصر المهمة في هذا الجناح. وان من الضروري هنا الاشارة إلى ما استنبطته تاريخياً في هذا السياق إذ سيكون له أثر في تبديد الكثير من سحابات الغموض السياسي في تلك الفترة، أمام المؤرخ الذي يبحث غالباً في الجذور الطبقية والاجتماعية لوقائع التاريخ...

جاء في سيرة ابن هشام ذكر الاشخاص الذين اعتنقوا الدين الاسلامي بالترتيب مع ذكر الأوصاف والظروف التي اكتنفت اعتناقهم للاسلام. ومن المعلوم انّ أول شخص آمن بمحمد من غير أهل بيته هو أبو بكر، (وان كان البعض يعتقد انّ هناك أشخاصاً آخرين سبقوا أبا بكر

⇔

⇐ إلى الاسلام من غير أهل بيت النبي ولكن التاريخ أهمل ذكرهم لعدم أهميتهم تاريخياً)، ومن ثمّ استطاع أبو بكر اقناع جماعة آخرين باعتناق الدين الاسلامي والايمان بمحمد، ويُعلم من خلال ذلك ان لهؤلاء أواصر قوية مع أبي بكر في الجاهلية، وهم خمسة: عبد الرحمن بن عوف وعثمان وسعد بن أبي وقاص وطلحة والزبير.

هؤلاء الأشخاص الخمسة سوف نعثر لهم في التاريخ على موقف آخر، متى وأين؟ بعد ستة وثلاثين عاماً وفي الشورى التي اقرّها عمر لاختيار الخليفة من بعده، تلك الشورى تمكّنت من إقصاء علي بطريقة ماهرة! الشورى التي كان عبد الرحمن بن عوف رئيسها وصاحب حقّ الفيتو فيها، الشورى التي رشحت عثمان للخلافة والتي لم يكن أعضاؤها سوى هؤلاء الخمسة بالاضافة إلى عليّ وحده!

لقد كان أبو بكر هو الشخصية الأبرز في هذه المجموعة السريّة، وان اقدام عمر على اختيار هذه المجموعة مع ما كان له من دور في السقيفة يوضح بما لا يقبل الشك، ان له نحواً من الارتباط والتنسيق والاتصال، هؤلاء كانوا يتضامنون فيما بينهم، منذ السنة الأولى للبعثة إلى نصف قرن بعد ذلك وتحديداً في معركة الجمل، واستمروا يلعبون معاً دوراً سياسياً بارزاً في كلّ الميادين السياسية طوال هذه الخمسين سنة التي تمثل واحدة من أكثر المراحل التاريخية أهمية وحساسية وخطورة في تاريخ الاسلام. لقد وقف هذا الجناح السياسي القويّ بوجه عليّ، الخلفاء الثلاثة كلّهم من هذا الجناح، وأول حرب شنّت ضد حكومة علي كان قادتها اثنين من أبرز أعضاء هذا الفريق السياسي الخطير.

ان المنزلة التي كان يتمتع بها سعد بن أبي وقاص في زمان خلافة عمر والدور السلبي الذي لعبه أثناء خلافة علي يكشفان عن وجود نوع من الوحدة والتضامن بينه وبين ذلك الفريق، وما نراه نحن الآن كان النبي دون شكّ يراه ويدركه من ساعة وداعه لأهل مكة وكان يعلم ان هؤلاء سيكون لهم أثر مصيري على مستقبل أمّته، وكان يفكر بذلك كثيراً، ويرى ان علياً سيبقى لوحده في مقابل هذا الفريق، أمّا الأشخاص المرتبطون به كأبي ذر وسلمان والمقداد وعمار وغيرهم فليس لديهم هذه العقلية الفئوية والارتباط السياسيّ الخفيّ، ويؤكد ذلك غيابهم عن السقيفة بأجمعهم!

مسؤولية النبي الآن خطيرة وحساسة جداً، فإن الاعلان عن تنصيب علي في أهم موقع ⇐

. . . .

⇐ سياسي لقيادة الأمّة بعد النبي، من الممكن أن يؤدي إلى زعزعة الوحدة التي حصلت بشقّ الأنفس في هذا المجتمع البدويّ القبلي، وزلزلة هذا العامل الحياتي في ضمان استمرار وجود هذا الكيان الاجتماعي الفتيّ. من جانب آخر إذا سكت محمد ولم يبح بالأمر، ألا يكون قد ضحى بحقيقة من أجل مصلحة؟! أليس ضعف المكانة الاجتماعية لعلي ناجماً عن تفوّقه في الدين، أليست عزلته السياسية ناشئة من حزمه وقاطعيته في السير على نهج محمد والأحقاد التي تكنّها القبائل العربية لعليّ، أليس منشؤها سيفه البتّار الذي لم يكن يهوي على رؤوس أبطال العرب إلا طاعة لله ولرسوله؟!

ان سكوت محمد بحقّ علي سوف يتركه وحده في التاريخ، ان النسق الاجتماعي القائم آنذاك والتركيب الطبقي والقبلي السائد وشكل التكتلات السياسية الموجودة في المجتمع آنذاك من شأنها أن تحرم علياً من أبسط حقوقه بل وربما ستسهم في التشويش على دوره ومكانته في الاسلام، وتشويه صورته وسمعته إلى درجة ان المسلم الظاهر قد يجد في لعن عليّ أفضل السبل في التقرب إلى الله ورسوله! وذلك ما قد حصل بالفعل!

هل سيتخلى محمد عن مهمة الدفاع عن علي في حال انّه لا يوجد ثمة نصير له غيره؟ هل سوف يسمح بسكوته، وصمته بأن يمحق عليّ بواسطة التاريخ؟

اتخذ النبي قراره النهائي وهو علي بعد عشرة أميال من مكة التي غادرها للتوّ. صبر إلى أن التحق المتأخرون، نصبوا له منبراً فوق صخرة وبدأ النبي بالقاء خطبته الطويلة والتي حاول فيها التمهيد للإعلان عن ولاية علي.

قال لهم: من أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

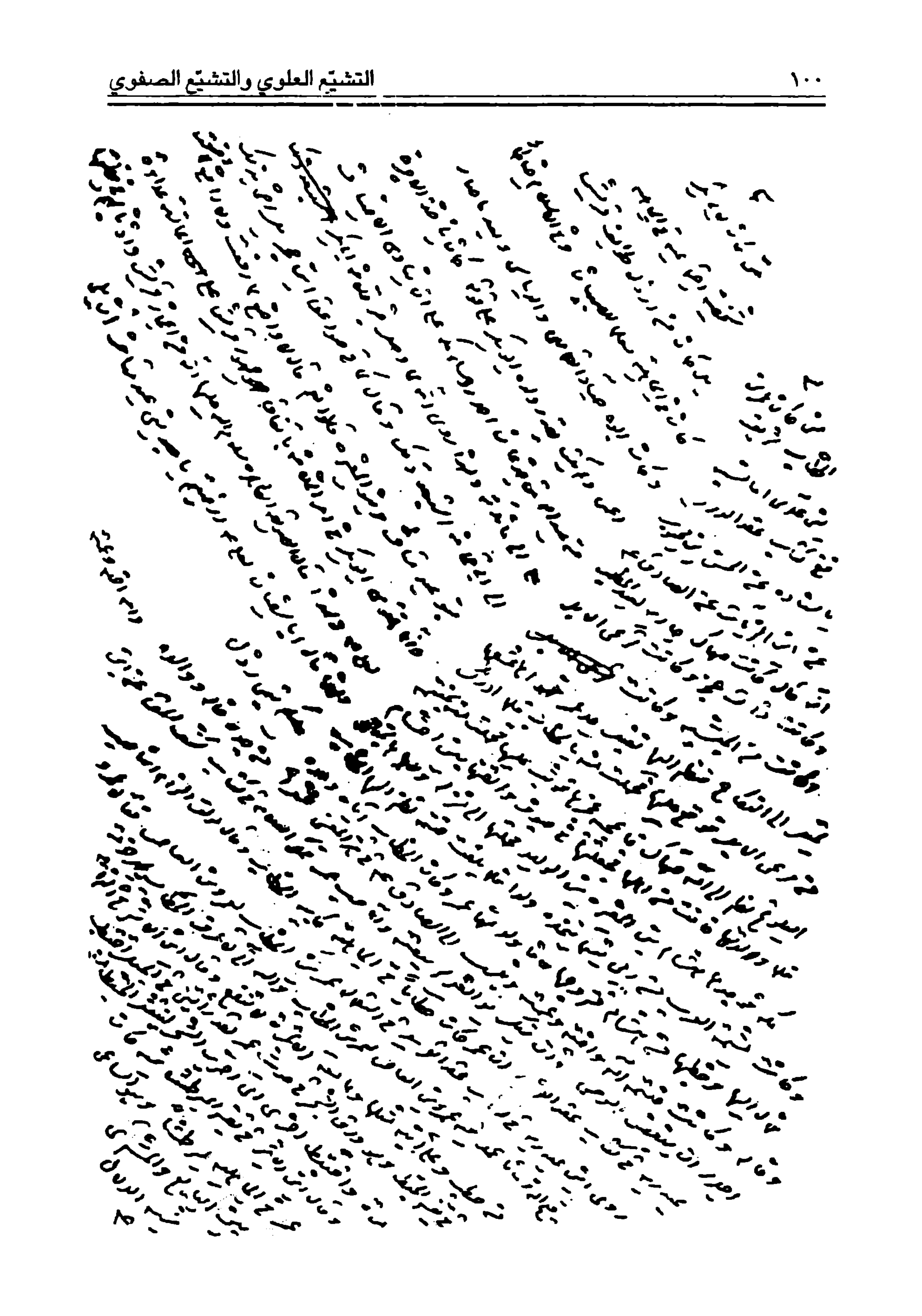
قال: ألست أولى منكم بأنفسكم؟

قالوا: بلى، يا رسول الله!

قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله!

وفور انتهاء مراسيم التنصيب نزل قوله تعالى: ﴿اليومَ أكْملتُ لكُمْ دِينكُمْ وأتمَمتُ عليكُمْ نِعمَتي ورَضِيتُ لَكُمُ الإسلامَ ديناً﴾ (سورة المائدة، الآية ٦).

صورة التعليق الذي أورده السيد العسكري على البيان



من وجد ذلك يكن فضيلة رابعة في الإسلام حتى يكون أعلى رتبة من [illegible] على علم الإمام

[illegible]

نصّ الهامش الثالث للسيد العسكري :

متى كان عمر بن الخطاب شريف بني عدي، أما نسبه ففي كتاب الدرر بإسناده عن الحسن بن محبوب عن ابن الزيات عن الإمام الصادق (ع) أنّه قال: كانت صهاك جارية لعبد المطلب، وكانت ذات عجز وكانت ترعى الابل وكانت من الحبشة وكانت تميل إلى النكاح فنظر إليها نفيل جدّ عمر في مرعى الابل فوقع عليها فحملت منه بالخطاب. فلمّا أدرك البلوغ نظر إلى أمّه صهاك فأعجبه عجزها فوثب عليها فحملت منه بختمة. فلمّا ولدتها خافت من أهلها فجعلتها في صوف وألقتها بين أحشام مكة فوجدها هشام بن المغيرة بن الوليد فحملها إلى منزله وسمّاها بالختمة، وكانت شيمة العرب من يربّي يتيماً يتخذه ولداً، فلما بلغت ختمة نظر إليها الخطاب فمال إليها وخطبها من هشام فتزوجها فأولد منها عمر وكان الخطاب أباه وجدّه وخاله وكانت ختمة أمّه وأُخته وعمّته، وينسب إلى الصادق في هذا المعنى شعراً :

مَن جدّهُ خالهُ ووالده وأُمّه وأُخته وعمّته
أجدر أن يبغض الوصيّ وأن ينكر في الغدير بيعته

(وأكتفي بنقل هذا المقدار من الهوامش (العلمية) لهذه الشخصية العلمائية الصفوية، وأعتقد أنّها كافية لتوضيح طبيعة المنطق العلمي والديني الذي يتعاطى به رجالات التشيّع الصفوي، واقتصر هنا على الاشارة إلى مفارقة طريفة وهي انني أوعزت منزلة أبي بكر وعمر واللوبي الذي يعمل بالتنسيق معهما إلى زمان الجاهلية. أما الذين يصرّون على أن أبا بكر وعمر لم يكونا قبل الاسلام سوى أولاد خدم وجامعي حطب فانّهم قد اعترفوا من حيث يشعرون أو لا يشعرون بأنّ الرجلين اكتسبا هذه المنزلة والمكانة من الاسلام لا من الأوضاع الاجتماعية والطبقية للجاهلية !

منطق العالم الشيعي :

ان نظرة تأمل في كتابات الوجوه البارزة من علماء التشيّع العلوي في عصرنا الحالي ومقارنتها مع ما أوردته من نماذج من نصوص التشيّع الصفوي يمنح الباحث فرصة جيدة لتشخيص جذور الانحراف الفكري الذي تعرض له مجتمعنا، إن المنطق القويم والرؤية الموضوعية العلمية والخلق الانساني الرفيع الذي يتحلى به التشيّع العلوي في الخارج قد أحدث هزّة عنيفة في أروقة الجامع الأزهر .

العلامة محسن الأمين العاملي، والسيد شرف الدين، والشيخ كاشف الغطاء، ومحمد جواد مغنية... وفي ايران أيضاً لفيف من علماء التشيّع العلوي يمكن العثور عليهم في بحر (التشيّع الصفوي) الذي كاد يغرق بلادنا، هؤلاء العلماء العلويون تمكنوا عبر منطقهم العلمي واسلوبهم الاستدلالي المتين ورؤيتهم المتفتحة من حماية القيم الاعتقادية والحضارية للتشيع العلوي وأوجدوا في أوساط الجيل المثقف المعاصر ميولاً نحو فكر أهل البيت حلّت مكان حالات الثورة التي تسبب في ايجادها الفكر الصفوي الدخيل على التشيّع الأصيل...

ويمكن أن نعتبر كتاب المراجعات ـ وهو عبارة عن مجموعة لمناظرات علمية جرت بين السيد شرف الدين والشيخ سليم من كبار علماء السنّة ـ النموذج الأبرز لمنطلق التشيّع العلوي في عصرنا الحاضر، ولو كنت أمتلك الجرأة الكافية لنقلت لكم هنا أمثلة ونماذج لطريقة المحاججة والاستدلال فيما يرتبط بمواضع الاختلاف بين التسنن والتشيّع في هذا الكتاب، غير ان خشيتي من (الصفوية) تحول بيني وبين ذلك، وأكتفي بدعوتكم إلى مراجعة تلك النصوص ومطالعتها بأنفسكم لكي تدركوا حجم المسافة بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، وتروا بأم أعينكم ماذا جرى من المصائب والويلات على التشيّع العلوي، والبون الشاسع بين الطريقة

التي يتحدث بها العالم الشيعي وطريقة رجل الدين الصفوي !

وعلى سبيل المثال أورد لكم هنا عدة نماذج من المنطق المعمول به بين علماء التشيّع العلوي وهم لحسن الحظ جميعهم معاصرون ومن الوجوه المعروفة والمرموقة والتي يجمع علماء الطائفة على منزلتها ومكانتها العلمية في عالم التشيّع، وذلك على أمل أن يلمس القراء الكرام حجم المؤامرة الجديدة ودوافع الحملة المفتعلة ويدركوا ان علماء الشيعة الحقيقيين بريئون منها ولا يتأثروا بما يسمعونه من قيل وقال ومن أقوال تهدف إلى زرع الفتنة وترويج الخرافات، وتوظيف المفاهيم المقدّسة كالولاية وغيرها في إلصاق التهم والافتراءات غير المقبولة عقلياً ولا منطقياً بحسينية الارشاد أو بي شخصياً، وان الغرض الحقيقي هو خلق الأحقاد بين المسلمين واستغفال الاذهان بمسائل هامشية وقضايا مفتعلة وكلّ ما من شأنه الاساءة إلى حقيقة الولاية والتشيّع العلوي والمنهج الحسيني وتشويه صورة الحوزة العلمية الشيعية الكبرى في أذهان الجيل المثقف من أصحاب العقول النيّرة المتفتّحة على الواقع المعاصر .

وإليكم الآن نماذج من المنطق العلوي للتشيع بازاء ما أوردناه آنفاً من المنطق الصفوي المنتحل لهوية التشيّع :

السيد شرف الدين الموسوي (عالم معاصر كبير من لبنان) :

«ان الاختلاف بين الشيعة والسنة هو كالاختلاف بين مجتهدين من مذهب واحد حول استنباط حكم»[1].

---

(١) المراجعات، مناظرة مع الشيخ سليم من كبار علماء الأزهر .

الشيخ كاشف الغطاء (مرجع ديني وفقيه ومحقق كبير من العراق) :

«ليس المراد من التقريب بين المذاهب الاسلامية إزالة أصل الخلاف، بل أقصى المراد وجلّ الغرض هو إزالة أن يكون هذا الخلاف سبباً للعداء والبغضاء...

أعظم فرق جوهري، بل لعلّه الفارق الوحيد بين الطائفتين: السنة والشيعة هو قضية الامامة حيث وقف الفرقتان منها على طرفي خط... والقول بالامامة وعدمه لا علاقة له بالجامعة الاسلامية وأحكامها من حرمة دم المسلم وعرضه وماله ووجوب أخوّته...

ولعل قائلاً يقول انّ سبب العداء بين الطائفتين انّ الشيعة ترى جواز المسّ من كرامة الخلفاء أو الطعن فيهم... فليس هذا من رأي جميع الشيعة، وانّما هو رأي فردي من بعضهم، وربّما لا يوافق عليه الأكثر. كيف وفي أخبار أئمّة الشيعة النهي عن ذلك، فلا يصحّ معاداة الشيعة أجمع لإساءة بعض المتطرفين منهم...

ولو أن المسلمين كانوا في تلك الظروف يداً واحدة كما أمرهم الله لما انتزع من الاسلام شبر واحد، وإذا لم يكفِنا عبرة ما سجّله التاريخ من تلك الفجائع، فليكفنا ما رأيناه بأم أعيننا من رزية المسلمين بفلسطين وهي الفردوس الثاني، سبع دول عربية اسلامية كما يزعمون تتغلب عليها عصابة من أذلّ الأمم مشهداً وأقلّهم عدداً!

... ان من اللازم على كلّ فرقة من المسلمين، من الشيعة وغيرهم أن يوصدوا باب المجادلات المذهبية، وما يثير الحفائظ والعصبية، فانّها إن لم تكن محرمة بنفسها ومضرة بذاتها فهي من أعظم المحرمات في هذه الظروف التي أحاط بنا فيها الأعداء...».

الشيخ محمد جواد مغنية (عالم شيعي وكاتب معروف من لبنان) :

«.. يجب على كلّ شيعي امامي أن يعتقد بإمامة الاثني عشر إماماً، ومن ترك التدين بإمامتهم عالماً كان أم جاهلاً، واعتقد بالأصول الثلاثة ـ التوحيد والنبوة والمعاد ـ فهو عند الشيعة مسلم غير شيعي، له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم...

... وأغتنم هذه الفرصة المناسبة لألفت نظر من يحتجّ على الشيعة ببعض الأحاديث الموجودة في كتب بعض علمائهم، ألفت نظره إلى أن الشيعة تعتقد ان كتب الحديث الموجودة في مكتباتهم ـ ومنها الكافي والاستبصار والتهذيب ومن لا يحضره الفقيه ـ فيها الصحيح والضعيف، وان كتب الفقه التي ألّفها علماؤهم فيها الخطأ والصواب، فليس عندهم كتاب يؤمنون بأنّ كلّ ما فيها حقّ وصواب من أوله إلى آخره غير القرآن الكريم... .

... انّ أهل السنّة يكنّون احتراماً فائقاً لأهل البيت ويروون في مناقبهم وفضائلهم، وفي المقابل فانّ الشيعة ليسوا من الغلاة وان رأيهم في الصحابة هو رأي أهل البيت، والشيعي ليس معتزلياً، بل له عقائده الكلامية المستقلة وهي تمثل حالة وسطى بين الاشاعرة والمعتزلة، والشيعة لا تقول بتحريف القرآن وتهاجم هذا الرأي بشدة، وعليه فانّ جميع الفرق الاسلامية أمّة واحدة وما دام الاختلاف الفقهي بينهم ناشئاً عن الاجتهاد فالجميع معذورون ومأجورون !

... ومثلما لدى بعض الشيعة توهم خاطىء حول موقف أهل السنّة من أهل البيت، فإن البعض من السنّة يتوهمون بأنّ الشيعة يغالون في أهل البيت ويؤلّهونهم ويعادون صحابة النبي، ويمكن رفع سوء التفاهم هذا بالقول انّ الغلاة على عدّة أقسام: السبئية والخطابية والمفوضة والثالوثية، وانّ آيات القرآن الكريم وروايات

أهل البيت قد حكمت ببطلان عقيدة الغلاة وان فقهاء الشيعة يفتون جميعاً بنجاستهم وحرمانهم من الإرث...»[١].

آية الله الشيخ محمد صالح الحائري المازندراني (مرجع تقليد في ايران) :

«الإمامة والخلافة مسألتان منفصلتان عن بعضهما وليس بينهما تلازم، والشيعة يرون ان اشتغال الإمام بالخلافة الظاهرية ليس شرطاً للإمامة، ولا توجد جريمة أكبر من أن تقع المصالحة بين الإمام والخليفة بينما يقع الخلاف والنزاع بين أبناء الأمة، ولو كان الاختلاف في الإمامة والخلافة قضية مصيرية وأساسية لقامت الحروب من أجلها...

...ان الاحتجاج حول قضية الإمامة هدفه فقط هو الحؤول دون الخلط بين المنصب الديني والمنصب الحكومي، وفي هذا المجال يجب الاقتداء أيضاً بعليّ وأولاده، وان أفضل طريقة لفض النزاع هو القول بأن الخليفة هو الأمين والحافظ لخزائن الأرض بينما الإمام هو المؤتمن على خزائن العلوم الإلهية والنبوية».

الشيخ محمد تقي القمّي السكرتير العام لدار التقريب :

«... لو أمعنّا النظر في جذور تسمية المذهبين السنّي والشيعي، لاكتشفنا انّ جميع المسلمين هم شيعة لأنّهم جميعاً يحبّون أهل بيت النبي الأكرم (ص)، وهم

---

(١) يبدو انّ المؤلف (ره) نقل هذه المقتطفات والتي تليها بتصرف واختصار من ترجمة فارسية لكتاب (دعوة التقريب) وهو مجموعة مقالات كتبها شخصيات كان لها دور في تأسيس أو تدعيم دار التقريب بين المذاهب الاسلامية، وقد وصف المؤلف هؤلاء بأنّهم علماء كبار في التشيّع العلوي والتسنن المحمدي، ويذكر انّ مترجم كتاب دعوة التقريب إلى الفارسية هو السيد (بي آزار الشيرازي) وهو شخصية فاضلة ومتحررة حسب وصف المؤلف .

أيضاً سنّة لأنّ جميع المسلمين يعتقدون بوجوب العمل بكلّ ما ثبت من طريق موثوق أنّه صادر عن النبي الأكرم (ص)... وفي ضوء ذلك فنحن جميعاً سنة وشيعة وقرانيون ومحمديون!».

وأدناه قائمة بمشيّدي دعائم حركة التقريب بين المذاهب الاسلامية في عصرنا هذا:

عبد المجيد سليم ـ أبرز الوجوه الفقهية في العالم الاسلامي ورئيس الأزهر الشريف.

مصطفى عبد الرزاق ـ استاذ ورئيس جامعة الأزهر، فيلسوف ومفكر كبير ورائد حركة التقريب.

محمد علي علوبة ـ مفكر وإصلاحي معروف.

محيي الدين القليبي ـ عالم تونسي.

فريد وجدي ـ صاحب دائرة معارف القرن العشرين وكاتب مشهور.

الشيخ شلتوت ـ رئيس الأزهر.

الشيخ مصطفى المراغي ـ رئيس الأزهر.

الحاج أمين الحسيني ـ المفتي الأعظم لفلسطين.

الشيخ محمد عبد اللطيف ـ رئيس ادارة الأزهر.

الشيخ محمد عبد الفتاح العناني ـ رئيس المذهب المالكي.

الشيخ عيسى منون ـ رئيس كلية الشريعة.

الشيخ حسن البنا ـ زعيم الاخوان المسلمين.

علي بن إسماعيل المؤيد ـ ممثل الشيعة الزيدية في اليمن.

وأمّا علماء الشيعة فقد كان لهم دور ريادي في حركة التقريب بين المذاهب أيضاً تتعرف عليه وعليهم من خلال ما كتبه الاستاذ الشيخ شلتوت في مقدّمة قصّة التقريب :

«ولعلّي أيضاً كنت أستطيع أن أتحدث عن صور لكثيرين ممّن وهبوا أنفسهم لهذه الدعوة الاسلامية ووقفوا عليها جهودهم، وآمنوا بالتقريب سبيلاً إلى دعم قوة المسلمين وابراز محاسن الإسلام، وغير هؤلاء كثيرون ممّن سبقونا إلى الله من أئمّة الفكر في شتى البلاد الاسلامية الذين انضموا إلى التقريب وبذلوا جهودهم لنشر مبادئه، وساجلناهم علماً بعلم، ورأياً برأي، وتبادلنا وإياهم كثيراً من الرسائل والمشروعات والمقترحات، وفي مقدمتهم المغفور له الإمام الأكبر الحاج آقا حسين البروجردي ـ أحسن الله في الجنة مثواه ـ أو المغفور لهما الإمامان الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، والسيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي ـ رحمهما الله ـ.

ويواصل الشيخ شلتوت بثّ آهاته وأمنياته في هذه المقدّمة بدافع الشعور بالمسؤولية والتحلّي بالرؤية الواعية والتي ان دلّت على شيء فهي تدلّ أولاً على وجود نفوس عالية تأبى الهزيمة أمام دسائس المتصيدين في الماء العكر من أعداء الداخل والخارج، وهمم كبيرة مفعمة بالحياة والحب للإسلام لا يثنيها عن عزمها محاولات يبذلها أناس حاقدون من كلا الفريقين، وتدلّ ثانياً على صحة ما أدّعيه من انّ الحقد والضغينة هي من خصائص التشيّع الصفوي والتسنن الأموي وإلّا فانّ التشيّع العلوي والتسنن المحمدي طريقان متلاقيان من يسير في أحدهما لا بدّ أن يأتي اليوم الذي يلتقي فيه مع صاحبه ليصبحا معاً وحدة واحدة.

يقول الشيخ شلتوت :

«أحسنت دار التقريب صنعاً، إذ فكّرت في اصدار كتاب تسجّل فيه قصة هذه الفكرة الاسلامية، وتذكر أطوارها وتاريخها وما صادفها من تأييد المؤيدين أو معارضة المعارضين، حتى أصبحت من الحقائق العلمية الثابتة في تاريخ الفكر الاسلامي، وسرى بها روح من الإصلاح والمحبّة والأخوّة بين المؤمنين، تحقيقاً لقول الله جلّ شأنه:

﴿إنَّما المُؤمنونَ إخوةٌ فأصلحوا بينَ أخويكُم واتَّقوا اللَّه لعلَّكم تُرحمُون﴾[1].

ولقد كنت أودّ لو استطيع أن أكتب هذه القصة بنفسي لأسجل فيها ألواناً من المشاعر والأفكار التي مرّت بي في فترات مختلفة من العصر الذي عشته في جوّها، والذي عاصرت فيه أخوة أعزاء، أحببتهم وأحبّوني في الله، وناظرتهم وناظروني بحثاً عن الحقيقة، والتماساً لآفاق من العلم الديني من واجب المؤمنين ان يلتمسوها، وأن يزوّدوا لأهليهم أوديتها.

كنت أودّ لو أستطيع ذلك بنفسي لأسجّل لمحات كنت ألمحها في فكرة تعرض، أو رأي ينفذ، أو اجتماع يعقد، أو بحث ينشر، أو رسالة ترد، أو وفد يفد... فان دعوة التقريب هي دعوة التوحيد والوحدة، وهي دعوة الاسلام والسلام، وان اسلوبها الذي تنتهجه لهو الاسلوب الحكيم الذي أمر الله به رسوله الكريم إذ يقول:

﴿ادعُ إلى سبيل ربِّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالَّتي هي أحسن إنَّ ربَّك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدينَ﴾[2].

---

(١) الحجرات، الآية ١٠.

(٢) النحل، الآية ١٢٥.

وإذا اتجهت العقول إلى البحث في اخلاص وتضامن، لا همّ لها إلّا ابتغاء الحق، لمعت امامها الأضواء، وسرت إليها أشعة الهداية الربانية وكان لها قبسات، وكان لها لمحات، وانّي لأرجح ان قوله تعالى: ﴿واتّقوا اللّه ويعلّمكم اللّه﴾ يشمل الأمر بالتجرّد عن كلّ هوى من شأنه أن يخلّ بتقوى الله حين يتّجه المرء إلى محراب العلم ملتمساً أن يفيض الله عليه من نفحاته.

إنّ المتقي لله في مقام ابتغاء العلم هو ذلك الذي لا تأخذه عصبية ولا تسيطر عليه مذهبية ولا ينظر يميناً ولا شمالاً دون قصده .

كنت أودّ لو استطيع ذلك بنفسي لأصوّر فكرة الحرية المذهبية الصحيحة المستقيمة على نهج الاسلام، والتي كان عليها الأئمّة الأعلام في تاريخنا الفقهي، اولئك الذين كانوا يترفعون عن العصبية الضيقة، ويربئون بدين الله وشريعته عن الجمود والخمول، فلا يزعم أحدهم أنّه أتى بالحقّ الذي لا مرية فيه، وان على سائر الناس أن يتّبعوه، ولكن يقول كما كان يقول الأئمّة الأوّلون :

«هذا مذهبي وما وصل إليه جهدي وعلمي، ولست أبيح لأحد تقليدي واتباعي دون أن ينظر ويعلم من أين قلت، فانّ الدليل إذا استقام فهو عمدتي والحديث إذا صحّ فهو مذهبي» .

ولقد تهيّأ لي بهذه الأوجه من النشاط العلمي أن أطلّ على العالم الاسلامي من نافذة مشرفة عالية وأن أعرف كثيراً من الحقائق التي كانت تحول بين المسلمين واجتماع الكلمة وائتلاف القلوب على أخوة الاسلام، وأن أتعرف إلى كثير من ذوي الفكر والعلم في العالم الاسلامي، ثمّ تهيأ لي بعد ذلك، وقد عُهد إليّ بمنصب مشيخة الأزهر أن أصدرت فتواي في جواز التعبد على المذاهب الاسلامية الثابتة الأصول المعروفة المصادر المتبعة لسبيل المؤمنين ومنها مذهب الإمامية «الاثنا عشرية»

وهي تلك الفتوى المسجّلة بتوقيعنا في دار التقريب التي وزّعت صورتها الزنكغرافية بمعرفتنا. والتي كان لها ذلك الصدى البعيد في مختلف بلاد الأمة الاسلامية، وقرّت بها عيون المؤمنين المخلصين الذي لا هدف لهم إلّا الحق والألفة ومصلحة الأمة. وظلّت تتوارد عليَّ الأسئلة والمشاورات والمجادلات في شأنها وأنا مؤمن بصحتها ثابت على فكرتها أؤيدها في الحين بعد الحين، فيما أبعث به من رسائل للمستوضحين، أو أردّ به على شبه المعترضين، وفيما أنشيء من مقال ينشر أو حديث يذلع أو بيان أدعو به إلى الوحدة والتماسك والالتفاف حول أُصول الاسلام ونسيان الضغائن والأحقاد حتى أصبحت والحمد لله حقيقة مقرّرة، تجري بين المسلمين مجرى القضايا المسلّمة بعد أن كان المرجفون في مختلف عهود الضعف الفكري، والخلاف الطائفي والنزاع السياسي يثيرون في موضوعها الشكوك والأوهام بالباطل .

وها هو ذا الأزهر الشريف ينزل على حكم هذا المبدأ. مبدأ التقريب بين أرباب المذاهب المختلفة فيقرّر دراسة فقه المذاهب الاسلامية ؛ سنّيّها وشيعيّها، دراسة تعتمد على الدليل والبرهان، وتخلو من التعصب لفلان أو فلان، كما أنّه اهتم في تكوين مجمع البحوث الاسلامية بأن يكون أعضاؤه ممثلين لمختلف المذاهب الاسلامية .

وبهذا تكون الفكرة التي آمنّا بها، وعملنا جاهدين في سبيلها قد تركزت الآن وأصبحت رسالة الدار محل التقدير والتنفيذ. وكنت أود أن أستطيع أن أتحدث عن الاجتماعات في دار التقريب حيث يجلس المصري إلى الايراني، أو اللبناني أو العراقي أو الباكستاني، أو غير هؤلاء من مختلف الشعوب الاسلامية، وحيث يجلس الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي بجانب الإمامي والزيدي حول مائدة

واحدة تدوّي بأصوات فيها علم وفيها أدب وفيها تصوّف وفيها فقه وفيها مع ذلك كلّه روح الأخوة وذوق المودّة والمحبّة وزمالة العلم والعرفان .

وكنت أودّ لو أستطيع أن أبرز صورة كصورة الرجل السمح الزكـي القـلب، العفّ اللسان رجل العلم والخلق المغفور له الاستاذ الأكبر الشـيخ مـصطفى عـبد الرزاق، أو صورة كصورة الرجل المؤمن القويّ الضليع في مختلف علوم الاسـلام المحيط بمذاهب الفقه أصولاً وفروعاً الذي كان يمثل الطود الشـامخ فـي ثـباته، والذي أفاد منه التقريب في فترة ترسيخ مبادئه أكبر الفائدة المغفور له أستاذنا الأكبر الشيخ عبدالمجيد سليم رضي الله عنه وأرضاه، أو صورة كصورة ذلك الرجل الذي حنكته التجارب واحتضنته محافل العلم والرأي المغفور له الاسـتاذ مـحمد عـلي علوبة، جزاه الله عن جهاده وسعيه خير الجزاء .

ولعلّي أيضاً كنت استطيع التحدث عن صور لكثيرين ممن وهبوا أنفسهم لهذه الدعوة الاسلامية ووقفوا عليها جهودهم وآمنوا بـالتقريب سـبيلاً إلى دعـم قـوة المسلمين وابراز محاسن الاسلام، وغير هؤلاء كثيرون ممن سبقونا إلى لقاء الله من أئمّة الفكر في شتى البلاد الاسلامية الذين انضموا إلى التقريب وبـذلوا جـهودهم لنشر مبادئه، وساجلناهم علماً بـعلم، ورأياً بـرأي، وتـبادلنا وايّـاهم كـثيراً مـن الرسائل والمشروعات والمقترحات، وفي مقدمتهم المغفور له الإمام الأكـبر آقـا حسين البروجردي ـ أحسن الله الجنة مثواه ـ ، أو المغفور لهما الإمـامان الشـيخ محمد الحسين كاشف الغطاء والسيد عبد الحسين شرف الدين (رحمهما الله) .

لقد تلقى أولئك الأعلام دعوة التقريب في أول نشأتها ففتحوا لهـا قـلوبهم وعقولهم وأصبغوها أكرم جهودهم حتى ذهبوا إلى ربّهم راضين مرضيين وان لهم لتاريخاً يذكر وفضلاً يجب أن يسجّل ويؤثر وغير هؤلاء كثير، ولسنا بصدد العـدّ والإحصاء .

ولقد ذهب هؤلاء إلى ربّهم راضين مرضيين، وان لنا لأخوة آمنوا بالفكرة ولا يزالون يعملون في سبيل دعمها، وهم أئمّة الاسلام وأعلام الفكر في شتى الأقطار الاسلامية، أطال الله أعمارهم، وسدّد في سبيل الحق خطاهم ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم مَّن قضى نحبه ومنهم مَّن ينتظر وما بدَّلوا تبديلاً﴾[1].

وإذا كان هذا جانباً من جوانب التأييد والتلاقي حول فكرة التقريب، فإنّ جانباً آخر من الحرب والمعارضة قابل هذه الدعوة وحاول أن يصدّ عنها، شأن كلّ دعوة اصلاحية حين يتصدى لها الذين لم يألفوها، فلقيت بذلك دعوة التقريب نصيباً كبيراً من المعارضة لها والهجوم عليها بقدر أهميتها وعظم هدفها، وكان هذا النصيب متعدد الأشكال والأنواع .

كان الجوّ السائد عند بدء الدعوة مليئاً بالطعون والتهم، مشحوناً بالافتراءات وأسباب القطيعة وسوء الظن من كلّ فريق بالآخر، حتى عدّ تكوين الجماعة بأعضائها، السنّية الأربعة، والامامية والزيدية، نصراً مبيناً أهاج نفوس الحاقدين، وهوجمت الدعوة لا من فريق واحد بل من المتعصبين أو المتزمّتين من كلا الفريقين؛ السنّي الذي يرى أن التقريب يريد أن يجعل من السنّيين شيعة، والشيعي الذي يرى أننا نريد أن نجعل منهم سنّيين، هؤلاء وغيرهم أساءوا فهم رسالة التقريب فقالوا: إنّها تريد إلغاء المذهب أو ادماج بعضها ببعض .

حارب هذه الفكرة ضيّقوا الافق، كما حاربها صنف آخر من ذوي الأغراض السيئة، ولا تخلو أية أمة من هذا الصنف من الناس، حاربها الذين يجدون في

---

(١) الأحزاب، الآية ٢٢.

التفرق ضماناً لبقائهم وعيشهم، وحاربها ذوو النفوس المريضة وأصحاب الأهواء والنزعات الخاصة، هؤلاء وأولئك ممّن يؤجرون أقلامهم لسياسات مفرقة لها أساليبها المباشرة وغير المباشرة في مقاومة أية حركة اصلاحية، والوقوف في سبيل كلّ عمل يضم شمل المسلمين ويجمع كلمتهم...

كانوا يهاجمون الفكرة كلّ على طريقته، ويسمّمون الجو بقدر استطاعتهم بغية القضاء على تلك الدعوة الواضحة المبادىء والأركان، القائمة على العلم والدراسة والبحث، الداعية إلى فتح المجال أمام الدليل من أيّ أفق طلع...

كنت أودّ لو أستطيع أن أبرز هذه النواحي كلّها في قصة التقريب، اكتبها بنفسي وأتتبع تفاصيلها كما لابستها وعشت ظروفها، ثم أتتبع مجلة «رسالة الاسلام» التي أدّت أمانتها وأحسنت سفارتها وكانت معرضاً لآراء العلماء من كلّ فريق، يمدّونها بالبحوث وينظرها كلّ منهم حريصاً عليها، فتزدان بها مكتبة الشيعي كما تزدان بها مكتبة السنّي وينهل من معارفها الغربي كما ينهل من معارفها الشرقي، ولكن حسبي أن أكتب هذه المقدمة مشيراً بها إلى بعض جوانب هذه القصة.

وانّا لنحمد الله سبحانه أن أصبحت فكرة التقريب نقطة تحول في تاريخ الفكر الإصلاحي الاسلامي، قديمه وحديثه، وأنّها اثّرت تأثيراً بعيد المدى.

وأنّه يحق للمسلمين أن يفخروا بأنهم كانوا أسبق من غيرهم تفكيراً وعملاً في تقريب مذاهبهم وجمع كلمتهم.[1]

---

(١) تعريض بالمسعى الذي قام به المسيحيون على أثر حركة دار التقريب، حيث دعا بابا الكنيسة الكاثوليكية في العالم فرق الدين المسيحي إلى الوحدة ولكنه لم يوفق رغم الامكانيات الهائلة التي تمّ رصدها لهذا الغرض.

وقد نجحوا في ذلك بفضل اخلاص القائمين على أمر هذه الدعوة وسلامة تفكير المسلمين. وانّا لنسأل الله تعالى دوام النجح لهذه الدعوة حتى يعود للاسلام مجده وللمسلمين عزّهم، ويتحقّق فيهم وصف الله عزّ وجلّ :

﴿كنتم خير اُمّة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾[١].

﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى اللّه على بصيرةٍ أنا ومن اتّبعني﴾[٢].

﴿يا أيُّها الَّذين آمنوا استجيبوا للّه وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾[٣].

هذا، وكان الشيخ شلتوت قد أصدر فتوى بجواز العمل بالمذهب الجعفري أو العدول من المذاهب الأربعة إليه ا مضافاً إلى دوره في إدخال الكثير من الأحكام والفتاوى الشيعية في القانون المدني المصري مثل عدم قبول الطلقات الثلاث بلفظ واحد وغيرها من الأحكام التي رجّحتها على الأحكام المناظرة لها عند السنّة لجان تخصصية في الأزهر ودار التقريب .

هذا هو أنموذج من المنطق المعتدل المنصف الذي يعدّ من سمات التسنن المحمدي كما هو سمة بارزة من سمات التشيّع العلوي الذي يستمدّ جذوره من منطق عليّ إمام التشيّع الحقّ، بينما يستمدّ التشيّع الصفوي سماته وجذوره من منطق مؤسّسه (أبي سفيان) وتساهم في ترسيخها أكثر وأكثر أجهزة السلطة الوراثية لنظام الحكم السفياني.

ان منطق عليّ لم يسوّغ له الإساءة إلى عمر والتقليل من شأنه، بالرغم من

---

(١) آل عمران، الآية ١٠٩.

(٢) يوسف، الآية ١٠٨.

(٣) الأنفال، الآية ٢٤.

إهدار حقوقه وجعله حبيس الدار بتواطؤ سياسي بين عمر وأبي بكر، بل انّه لم يتنكّر للخدمات التي قدّمها عمر للدولة الاسلامية لأنّه لا يريد أن يغمط حقّ الرجل على خلفية أخذ الخلافة منه بغير حقّ، وها هو يشيد بتلك الخدمات في كتاب (نهج البلاغة) الذي جمعه شيعي (السيد الرضي) وصحّحه ونقّحه سنّي (محمد عبده) فيقول:

«لله بلاد فلان، فقد قوّم الأود، وداوى العمد، وأقام السنّة، وخلف الفتنة، وذهب نقي الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها، وسبق شرّها، أدى إلى الله طاعته، واتقاه بحقّه، رحل وتركهم في طرق متشعبة، لا يهتدي فيها الضال ولا يستيقن المهتدي»[١].

الانصاف والخلق الرفيع والإقرار للندّ بفضائله ومناقبه، والاشادة بها رغم وجود سلبيات لديه، وانتقاده بأدب ولياقة ومسؤولية؛ دروس وعبر نتعلمها من سيرة علي الذي ربّى الانسانية على اسلوب النقد الايجابي وتوخي الموضوعية والإنصاف لدى تقييم أعمال الآخرين حتى ولو كانوا خصوماً!

هذا هو منطق التشيّع العلوي ويضاهيه منطق علماء التسنن المحمدي الذين كانوا يقرّون بالفضل للامام جعفر الصادق (ع) لأنهم تلمذوا عليه رغم أنّهم أصبحوا بقرار الخليفة رؤساء رسميين للدين والمذهب، ومع ذلك فهم لا يتنكّرون لفضل الإمام عليهم، ويؤكدون إنهم ليسوا سوى مجتهدين ولا يجوز لأحد أن يقلّدهم إلّا بعد الفحص والنظر وأن آراءهم الفقهية والكلامية لا تعدو كونها آراء بشر قد تصيب وقد تخطىء، ولا ينبغي الجمود عليها واعتبارها خطأً أحمر لا يجوز تخطّيه!

---

(١) نهج البلاغة.

أما ما حدث من حصر الفقه بأصحاب المذاهب الأربعة فقد كان هذا الإجراء إجراءً حكومياً قام به رجال التسنن الحكومي العاملون في البلاط العباسي وذلك من أجل سدّ أبواب العلم والاجتهاد وتعطيل العقول وتجميدها .

وهذا هو الخليفة المنصور يخبر رئيس المذهب المالكي بأنّه سوف يصدر تعميماً على المسلمين بالعمل وفق كتاب فقه مالك فيحتجّ الأخير على ذلك ويطلب من الخليفة أن يبقي الناس أحراراً في اختيار المذهب الذي يريدون !

من جهة أُخرى فانّ الإمامين الشافعي وأبا حنيفة يصرّان على ان ما أفتيا به هو في مستوى الرأي والنظر ولا يجوز العمل به دون تدبّر وتدقيق ومراجعة لمستند الفتوى، فان كان سليماً قبلت وإلّا فلا !

أما في مجالات الحبّ والتقدير والاحترام لأهل بيت النبي (ص) فان لأئمة السنة ورؤساء مذاهبهم مواقف محيّرة تبعث على الدهشة خاصة عندنا نحن الشيعة الغارقين في بحر الدعاية الصفوية المغرضة، وها هو الشافعي رئيس المذهب المعروف ينشد الشعر بحق امير المؤمنين فيقول:

يموت الشافعي وليس يدري عـلـيّ ربّـه أم ربّـه اللهُ!!

وهكذا نرى ان وراء هذا السور المطبق الأسود الذي بناه حولنا التشيّع الصفوي وبناه حولهم التسنن الأموي، فضاءً رحباً له آفاق واسعة وهواء طلق وسماء صافية يعيش في ظلها الشيعي العلوي مع أخيه السني المحمدي ويرى كل منهما نفسه مرآة بوجه الآخر، ومن هذا المنطلق أنا أعارض دائماً بعض السلوكيّات التي يصرّ البعض عليها حتى لو أدّت الى التفرقة ـ وربما يصرّ عليها عامداً من أجل التفرقة ـ ممّا يثير الضغينة بين ابناء الدين الواحد، وفي الوقت ذاته لا أوافق على الدعوات التي تقول بوجوب تجنب الاستطراق إلى العقائد الشيعية الخاصة تفادياً

لإثارة السنّة وحرصاً على الوحدة، وذلك كوني اعتقد أننا لو انتهجنا الاساليب العلمية المنسجمة مع روح التشيّع الحقيقي في دراسة وعرض تلك العقائد والمسائل التاريخية، فإننا سنضمن في نفس الوقت عدم إثارة اخواننا السنة بل سوف نحفّزهم على الاقتراب من التشيّع ونمهّد أرضية صالحة للتفاهم والوئام ووحدة الصفوف، لأن تشيّع علي هو في الواقع نفس اسلام محمد، ولأن علياً هو الذي أرسى بنفسه دعائم صرح الوحدة في المجتمع الاسلامي ووضع لبناته الأولى على مدى خمسة وعشرين عاماً أمضاها حبيس داره ساكتاً عن المطالبة بحقه مراعاة لعصا المسلمين ان لا تشقّ، وفي ضوء ذلك يمكن القول ان الشيعي ليس بحاجة لأن ينطلق في خطاه الوحدوية من عموميات التشيّع بل بوسعه الانطلاق من صلب التشيّع وتفاصيله ولكن بالأسلوب والنهج الذي اشرنا اليه آنفاً، وسوف يجد أنه سيلتقي بإخوانه على أطيب ما يكون، والأمر ذاته ينطبق على الأخوة ابناء العامة إذ لا موجب يحتمّ عليهم تفادي طرح المسائل الحساسة ؛ الشأن كل الشأن في اسلوب الطرح والنهج المتّبع في المناقشة والاحتجاج، والسبيل الوحيد الكفيل بتحقيق تلك الأمنية هو توفير قاعدة علمية مشتركة وراسخة بين الأخوين (المستعدَيْن)[١] لمواجهة العدوّين (المتآخيين)[٢].

مونتاج «الدين ـ القومية»!

ان حذاقة ودهاء الحركة الصفوية تتجلّى اكثر شيء في أنها أرست دعائم حكومتها على أساسين محكمين:

---

(١) التشيع العلوي والتسنن المحمدي.

(٢) التشيّع الصفوي والتسنن الأموي.

١ ـ المذهب الشيعي .

٢ ـ القومية الإيرانية .

إن توظيف المشاعر والشعائر الخاصة بـالشيعة واسـتثمار الحـالة الوطـنية والأعراف القومية الايرانية، أسهما معاً في عزل إيران عزلاً تاماً عن جسـد الامـة الاسلامية الكبير واخراجها بشكل كامل عن إطار هيمنة الدولة العثمانية التي كانت تتوشح بوشاح الإسلام والتي أصبحت الدولة الصفوية فيما بعد عدوّها اللدود!

١ ـ القومية: الحركة «الشعوبية الشيعية»!

أواخر عهد بني أمية واوائل عهد بني العباس انحسرت (الخلافة الاسلامية) تاركةً المجال للحكومة العربية لتحتل محلّها، ومنذ ذلك الحين أُحييت روحية الزهو والتفاخر العربي في جـهاز الحكـم الأمـوي وواكب ذلك بـطبيعة الحـال احـتقار القوميات الأُخرى وبالذات القومية الايرانية. وكردّ فـعلٍ عـلى ذلك بـرز الشـعور العرقي في نفوس الايرانيين وتولّدت تيارات تدعو لإحياء التراث الوطني القـومي والاعتزاز بالهوية الايرانية، وقد تبلورت تلك التيارات اكثر شيء في الحركة التي اصطلح عليها بالحركة الشعوبية.

وقد حملت الشعوبية في بداية ظهورها شعار (التسوية) اي مساواة العـجم بالعرب، وذلك بموجب الآية القرآنية:

﴿يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾[1].

ولكن بعد فترة تحولت الحركة الشعوبية تدريجياً من حـركة (تسـوية) الى

---

(١) الحجرات، الآية ١٣.

حركة (تفضيل) تدعو إلى تفضيل العجم على العرب، وعملت عبر ترويج المشاعر القومية واشاعة اليأس من الإسلام الى ضرب سلطة الخلافة وفصل الايرانيين عن تيار النهضة الاسلامية المندفع ـ رغم الظلم والفساد الحكومي ـ الى الأمام بقوة، حيث انصهرت في بوتقة هذا التيار ثقافات شتى لأُمم شتّى باستثناء ايران التي حاولت أن تنأى بنفسها وتتخذ منحىً آخر توطّد فيه العلاقة بين ايران الإسلام وبين ايران التراث.

ورغم ان مشاعر الاستعلاء الأموية والعنصرية العربية التي خيّمت على جهاز الخلافة الأموي كانت قد خلقت مناخاً مناسباً لنموّ المشاعر الوطنية والقومية إلا ان النهضة الشعوبية أخفقت في تحقيق طموحها على الرغم من انها انطلقت انطلاقة قوية، لكنها لم تستطع التغلغل في اعماق الضمير الشعبي الايراني، وذلك لأسباب منها ان الشعب الايراني كان في ذلك الوقت قد سئم حالة الضياع الديني التي كانت تخيّم عليه بسبب الديانة الزرادشتية والنظام الساساني المتحالف معها وانحسار الأولى لصالح المسيحية والبوذية والمانيّة المزدكية وغيرها من المذاهب والديانات التي لم يلبِّ اي منها حاجة الشعب الايراني الى دين حقيقي يروي عطشه المعنوي وينتشله من الواقع المأساوي الذي يرزح فيه؛ الأمر الذي استطاع الإسلام من توفيره برغم السلبيات والنواقص التي طرأت على التجربة الاسلامية منذ بداياتها الأولى وخاصة بعد هيمنة بني امية على مقاليد الأمور في الدولة الاسلامية.

ان السبب الرئيس في عجز الشعوبية عن تحقيق اهدافها يتمثل في ان الشعب في ايران آنذاك كان تواقاً الى معركة إنقاذ للمجتمع وقد تلمّس وجودها في الاسلام وعقائده السامية خاصة في مضماري القيادة والعدالة (دعامتي التشيّع الرئيسيتين) بينما اكتفت الشعوبية بتحفيز المشاعر الوطنية الكامنة في نفوس الإيرانيين وتمجيد

الأكاسرة وتجديد الدعوة لقيم ومعايير أسقط الاسلام ـ من قبل ـ اعتبارها وقيمتها، ولذلك لم تنجح الشعوبية إلّا على نطاق جزئي محدود إذ خلّفت بذور التمسك بالهوية الايرانية وحالت دون انصهار الايرانيين بشكل تام مع جسد الأمة الإسلامية.

أما الآن فالصفوية تريد أن تلعب الدور ذاته في مقابل مركز الخلافة الاسلامية في (اسلامبول) وعليها اذن ان تسلك الطريق ذاته في تأجيج الشعور القومي واحياء السنن والعادات والأعراف الايرانية القديمة والتفاخر ببطولات الأسلاف وذلك كي يتسنى للدولة الصفوية ان توطّد علاقتها بالشعب الايراني عبر اثارة هذه المشاعر، ولكي يستعيد الايراني نزعته الاستقلالية الانفصالية عن الجسد الاسلامي الكبير، وبدلاً من ان يستند الى الاسلام الذي يجمعه مع التركي والعربي ـ اعداء الصفوية ـ يحاول الاستناد الى تراثه القومي وانتمائه العرقي الايراني.

ولكن هل تكرر الحركة الصفوية الخطأ ذاته الذي وقعت به من قبلها الشعوبية فجفّت عروقها وهي في بداية المشوار؟ كلّا! لقد تفادت الصفوية تكرار الخطأ الشعوبي، وبغية ترسيخ أفكارها واهدافها في ضمائر الناس وعجنها مع عقائدهم وايمانهم، عمدت الصفوية الى إضفاء طابع ديني على عناصر حركتها وجرّها الى داخل بيت النبي إمعاناً في التضليل ليتمخّض عن ذلك المسعى حركة (شعوبية ـ شيعية) موظفةً الشعوبية في تحويل تشيّع الوحدة الى تشيّع التفرقة، ومستغلةً التشيّع لكي تضفي على الشعوبية طابعاً روحياً ساخناً ومسحة قداسة دينية، ولم يكن ذلك الهدف الذكي والطموح البعيد متيسراً إلّا عبر تحويل الدين الاسلامي وشخصية محمد وعلي الى مذهب عنصري وشخصيات فاشية! تؤمن ـ ايضاً ـ بأفضلية التراب والدم الإيراني، والفارسي منه على وجه الخصوص،وبالذات السلالة

الساسانية من بين الفرس!

هذه هي الخطوة الأُولى، اما الخطوة الثانية فهي تلفيق رواية مضحكة ـ لفّقتها دون شكّ الشعوبية الأم! ـ ومفادها ان فتاة من السلالة الساسانية قيّض لها الزواج بشاب من سلالة محمد واهل بيت النبوة عند المسلمين، وقد أسفر هذا الزواج الميمون عن ولادة صبيّ يمثل ملتقى النبوة بالسلطنة وتتجلى فيه اواصر الارتباط القومي ـ المذهبي، وهو (الامام الأول) (التشيّع الشعوبي) المنبثق عن (الإسلام الفاشي) الذي جاء به نبي (نازيّ) حاملاً لواء (الامامة العنصرية)!

لقد وحّد نبي الإسلام بين كل الطوائف والقوميات وألغى الفوارق الطبقية والعرقية وسوّى أواصر الدم مع التراب، ولم يعترف بمعيار للتفاضل غير التقوى، وحارب مظاهر الفخر والمباهاة وشنّ عليها حرباً شعواء لا هوادة فيها بحيث سرت آثارها إلى سائر مجتمعات الشرق حتى تلك التي لم تعتنق الاسلام فإنّها تأثرت بالتعاليم والقيم الاسلامية بفضل احتكاكها بثقافة المسلمين. وكان النبي دائماً يحذّر ابنته فاطمة ووريثته الوحيدة وبضعته وواسطة عقد النبوة بالإمامة، من الاتكال على صلتها القرابية بالنبي ويقول: «اعملي فلست بمغنٍ عنك شيئاً».

النبي محمد بهذه الروح السامية والخلق العظيم ترسم الصفوية له صورة أُخرى متفاوتة تماماً يتباهى فيها بانّه حين ولد في مكة كان هناك ملك عادل في مكان بعيد! وانّه يؤمن بانّ بعض الأقوام لها مزايا ذاتية وصفات وراثية، واختارها الله دون سواها من أجل تلك المزايا والصفات، كلّ تلك الأقاويل هي مقدمات تمهيدية لعقد قران بين الاسلام والقومية الفارسية، ومجيء العروس من (المدائن) إلى (المدينة) وزواج بنت الملك (يزدجرد) آخر حلقة في سلسلة السلطنة من ابن علي (ع) أول حلقة في سلسلة الإمامة!

روي عن النبي انّه قال: اختار الله من العرب قريش ومن العجم فارس !

ويقول علي بن الحسين زين العابدين: أنا ابن الخيرتين !

وينظم أبو الأسود الدؤلي شعراً في الإمام زين العابدين:

وان غلاماً بين كسرى وهاشم لأكرم من نيطت عليه التمائمُ

عروس المدائن في المدينة

يروي العلامة المجلسي في بحار الأنوار (ج ١١ ص ٤) ـ بعد نقل أخبار حول زواج الإمام مثيرة للغثيان ـ انّ والدة الإمام هي بنت يزدجرد التي جيء بها أسيرة في زمان الخليفة عمر، وقد أعجب بها الإمام الحسين، وتزوجها فولد له منها ابن واحد هو الإمام زين العابدين (ع).[1]

من جهة نحن نعلم انّ الإمام السجاد ولد عام ٣٨ هـ، أي بعد عشرين عاماً من زواج أمّه من الإمام الحسين !

وقد صرّحت هذه القصة بأنّ (شهربانو) كانت من أسرى فتح المدائن، وان

(١) أحد السادة الذين طالعوا هذا الكتاب (البحار) واستمعوا للشريط المتضمّن لمحاضرة ألقاها أحد الوعاظ المحترمين في الردّ عليّ لأنني بانكاري لهذه الرواية وجّهت طعنة غادرة للشيعة (بالطبع الشيعة الساسانية !)، يقول هذا الأخ انّه قد التقى بالواعظ المذكور شخصياً وقال له: ان هناك آخرين أنكروا هذه الرواية غير (شريعتي)، حتى انّ أحد علماء المذهب صرّح في كتاب نشره مؤخراً انّ هذه الرواية لا سند لها !

فإذا بالواعظ المحترم الذي قلب الدنيا على رأسي لأنني شكّكت بالرواية وحرمت ابن سبط النبي وإمام الشيعة من أن يكوْن سبطاً ليزدجرد، إذا به يقدم جواباً مقنعاً وذا مغزى واضح ـ يسلّط الضوء على كثير من الحقائق ـ فيقول: نعم ! ما يقوله ذلك العالم صحيح، ولكن ... !

عمر كان ينوي قتلها ولكن الإمام علي هو الذي أنجاها من الموت، وواضح جداً ان واضعي هذه القصة هم من أنصار الشعوبية الايرانية وأنّهم أرادوا من ذلك إظهار انّ علياً (ع) كان يساند الساسانيين ويدافع عنهم وذلك في مقابل عمر الذي كان عدوّهم وهازم جيوشهم !

غير انّ هؤلاء فاتهم انّهم حينما أرادوا اثبات انّ الإمام السجاد هو حفيد يزدجرد وأمّه شهربانو، أوقعوا أنفسهم في اشكال تاريخي عويص وهو لزوم أن يكون الإمام الحسين تزوج في العام ١٨ للهجرة (عمره حينها ١٥ سنة) بينما الإمام السجاد ولد العام ٣٨ للهجرة، ومن المنصوص عليه انّه لم يولد له من شهربانو سوى الإمام السجاد، وهذا يعني انّها لم تلد من الإمام الحسين إلّا بعد مضي عشرين عاماً !

غير انّ العلامة المجلسي عندما تنبّه إلى هذه المشكلة بالرواية حاول ترقيعها بالقول انّه ليس من المستبعد أن تكون كلمة (عمر) الواردة في الرواية تصحيفاً لكلمة (عثمان) فيكون الزواج قد تمّ في عهد عثمان لا في عهد عمر !

والواقع انّ هذه المحاولة ـ إذا قبلت ـ فإنّها سوف تحلّ اشكال التفاوت الكبير بين وقت الزواج ووقت الولادة، ولكنّ إشكالاً آخر أكثر إحراجاً سوف يظهر فيها وهو طول المسافة الزمنية بين إنكسار جيش يزدجرد وبين أسر بناته! هذا مضافاً إلى إنّ الرواية تضمنت التصريح بانّ الأسرى هم أسرى (المدائن) فهل يقول العلامة المجلسي انّها مصحّفة أيضاً ؟!

ويتطرق العلامة المجلسي الى بيان اسم ام الإمام وهل هي سلامة أو خولة أو غزالة أو شاه زنان أو... فيقول انهم جاءوا ببنت يزدجرد الى المدينة وما ان وقعت عينها على عمر حتى غضبت وسبّت عمراً فسبّها هو أيضاً وأمر بأن تباع شأن سائر

الأسرى فاعترضه امير المؤمنين بالقول ان بنات الملوك لا تباع وتشترى وان كانوا كفاراً، وأشار عليه بأن يزوّجها رجلاً من المسلمين ويدفع صداقها من بيت المال!

وفي ذيل هذه الرواية المنسوبة الى الامام الصادق نصغي الى الحوار الآتي بين الامام علي وابنة يزدجرد:

ـ فقال «چه نام داري أي كنيزك»؟ يعني ما اسمك يا صبيّة؟!

ـ قالت: جهان شاه.

ـ فقال: بل شهربانويه.

ـ قالت: تلك أختي.

ـ قال: «راست گفتي» أي صدقت...!

ويبدو ان الناقل (أو المختلق) لهذه الرواية لم يكن يدري ان الامام علي (ع) حتى لو سلّمنا انه تحدّث معها بالفارسية إلّا ان اللغة التي كان سيتحدث بها لم تكن مفهومة عند بنت يزدجرد وذلك لأن الإمام يتحدث باللهجة الفارسية الدرّية وهي لهجة محلية لأهالي خراسان بينما كانت بنت يزدجرد تتحدث باللغة البهلوية الساسانية! هذا أولاً، وثانياً ان عبارة «اي كنيزك» الواردة في الرواية من الواضح انها من الاصطلاحات الرائجة في زمان (الراوي) لا في زمان الحدث!

واذا أمعنا النظر في الرواية نلاحظ شيئاً غريباً وهو ان الامام كان يخاطبها بالفارسية بينما هي تجيب بالعربية!

والأغرب من ذلك التوجيه الذي ذكره العلامة المجلسي بإزاء تسمية الامام لها بـ(شهربانويه) بدلاً من (جهان شاه) حيث أوعز العلامة ذلك الى ان كلمة (شاه) هي من اسماء الله تعالى مستدلاً على ذلك بما جاء في الخبر من ان علة النهي عن

الشطرنج وجود عبارة الشاه مات، ووالله ان الشاه لا يموت.

خلال برنامج شارك فيه اضلاع المثلث الثلاثة، ارتقى احدهم المنبر ثلاث مرات في مدينة مشهد للهجوم على هذا الكتاب (الطبعة الأولى منه)، وقد استمات في الدفاع عن رواية ابنة يزدجرد وبعد توجيه الإهانات لي وتأييده من قبل الحاضرين، قال بانّ هذه الرواية منقولة في كتاب (الكافي)، ايها الناس هل الكافي كتب في العهد الصفوي، وهل الكافي ساقط عن الاعتبار؟...

ولا شكّ في ان هذا الأسلوب واللهجة المستخدمة في المحاججة تفي جداً بالغرض المعقود من أجلسه ذلك المجلس وهو تأليب الناس عليّ وعلى كتابي، كما ان هذا الأسلوب التحريضي يتناسب كثيراً مع مستوى الحاضرين في ذلك المكان، واغلبهم من البسطاء والزوّار الأبرياء!، وإلّا فان كل من لديه حظ بسيط من العلوم الاسلامية وخاصة طرق الاستدلال العلمي المتداولة بين الشيعة وغيرهم، يدرك تمام الإدراك ان التشكيك بصحة رواية معينة لا يعني أبداً إلغاء اعتبار الكتاب الذي وردت فيه، وذلك لأن الكتاب المعتبر ليس هو الكتاب الذي يتمّ قبوله دون ادنى مناقشة، بل لا يوجد كتاب بهذه الصفة ما عدا الكتب السماوية أو الكتب التي يؤلفها المعصومون شريطة ان تكون مسلّمة الصدور وان تبقى مصونة عن التحريف، نعم، هذا الشيء موجود ومتعارف بين العوام حيث يقبلون بكل ما موجود في كتاب مشهور خاصة اذا كان كاتبه شخصية دينية معروفة. بيد ان هذا الأمر ليس كذلك بين العلماء وأصحاب التخصص في هذا المجال، حيث ان كل كتاب عندهم ما عدا كتب الوحي المنزل يكون عرضة لوقوع الخطأ والتناقض والتضاد، وكل من اطلع على كتب العلماء الكبار من الشيعة يرى بوضوح ان من ابرز سمات البحث العلمي في التراث الشيعي هو كثرة النقد والاشكال والاعتراض على آراء وافكار بعضهم

البعض. ولا يوجد اليوم محقق أو مجتهد شيعي إلّا ويعطي نفسه الحق ـ بل يرى من الواجب عليه ـ ان يتناول بالنقد والتحليل حتى الكتب الأربعة للشيعة والتي تـعدّ المصادر الأربعة الرئيسية لديهم في مجال استنباط الأحكام الشرعية، وبالطبع فان احداً لا يعتبر ذلك طعناً وتشكيكاً وتقليلاً من شأن هذه الكتب وقيمتها العـلمية، وذلك ان الكتاب المعتبر هو الكتاب الذي يكون مؤلفه شخصية معتمدة وخبيرة لا تنقل الاحاديث اعتباطاً بل استناداً الى ضوابط واسس مقبولة، ولكنها ـ شخصية المؤلف ـ في الوقت نفسه قد تكون معرضة للخطأ ـ عقلاً أو نقلاً ـ فلا يسلبها ذلك اعتبارها وقيمتها العلمية. وصفوة القول ان اسقاط رواية عن الاعتبار لا يعني اسقاط اعتبار الكتاب الذي نقلت فيه أو الكاتب الذي نقلها، والعكس ايضاً صحيح فـان القول بان الكتاب الفلاني معتبر وكاتبه معتمد لا يعني بحال من الأحوال ضـرورة التسليم والقبول بكل ما ورد فيه!

ان في التراث الشيعي طرقاً علمية وقواعد فنية دقيقة في تشـخيص صـحة الرواية وسقمها، ويعدّ هذا الباب والمجال العلمي من اعظم المزايا العلمية للمسلمين والشيعة على وجه خاص، فثمة علم الحديث والدراية الذي له أساليبه الخاصه في البحث والتدقيق وتحليل المستندات التاريخية على اساس ضوابط ومعايير محددة يتم في ضوئها الحكم على الرواية بالقبول أو الرد، وتأتي في المرتبة الأولى اثبات حجّية السند من خلال النظر في وسائط نقل الرواية وهـل يـوجد فـي السـلسلة حلقات مفقودة أو مجهولة وهل بين الرواة اشخاص كذابون أو مـتهمون بـالجعل والافتراء، ومن ثم يلاحظ عدد النـاقلين للـروايـة، واحـد أم مـتعدد، قـليلون ام كثيرون؟ بعدها يصار الى البحث في دلالة الرواية ومضامينها هل تتطابق مع القرآن وهل توافق السنّة وان لا تخالف العقل ولا إجماع العلماء، وفي ضوء ذلك يـقسم

الحديث الى مسند ومرسل وصحيح وشاذ ومشهور ونادر ومتواتر وغريب وغيره.

هذا هو أسلوب الكلام حول الروايات وردّها أو قبولها، لا ان يقال: ايها المؤمنون ان فلاناً يشكّك بالرواية الفلانية الواردة في الكتاب الفلاني لصاحبه فلان، وعليه فالكافي مشكوك، والكليني لا مجال للوثوق به! فإلى متى انتم صابرون؟!

ان الرواية المشار اليها اعلاه لا تنسجم بحكم العقل مع القرائن التاريخية المعروفة، كما ان تفاخر الإمام بكونه من أحفاد ساسان يتنافى مع روح التشيّع، مثلما أنّ الحديث عن افضلية قريش أو الفرس على غيرهم مما يتنافى وروح الإسلام العظيم، مضافاً إلى ان مدلول الرواية في تضادّ مع منطق العقل السليم، ومن الناحية النقلية فان اغلب الباحثين حول الاسلام وايران القديمة من المستشرقين الكبار شكّكوا في صحة هذه الرواية مع كونها تنسجم مع ميولهم وتوجهاتهم الخاصة في النيل من أصالة حركة الاسلام، ومن بين هؤلاء هرمان مآته وادوارد براون وكريستنسان وغيرهم...

اما من المنظار الرجالي والحديثي للشيعة فان هذه الرواية ينقلها شخصان احدهما ابراهيم بن اسحاق الأحمري النهاوندي والآخر هو عمرو بن شمر، وعلى ضوء معايير علم الرجال عند الشيعة يعدّ الأول متهم العقيدة بينما الثاني جعّالاً ووضّاعاً للحديث. ولو نتفحص مقاطع الرواية المنقولة في الكافي لوجدنا فيها أكثر من نقطة ضعف، الأولى قول شهربانو في الرواية حول الرؤيا التي رأتها في المنام: رأيت في النوم قبل ورود عسكر المسلمين كأنّ محمداً رسول الله (ص) دخل دارنا وقعد مع الحسين (ع) وخطبني له وزوّجني منه، فلما أصبحت كان ذلك يؤثر في قلبي وما كان لي خاطر غير هذا، فلما كان في الليلة الثانية رأيت فاطمة بنت محمد (ص) قد أتتني وعرضت عليّ الاسلام فأسلمت ثم قالت: إن الغلبة تكون

للمسلمين، وإنك تصلين عن قريب إلى ابني الحسين سالمةً لا يصيبك بسوء أحد، قالت: وكان من الحال أني خرجت إلى المدينة ما مسّ يدي إنسان.[1]

عجباً! يبدو ان الراوي ومن شدة العجلة اقام مراسيم زواج بنت الشاه الساساني مع ابن نبي الاسلام قبل المراسيم الدينية لدخولها الى الاسلام. ولعلّ القضية لم تكن بهذه البساطة وليست مسألة العجلة هي التي دعت الراوي إلى التعجيل بذلك، بل ان الارتباط بأوامر المصاهرة بين سلاطين ايران وائمة الشيعة والاتصال بين أهل بيت النبي وأهل البيت الساساني، ينطوي على حكمة تعود الى الفلسفة الأصلية للزواج في التراث القديم، خاصة فيما بين القبائل والأسر العريقة وذات الوزن الاجتماعي، حيث يتراجع البعد العائلي والتناسلي في الزواج لصالح البعد الاجتماعي فيه كونه يصبح بمثابة رسم عرفي يعبّر عن نوع من التحالف والتضامن والارتباط السياسي بين مجموعة من القبائل والأقوام والدول والحكومات، ويقال ان هذا العرف الاجتماعي هو الذي شكّل النواة لظهور القبائل باعتبار ما يجمعهم من الشعور المشترك بالانتماء الى أب وجدّ واحد. ومن ثم يتجسد هذا الشعور الجمعي في شخص واحد هو زعيم القبيلة أو الجماعة، وينتقل هذا الشعور الاجتماعي المقدّس جيلاً الى جيل وكأنه شيء يسري في العروق ليتحول من الجد الأعلى الى أبنائه فأحفاده الذين سوف يتوارثون منصب الزعامة من منطلق الشعور الجمعي بأنهم يحملون شيئاً ذاتياً ورثوه عن أسلافهم يمثل شرف القبيلة وأصالة دمها وانتمائها الخالد الذي لا يطرأ عليه الفناء والزوال، ويبقى خالداً ببقاء الأجيال، ومن ثمّ يتطور الأمر الى افتراض ان هذه الخصلة الذاتية الموجودة في نفوس زعماء القبيلة لها نحو ارتباط بمبدأ ما في ما وراء الطبيعة، وبالتالي

---

(١) البحار/ ج ٤٦ ص ١٠.

تجري محاولات لعقد نوع من الربط والاقتران بموجود خالد كالشمس والسماء والنجوم وغيرها من الأمور التي كان الناس آنذاك ينسبون اليها صفة الخلود وصفات ميتافيزيقية أخرى، وبهذه الطريقة يتمّ الحفاظ على الجوهر الذاتي المكنون في وجود زعماء القوم حتى وان تعرضوا هم للزوال، وذلك إمعاناً في التقديس لذلك الجوهر المفترض الذي يمثل شعار القبيلة وسرّ بقائها واستمرارها في الوجود. ومن هذا المنطلق، فإن اقوام ذاك الزمان كانت اذا انقرض زعماؤها بحرب أو غيرها ولم يوجد لهم بديل، تعمد إلى تعيين آخرين مكانهم حتى ولو كانوا من الأعداء! وذلك للحفاظ على قالب يحمل ذلك الجوهر الذاتي، وبالتالي يصون الجماعة القائمة بذاك الجوهر من التلف والتشرذم والضياع. ويتجلى ذلك بوضوح في قصة سهراب الترك حيث يعتبر رستم فيها مظهراً للروح الملحمية في الدفاع عن وجودهم وصيانة استقلالهم وحفظ فضائلهم العرقية الإيرانية.

وفيما مضى، كان القصاصون الايرانيون يحرصون على ذكر مقدمات تمهيدية لقصصهم يبيّنون من خلالها ان فَرَس رستم تهرب الى تركستان ويتبعها رستم على الأثر وينتهي به المطاف الى مضاجعة بنت السلطان ـ (تهمينة) ـ ليلقي نطفة الشرف الايراني في رحمها ويولد لهما سهراب! وفي الوقت ذاته فان فرس رستم تلاقح مهرة من هناك وعلى أثر هذا اللقاح المقدس تنعقد نطفة فرس سهراب!

ونفس الأمر يحصل مع الاسكندر الذي يطيح بالحكم الهخامنشي في ايران، ومن ثم يولد له منهم أولاد وذرية ويستمر بهم الجوهر محفوظاً ولكن بعنوان امبراطورية الاسكندر بعد انقراض امبراطورية هخامنش، وكأن الاسكندر جاء بجيوشه الجرارة الى إيران ليحفظ نسل (هخامنش) من التلف والضياع ولتستمر

نطفة الهخامنشية في صلب الاسكندر المقدوني وأولاده! وقبلهم كان قوروش قد استمر وجوداً في صلب الماديّين الذين قضوا على كما ان الماديين استمروا في الوجود في سلالة هخامنش. وعلى نفس المنوال يعود السلطان محمد الغزنوي التركي جيلاً عن جيل الى الاسرة الساسانية وتصنع له شجرة ترجع بنسبه الى بهرام، والى ذلك يشير الشاعر الفردوسي في (الشاهنامة)[١] نقلاً عن رستم انه كتب رسالة الى اخيه تطرّق فيها الى انقراض السلالة الساسانية وهيمنة العرب على ايران، يقول:

من هذا العام الى اربعمائة سنة لاحقة لن يرى العالم مثل هذه النطفة

وهكذا بعد اربعمئة عام من انقراض الساسانيين وسيطرة العرب، تمكن السلطان محمد الغزنوي من إقامة امبراطوريته في إيران، وأعلن أنه سليل تلك النطفة!

هكذا نلاحظ كيف ان صنّاع الأساطير لا يتورّعون عن إلقاء النطفة التي تمثل جوهرهم العنصري ومظهر استمرار وجودهم القومي في رحم اعدائهم حفاظاً على هذا الجوهر المقدس من الاندثار، حتى لو انقطعت سلالتهم وجفّت اغصان شجرتهم، وبعملية التلقيح الصناعي هذه، يديمون حياة السلالات المنقرضة، وذلك عبر ترقيع سلسلة الارتباط النَسَبي بحلقة ارتباط سببي (مصاهرة)، وتتجلّى بذلك الأهمية الكبيره لعقود الزواج والمصاهرة التي تتمّ في لحظات حساسة ومنعطفات تاريخية حرجة، وحجم الدور الذي تلعبه هذه الزيجات من وجهة نظر علمي الاجتماع والسياسة، ومن هنا يعلم ان هذا الهاجس العنصري قد يبادر ـ في بعض

---

(١) ملحمة شعرية ايرانية معروفة.

الاحيان ـ حتى الى اختلاق علاقات مصاهرة من هذا القبيل فيما اذا أدرك صناع الأساطير ان سلالة معينة هي في طريقها الى الانقراض فيعمدون الى اختلاق قصص وأساطير لربط آخر حلقات السلسلة المنقرضة بأول حلقات السلسلة التي كانت هي السبب في الانقراض، وتلعب علاقة الزواج والمصاهرة في مثل هذه الأجواء دوراً مصيرياً فاعلاً في تحقق الربط المنشود، وفي هذا السياق نستطيع ان نفهم الخلفيات التي تقف وراء افتعال قصة زواج الامام الحسين (ابن بنت النبي) من (شهربانو) بنت الملك يزدجرد، حيث يمثّل ذلك آخر محاولة يلجأ إليها الساسانيون في انقاذ وجودهم من الانقراض اسماً ومسمّى! ولهذا كان لابدّ لبنت يزدجرد ان تدخل بيت عليّ ليتحقق الغرض في الوصل بين السلسلة السلطانية الساسانية والسلسلة الإمامية الشيعية، وتكون الأولى بمثابة (رحم) يضمّ النطفة القادمة من (صلب) الثانية.

ان زواج فتىً من بني هاشم بفتاة من بني يزدجرد يعبّر في الوجه الآخر للقضية عن اقتران أول السلسلة الجديدة بآخر حلقات السلسلة القديمة، ولكي تصبح الصورة اكثر إثارة لابدّ من اضافة رتوش عليها كالقول بان النبيّ سبق جنوده في الوصول من المدينة الى ايران بنفسه لكي يعقد الصلح وأنه دخل قصر يزدجرد قبل اسلام ابنته وعقدها على ابنه ـ الامام الحسين ـ ومن ثم جاءت فاطمة (ع) لتدخل (كنّتها) في دين الاسلام، والغرض من هذه القصة ان زواج الحسين من شهربانو تمّ على أساس التكافؤ العرقي بين رجل من هاشم وفتاة ساسانية، وليس على أساس زواج مسلم من مسلمة، والهدف من وراء ذلك اخفاء القومية المُدبِرة بالدين القادم وتلبيس احدهما بالآخر ولتختلط السلطنة الساسانية بالنبوة الإسلامية

والجلال الأيزدي[1] بالنور المحمدي وليسفر هذا المزيج عن ولادة صبيّ يحمل سمات الجوهرين ويمثل ملتقى للعرقين العاليين فيما يشير اليه الشاعر بالقول:

وان غلاماً بين كسرى وهاشم   لأكرم من نيطت عليه التمائمُ!

هكذا امام ثنويّ هو امام التشيّع الصفوي، ومظهر خلود القومية القديمة في المذهب الجديد، وممثل حلول السلطنة الايرانية بالإمامة الإسلامية، وإدخال بقية كسرى في أهل بيت الرسول، والارتباط والوحدة بين العترة والولاية عند الشيعة من جهة وبين الوراثة و السلطنة عند الشعوبية من جهة أخرى، ويتبع ذلك استحداث نوع من (التشيّع الشعوبي) وهو تركيب إثنيّ متناقض من النبوة الاسلامية والسلطنة الساسانية، ومظهر هذا التشيّع المركب هو الإمام الإثنيّ المركب من الشاه والنبي «بين كسرى وهاشم!»، ألا وهو الإمام زين العابدين.

وهكذا يتضح لنا ان هذه القصة رغم خوائها وسخفها من الناحية العلمية والتاريخية، إلا ان طريقة تلفيقها وتمريرها سياسياً واجتماعياً كانت على مستوىً عالٍ من الدقة والذكاء بحيث تكون جديرة بتحقيق الهدف البعيد للشعوبيين في ربط القومية المشارفة على الزوال بالدين الذي ما زال في طور النشوء والازدهار، وكذلك في إضفاء مسحة من القداسة الإسلامية على قيم جاهلية منبوذة واعطاء بعد وتفسير عرقي لإقبال الايرانيين على اعتناق الاسلام رغبة بإدامة النبض العرقي الساساني حتى لما بعد الانقراض، وقد تضمّن هذا البرنامج والمخطط المدروس المحاور التالية:

---

(١) الجلال الأيزدي: المجد الإلهي، حيث يعتقد الايرانيون انّ المجد والعظمة والجلال تُفاض على الملوك والأكاسرة من لدن السماء.

١ ـ اظهار عمر بمنزلة العدوّ رقم واحد لعليّ: وشجب مناوءته لحامل لواء الاسلام والحلقة الأولى في سلسلة اهل البيت وأبي الائمة، وذلك انتقاماً من دور عمر البارز في القضاء على الدولة الساسانية وتقويض وجودها.

٢ ـ إلقاء تبعة انقراض الدولة الساسانية على عمر لا على الاسلام.

٣ ـ تلقين الناس على ان الخلافة كانت تعادي السلطنة الساسانية اما الإمامة فكانت بمنزلة المدافع عنها.

٤ ـ ان تسنّن عمر هو (عدوّ) السلطنة الساسانية (قصة بنت يزدجرد) بينما كان عليّ محامياً عنها!

٥ ـ ان دخول ايران في الإسلام لم يقع اثر فتح المدائن بواسطة عمر أو غزو المسلمين لايران، بل هو نتيجة مجيء النبي وابنته فاطمة الى المدائن ودخول قصر يزدجرد وعقد شهربانو لابنه الحسين ومن ثم دعوتها الى الاسلام!

٦ ـ ان يزدجرد آخر الأكاسرة الساسانيين كان قد انكسر بواسطة عمر[1]، وان النبي هو الذي أعاد له شأنه ومكانته المرموقة بالمجتمع الايراني وذلك من خلال ادخاله في بيت النبي ـ عبر احدوثة الزواج! ـ ليصبح احد طرفي السلسلة وطرفها الآخر هو النبوة.

٧ ـ ان بنت يزدجرد تمثل البقية الباقية من السلالة الساسانية، وقد أسلمت

---

(١) من الواضح ان التشيّع الصفوي يكنّ لعمر عداءً اكثر من عدائه لأبي بكر بينما التشيّع العلوي يعتبر ان الخطأ الأوّل ارتكبه أبو بكر وان عمر سيئة من سيئات أبي بكر، ويبدو ان السرّ في ذلك يكمن بأن أبا بكر أقصى عليّاً من الخلافة وغصب فدكاً منه، أما عمر فقد أقصى يزدجرد وانهى سلطنته الساسانية.

بدعوة من فاطمة بنت النبي، وزوّجها النبي لابنه، وشفاعة علي لدى عمر نجت من بين مخالبه، وباقتراح منه اصبح لها حق انتخاب الزوج والحصول على صداقها من بيت مال المسلمين، وقد اختارت من بين جميع شباب المدينة الحسن والحسين ومن بينهما اختارت الحسين (لأن الامامة ستستمر في عقبه!)، ويبدو واضحاً ان الأقصوصة كان من اللازم لها ان تتقدم بهذا الاتجاه، وذلك انها لو كانت تزوجت النبي نفسه لأصبحت زوجة من بين زوجاته العديدات، ولا نقطع النسل الساساني لأن بقية النبي هي فاطمة فحسب، ولو انها قد تزوّجت علياً لما اتصلت الإمامة بالسلطنة الساسانية لأنها من بطن فاطمة دون غيرها، ولو تزوجت الحسن لم يَفُز ابناؤها بمنصب الإمامة لأنها انتقل الى الحسين واولاده، ولهذا وقع الاختيار على الحسين دون غيره، وفي الوقت نفسه نرى ان النبي وعلي وفاطمة (هم طلائع اهل اهل بيت النبوة) حاضرون بكل قوة في هذه القصة ـ السيدة فاطمة حاضرة في احداث القصة بعد ثمانية عشر عاماً من وفاتها ـ.

من جهة اخرى فان للحسين زوجات واولاداً متعددين ولكن وقع الاختيار على الامام زين العابدين دون سواه لأنه هو الوارث للامامة وسيكون في عقبه باقي الائمة (ع)، ومن هنا فان بنت يزدجرد ستلد ولداً واحداً فقط وسيكون ذكراً وسوف يكون هو الامام زين العابدين!

٨ ـ توزيع وتقسيم الفضائل ومناقب ائمة اهل البيت على سلالتين عرقيتين؛ سلالة نبي الإسلام والملك الساساني يزدجرد!

٩ ـ استمرار الامامة من الامام السجاد الى الامام المهدي يعكس استمرار السلطنة الساسانية.

١٠ ـ النور المحمدي المنبلج من النور الالهي يمتزج مع المجد الأيزدي

المستمدّ وجوده من أهورا مزدا(١).

١١ ـ حضور السلطنة الساسانية من وراء موقعية الأئمة الذين تستمر حكومتهم على السموات والأرضين الى يوم القيامة.

١٢ ـ ان عمر هو الذى حرم السلالة الساسانية من موقية الحكم كما انه حرم السلالة المحمدية من حق الخلافة، وان هذا الحق المغتصب للسلالتين سوف يتجلى في شخص الامام الغائب صاحب الزمان الذي هو سليل النبي ويزدجرد والذي سوف يظهر وينتقم لجميع المستضعفين المظلومين وسوف يعيد الحق والحكم المغتصبين الى أصحابه الشرعيين، وانه لن يقيم حكومة العدل الالهي ويملأ الأرض قسطاً سوى ذلك الفتى المتحدّر من السلالتين العريقيتين (كسرى وهاشم)!

وهنا أشير الى أمر عجيب يثير دهشتي وحيرتي في آن واحد، يوجد خبر غريب وارد في خمس روايات حتى انّه شقّ طريقه إلى كتاب معتبر كالكافي، ومع ذلك فهو ينطوي على خطأ فاحش لا يصدر عن طفل لديه ادنى معرفة بأمور الدين، وانا لا استطيع ان اصدق ان القضية تنتهي عند حدود كونه خطأً املائياً أو شبه، وذلك لتكرره في كتاب الكافي وفيه تصريح بان الائمة من بطن فاطمة اثنا عشر! فهل هذا الامام الإضافي هو محض اشتباه لفظي، أو انه بادرة تؤشر على وجود مؤامرة كانت تحاك لإضافة مكان لإمام جديد يضاف الى اهل البيت ليصبح في عداد الائمة المعصومين الذين تجب طاعتهم وولاؤهم على حدّ الطاعة والتسليم لله ورسوله، ربما كان هدفهم هو ذلك ولكن من حسن حظّنا ان حظّهم كان سيّئاً، والله أعلم!

---

(١) إله الخير في الديانة الزرادشتية، ويقابله إله الشر (أهرين).

على هذه الوتيرة أثّرت عملية احياء الخصائص القومية والوطنية في عـزل المواطن الايراني عن العربي والتركي، وألقت الزيت على نار الاخـتلاف العـرقي والقومي والثقافي بين الايرانيين وغيرهم ما أدى الى تراجع الشعور الديني المشترك لصالح الشعور القومي واضعاف الحس الاسلامي الوحـدوي، وبـذلك اسـتطاعت الشعوبية الصفوية ـ بعد ما اكتست بلباس التشيّع الأخضر ـ من ايجاد حاجز كبير من المجتمع الايراني المسلم وسائر المجتمعات الاسلامية برغم محافظة الايرانيين على هويّتهم الدينية كمسلمين.

ومع ان التشيّع العلوي كان حريصاً على التحفظ على اثارة مسائل الخلاف مع الاغلبية السنيّة من المسلمين موظّفاً حجاب التقية أروع توظيف لتحقيق ذلك، بيد ان خصمه اللدود (التشيّع الصفوي) عمد خلافاً لذاك إلى تمزيق هذا الحجاب بل جرّ حالة الاختلاف والتصعيد الى موارد كانت من موارد الاشتراك والاتفاق بـين المسلمين قاطبة!

ان الظاهرة القومية (الشوفينية) هي اطار عرقي للجماعات يعمل دائماً على تقطيع أوصال الإطار الذي يجمع الأمة عقائدياً. وهو ما لجأ إليه الاستعمار الغربي إبان الحرب العالمية الأولى حيث بثّ الأفكار القومية والنزعات الوطنية في نفوس المسلمين ممّا سهّل عليه مهمة تدمير العالم الاسلامي مـن الداخـل، وبمجرد ان عادت المشاعر القومية بعد ان قضى عليها الاسلام، وجد المارد الاسلامي العظيم نفسه مفتّتاً الى اجزاء وقطع صغيرة متناثرة بات من السهل على الغول الاستعماري الغربي ان يلتقمها الواحدة بعد الأخرى، ليلفظها على شكل دول اسـلامية مـجزأة وصغيرة قائمة على أساس قبلي وطائفي ضيق بحكومات عميلة للأجنبي نـاهيك عن المشاكل الحدودية التي زرعها الاستعمار بين تلك الدول كقنابل موقوتة يتاح له

تفجيرها وقت شاء. وهذا هو ما يفسر ظهور نهضات عديدة في الدول الاسلامية يطلق عليها مصطلح مشترك هو (پان) فظهرت الپانعربية والپانتركية على المستوى القومي، ومن ثم لحقتها على المستوى الوطني الأقلّ شمولاً نهضات جديدة كالپانعراقية (نسبة الى عراق ما قبل آلاف السنين ـ بابل وسومر واكد) والپانقبطية في مصر (تنادي بوحدة الأقباط حيال عرب مصر) والپانبربرية في الجزائر (وتدعو الى وحدة البربر بازاء العرب)، والقاسم المشترك بين هذه الحركات والنهضات هو العمل على العودة بثقافات بلدانها الى تاريخ ما قبل الإسلام، فيعود الأتراك الى العهد البيزنطي والمصريون الى عهود الفراعنة والعراقيون الى زمان حمورابي وحضارتي بابل وسومر، وحتى العرب كان لهم نصيب من تلك الدعوات حيث بدأ بعضهم يدعو إلى احياء التراث العربي قبل الاسلام مستنداً الى التراث الجاهلي في الشعر والادب والى حضارات اليمن وعاد وثمود، بل تطور الأمر الى اعتبار العصر الأموي عصر حضارة عربية انتصر فيها الحسّ القومي العربيّ على الحسّ الاسلامي الانساني وتفوق العرب على سائر الشعوب وبخاصة الايرانيين! وتعرفون الدور الذي لعبه البريطاني (لورنس) في هذا الاتجاه!

بهذه الطريقة تمكنت الصفوية من توظيف المشاعر الصادقة واحاسيس المذهب الشيعي في خدمة أهداف حركة شعوبية فرضت على ايران طوقاً من القومية عزلها عن العالم الاسلامي وأقامت بين الشعب الايراني المسلم وسائر شعوب الامة الاسلامية جداراً أسود من الحقد والضغينة وسوء الظن بالآخر والتهمة والافتراء والطعن واللعن والتحريف والتزييف والتفسيق والتكفير، وظل هذا الجدار يتعالى يوماً بعد يوم بالجهود المريضة التي يبذلها بسخاء عملاء الأجهزة الدعائية

الدينية التابعة لقصر (عالي قاپو)[١].

ولا يفوتنا التذكير هنا بالمساهمات الكبيرة في ترسيخ هذا الجدار وتكريس وجوده والتي بذلها رجال دين مرتبطون بـ(الباب العالي)[٢]، كانوا يقتنصون الفرص للنفوذ في هذا السجال واعانة (اخوانهم الصفويين) في تشييد وإحكام هذا الجدار، وذلك لأن الامبراطورية العثمانية كانت تستثمر (التسنّن) لتحقيق أهدافها ومآربها القومية والتوسعية على غرار ما تفعله الصفوية تجاه التشيّع، ومثلما استطاعت الصفوية بمعونة وعاظ (مسجد شاه) في أصفهان من انتاج التشيّع الشعوبي من المواد الأولية للتشيّع العلوي، في اسلامبول ايضاً وبمعونة وعاظ (مسجد سلطان أحمد) تمكن العثمانيون من انتاج (تسنّن تركي) على قاعدة (التسنن المحمدي) واسهموا بذلك بشكل مباشر أو غير مباشر في دعم المساعي الصفوية في انتاج (التشيّع الشعوبي) وعزل ايران عن العالم الاسلامي والفصل بين المجتمع الشيعي وعموم المجتمع المسلم وتبديل تشيّع الوحدة العلوي الى تشيّع الفرقة الصفوي، وهذه سنّة التاريخ!

باختصار:

كان على الحركة الصفوية ورجال الدين المرتبطين بها أن يعملوا كل ما من شأنه التوفيق بين القومية الايرانية والدين الاسلامي، ولتبدو الوطنية والقومية الايرانية بوشاح ديني أخضر، وفي هذا الصدد أعلن بين عشيّة وضحاها ان الصفويين ـ احفاد الشيخ صفيّ ـ هم (سادةٌ) من حيث النسب أي أحفاد للنبي

(١) بلاط الشاه الصفوي.

(٢) بلاط السلطان العثماني.

محمداً وتحول المذهب الصوفي فجأة الى مذهب شيعي، وصار الفقيه والمحدّث بدائل عن المرشد والبديل، ووفد الى التكايا ـ لا إلى المساجد طبعاً. لأنّ عليها فيتو صفوية! ـ فريق من (الخانقاهات)[1] عدلوا عن تقديس اولياءِ التصوف الى تقديس أوصياء التشيّع، وتلبّس الصفويّون بلباس ولاية علي ونيابة الامام والانتقام من اعداء اهل البيت... وفي ظل كل هذه المحاولات كان الهدف الأصلي هو إضفاء طابع مذهبي على الحالة القومية، وبعث القومية الايرانية واحياؤها تحت ستار الموالاة والتشيّع، وتمّت عملية فصل الشعب الايراني عن جسد الأمة الكبير وأجّجت مشاعر العداء بين الايرانيين من جهة والترك والعرب من جهة اخرى، وقد وطّأ ذلك فيما بعد لنشوب معرك سياسية وعسكرية طاحنة بين الحكومات الصفوية والعثمانية وذلك تحت لافتات شيعية وسنيّة، وفي الختام اتسع مدى الفجوة بين التشيّع والتسنن وطال جميع وجوه الاتفاق والاشتراك.

في ضوء ذلك يمكن ان نفهم سرّ تركيز اجهزة الدعاية الصفوية على نقاط الإثارة والاختلاف بين السنة والشيعة وإهمال نقاط الاشتراك أو تأويلها بالشكل الذي يحيلها إلى نقاط خلاف أو يفرّغها عن قدرتها على ان تكون أرضية صلبة لموقف مشترك بين الفريقين... وكنتيجة لهذا الفصل المذهبي حصل فصل اجتماعي وثقافي تبعه فصل على الصعيدين القومي والسياسي وبشكل بارز جداً.

من هنا نجد ان الشيعي الصفوي قد يبقى متمسكاً بالإسلام ووفيّاً لانتمائه الديني إليه إلّا انه كان في الوقت ذاته يزاول اعمالاً من شأنها أن تقطع جميع اواصر الأخوة مع باقي المسلمين، ولم يحصر الخلاف العقائدي بينه وبن السنّي على

(١) الخانقاه، مكان الدراويش، ويبدو أن الصفوية شجّعت هذه الأماكن على حساب المساجد.

مستوى الاعتقاد بالامامة أو عدم الاعتقاد بها بل تطور الأمر ليشمل مديات اخرى هي في الأساس ممّا يتفق عليه المسلمون كالتوحيد والنبوة والمعاد حيث صار الشيعي الصفوي ينظر الى هذه الثوابت من زاوية ومنظار خاص به ويعتقد بها على نحو مختلف بالنسبة لسائر اهل الاسلام، والكلام نفسه ينسحب على موقف الطرفين من القرآن.

لقد حرصت الحركة الصفوية على تعطيل أو تبديل الكثير من الشعائر والسنن والطقوس الدينية واهمال العديد من المظاهر الاسلامية المشتركة بين المسلمين. وفي الموارد التي كانوا يضطرون الى الأداء المشترك مع السنّة كمراسم الحج مثلاً، حرص الصفويون على تضييق دائرة المشتركات فيها وتوسيع دائرة المختصّات، وذلك تفادياً لاجتماع المسلمين سنّةً وشيعة في شعيرة دينية أو فريضة جامعة ممّا يكرّس الشعور بأن الدين ليس واحداً فالصفوية تخشى من التفاهم والأخوة والوحدة بين المسلمين وتعتبرها خطراً يهدّد وجودها القائم على الاختلاف بينهم، وهذا الخطر تستشعره الصفوية اكثر شيء في مراسيم الحج باعتبار الاجتماع العظيم الذي يضم المسلمين هناك على اختلاف الوانهم.

ومثلما يعمل الملالي المرتبطون بقصر (عالي قابو) في اصفهان على تحويل المشتركات الاسلامية الى مختلفات عن طريق الدسّ والتأويل المغرض للفقه والتاريخ والقرآن، واعتبار الأخير حافلاً بالطعن على الخلفاء والنيل منهم بأسلوب الرمز والكناية والتشبيه، وان هذا الأسلوب اتخذه القرآن من باب (التقية)! خوفاً من ان يمزّقوا القرآن اذا تعرّض لهم بشكل صريح، وهم ـ أي السنّة ـ قد فعلوا ذلك بالذات بالنسبة للآيات الواردة في مدح (علي) حيث أسقطوها من القرآن! ما يعني ان القرآن الحاضر بين أيدينا هو قرآن ناقص ومحرّف، وأن القرآن الأصلي الصحيح

كان بحوزة علي وقد توارثه الأئمة بعضهم من بعض وهو الآن بحوزة الامام صاحب الزمان وسوف يظهر بظهوره!

ومثلما يعمل ملالي الصفوية في هذا الاتجاه كان الملالي التابعون لقصر (الباب العالي) في اسلامبول عاكفين على اعمال مشابهة ويصدرون فتاواهم التي تنال من الشيعة بشكل سافر فيفتون ـ مثلاً ـ بأنّ زواج الرجل المسلم بالمرأة الكافرة من اهل الكتاب جائز، في حال ان زواجه بالمرأة الشيعية حرام!

والواقع انه كما كانت الحركة الصفوية بحاجة الى نوع من التشيّع الإيراني لإعلان الحرب ضد الدولة العثمانية، كان العثمانيون بحاجة أيضاً الى نوع من التسنّن التركي لمواجهة الخطر الصفوي، وهكذا نجم عن الدين الاسلامي الواحد ديانتان مستقلتان متخاصمتان! وفي حين ان المسيحية كانت تزدهر عبر حركة النهضة والبرجوازية الجديدة وتتسلّح بالعلم والتطور التقني لمواجهة الاسلام، كان الإسلام يتصارع مع نفسه من الداخل غافلاً عن مخطط الأعداء.

وهكذا أوجد التشيّع الصفوي مع القومية الإيرانية حركة جديدة، وامتزجت هاتان القوّتان معاً حتى بات من الصعب التفكيك بينهما ونجم عنهما مركب جديد يمكن ان نصطلح عليه تارة بأنه (تشيّع شعوبي) وأُخرى بأنه (شعوبية شيعية)[1]! ومنذ ذلك الحين تبدلت حقائق وامور كثيرة جداً، حتى على صعيد التاريخ فشاهدنا شهربانو بنت يزدجرد وهي تصبح زوجة للامام الحسين (ع) وذلك لأجل الربط بين

---

(١) يزعم أشباه المحقّقين والمنظّرين الكسرويين بأن المذهب الشيعي ظهر بظهور الصفوية، ويبدو أن هؤلاء لا يميّزون بين التشيّع الصفوي وبين التشيّع العلوي الذي ظهر بظهور الاسلام، أو انهم لا يريدون ان يميزوا بينهما لئلّا تسمع الناس بوجود شيء اسمه التشيّع العلوي!

الذرية الساسانية وبين الائمة التسعة من اولاد الحسين، وبالتالي تظهر للوجود امامة جديدة متركبة من النور المحمدي و... الإيزدي وينعقد الاتصال بين ذرية الرسول وذرية ساسان في صلب الإمامة الشيعية، وهكذا تعود العائلة الساسانية التي طردها عمر من الباب لتدخل بيت نبي الاسلام من الشباك، ولتستمر خالدة في ذرية الأوصياء والائمة (ع) الى ان تتجلى في ظهور صاحب الزمان حفيد محمد وساسان وسليل القومية الايرانية، وهكذا تلتحم القومية بالمذهب وينهض التشيّع على اسس قومية وعرقية ومن ثم تتربع السلطة الصفوية على الاثنين معاً!

ذات سنة، صادف ان يجتمع يوم عاشوراء من التاريخ القمري الهجري مع يوم النوروز من التاريخ الشمسي الايراني، وهنا سوف تتجلى الحذاقة والمهارة الفائقة في التلفيق بين القومية والمذهب، حيث يأمر السلطان الصفوي بان يعتبر ذلك اليوم عاشوراء، وفي اليوم التالي سيكون نوروز! وقد انطلت هذه القضية على الناس بل وتلقوها برحابة صدر فأقاموا مراسم العزاء في اليوم الأول وخرجوا الى العيد في اليوم الذي يليه! واجتمع العزاء والفرح في يومين متجاورين، وهذا هو الوجه الآخر من تلاقح العنصرين المتضادّين «التشيّع الحسيني» و «حكومة شاه سلطان الحسيني» اللذين اتّحدا بسيف الملك وسبحة الملّا، ويمكن ان ترى هذه الخريطة متجسدة في ساحة «نقش جهان = خارطة العالم» في اصفهان حيث يلتئم معاً هناك «مسجد شاه» و«مسجد شيخ» وقصر«عالي قابو» وفي الوسط «ميدان بازي = ساحة اللعب»!

والشاه هنا هو صهر الشيخ (شيخ لطف الله) والشيخ هنا صهر الشاه (الميرداماد) وتحقق الغرض!

المذهب: الحركة (الشيعية الشعوبية)!

التشيّع اذا كان علوياً!

للايرانيين الحظّ الأوفر بين نوابغ الأمة الاسلامية من العلماء والفقهاء والفلاسفة والمؤرخين، كما ان أغلب رؤساء ومؤسسي المذاهب الاسلامية المعروفة هم إيرانيون، ونفس الكلام ينسحب على الشيعة حيث كانوا دائماً يتمتعون بسمعة حسنة ومعروفين بالورع والتقوى وتوخّي العدل والإنصاف، وفي هذا السياق يقرّ الاستاذ عبد الرحمن بدوي المحقق المصري الكبير بهاتين الحقيقتين مؤكداً ان الحضارة والتراث الاسلامي مدينان الى جهود العنصر الايراني اكثر من سائر الأمم والأقوام التي اعتنقت الاسلام، كما ان المذهب الشيعي هو المذهب الوحيد الذي يتّصف بالنضج والحيوية والعمق وبمنهج علمي رصين يسبر أغوار المصطلحات العقائدية ويكشف أسرارها ويضع يده على الحقائق الخفية الكامنة وراء المظاهر الدينية، ولو لم يكن المذهب كذلك فإنه سيواجه لا محالة خطر الجمود والتحجر والوقوف على حدود الالفاظ والمصطلحات ولا تصبح لديه قدرة على مواكبة قافلة التطور الزمني وحركة التكامل الفكري، وهذا هو السرّ في اتصاف المذهب الشيعي بصورة وضّاءة قد تكون خافية عن الأنظار، إلّا إنها تحكي أهم وابرز الأدوار في التاريخ الإسلامي، ذلك الدور الذي لعبته النهضة الشيعية في صيانة البعد المعنوي للثقافة الاسلامية وفي إثراء الحضارة وإغنائها بالروح والحيوية وفي منح الرؤية الاسلامية سعة وعمقاً وتكاملاً، وفي ضخ عناصر الحركة والتقدم

والنهوض في روح الانسان المسلم على طول التاريخ.[١]

وفيما عدا الطابع العلمي والثقافي الخاص بالتشيع والذي يتّسم ـ بحسب الوصف الدقيق للاستاذ بدوي ـ بالعمق والمعنوية، ثمة طابع آخر هو عندي أهمّ وأجلى ظهوراً على صعيد النهضة الشيعية، ألا وهو الطابع السياسي الذي ربّما يكون (بدوي) قد أهمل ذكره باعتبار ان الرجل يتحدث في مجال اختصاصه، وإلّا فإنّ البعد السياسي في التحرك الشيعي يمثل البعد الأكثر حيوية ولم يكن شيئاً عابراً أو مجرّد شعار مرحلي، بل هو انعكاس لمنهج قويم يجسّد في واقعه الرسالة العالمية للإسلام المتمثلة بإنقاذ البشرية وإلغاء مظاهر التمايز الطبقي والتمييز العنصري، وبالتالي فهو يعبّر عن محاولة جادة وسعي حثيث لاتخاذ قيادة حقيقية للمجتمع وتحقيق العدل والمساواة بين مختلف شرائحه وطبقاته، ومن هنا ان الشعارين الرئيسيين الذين يحملهما الشيعي في نهضته وهما الإمامة والعدل ـ ولكن بمعناهما النظري في التشيّع العلوي والمطبّق عملياً بواسطة علي وحكومته ـ استقطب هذان الشعاران ـ أصحاب الضمائر الحية سواء من القطاعات المحروقة للشعب أم من الشخصيات الثقافية المسؤولة، ذلك ان حركة النضال البشري اليوم تتطلع إلى ترسيخ مبدأي الحرية والمساواة خاصة في بلدان العالم الثالث التي تعيش في خضمّ التيارات الاحيائية، وقد قامت الحركات والثورات فيها على اساس ايديولوجي يطمح الى تحقيق هذين الهدفين الكبيرين باعتبار ان المعاناة الحقيقية لبلدانها تتمثل على الجانب السياسي في الحكومات الاستبدادية والاستعمارية، وعلى الجانب الاجتماعي تتجسّد تلك المعاناة بأنظمة الاستغلال

---

(١) نقل بتصرف عن مقدمة عبد الرحمن بدوي على كتاب «شخصيات قلقة في الإسلام» للبروفيسور لوئي ماسينيون (طبعة فارسية).

الطبقي، ومن الواضح ان الإمامة والعدل يحتلّان موقعاً هامّاً على كلا الجانبين، غير انه للأسف الشديد فان المذاهب (الأخرى) هي ما بين مذهب غارق في عالم الروح وماوراء الطبيعة، أو مذهب يتولّاه رسمياً طبقة من رجال الدين؛ يحتكرون لأنفسهم مهامّ تفسير الدين ومرجعيته، وغالباً ما يحاولون سلب البعد الاجتماعي والتقدّمي والحياتي للأديان والمذاهب وذلك من أجل ضمان مصالحهم الطبقية وتأمين مصادر ارتزاقهم من السلطات الحاكمة، ويلجأون بدلاً من ذلك الى ترويج البعد الأخلاقي الفردي ويدعون الناس الى الزهد بالدنيا والتعلّق بالآخرة واهمال كل ما يتعلق بهذه الدنيا (الدنيّة)!

وفي حالة كهذه، يكون من الطبيعي جداً ان تتسع الهوة بين هذه المذاهب وبين الطبقة المحرومة من الناس وكذلك الطبقة الواعية المسؤولة لأن الأولى هي دائماً على مساس بالواقع وآلامه ولا يمكن لها ان تغفل وتتجاهل ما تواجهه يومياً من البؤس والحرمان والظلم والاستغلال، بينما الثانية ترى ان مهمتها انتشال الناس من الواقع المأساوي الذي يرزحون فيه وتعتبر أن شعورها بالمسؤولية يحتّم عليها ذلك ويدعوها للعمل من أجل انقاذ الأمة. وعندما يتخلّى رجال الدين عن هذه المهمة وينشغلون في حمل آمال وآلام من نوع آخر، بل ويتحوّلون الى عوامل تخدير للناس وأدوات لتمرير اهداف الظلمة، من المتوقع حينئذ أن يبتعد الناس عن الدين ويبحثوا عن ما يحقق لهم طموحاتهم في أيديولوجيات أخرى غير دينية، ممّا يتسبب في تخلّف الدين عن اللحاق بالنهضة الاجتماعية أو مواكبتها وبالتالي يفقد قدرته على حمل رسالته بعد أن يفقد المادة والوسط الذي يتحرك فيه ألا وهو الجيل الصاعد من الشباب المؤمن الذي يمثل على الدوام العمود الفقري لكل تحرك اصلاحي نهضوي في تاريخ الأديان والمذاهب الكبرى، وهم القادرون على رفع

مشعل التغيير والإصلاح في كل عصر ومصر.

من هنا نقول لو ان (التشيّع العلوي) الذي يساوي (الاسلام باستثناء الخلافة) وبمعنى أوسع الايمان مضافاً الى العدل والحبّ والاعتقاد والاخلاق والمعنوية والخير، الاسلام المتحد دائماً مع الإمامة والحرية والمفنّد لجميع الأساطير والأقاويل التي يُبرّر وينظّر أصحابها للجهل والفقر ويفصلون بين الله والخبز ويعتبرون أنّهما ضدّان لا يجتمعان؛ الله للناس، والخبز لهم!

لو ان التشيّع العلوي، مذهب الاقتداء بالانسان الذي يقاتل ببسالة ويتعبّد بخضوع، الانسان المفعم قلبه بالعشق الإلهي والغارق في بحر التأمل والجمال، والقاسي القلب على جور المستبدين وجهل المتقدسين وخيانة المنافقين، والعطوف على أطفال المدينة فيأتيهم بالخبز والماء بيديه الكريمتين في جوف الليل البهيم.

بلى! لو قريء إيمان عليّ واسلام عليّ وتشيّع عليّ ودين عليّ القائم على العدل والإمامة وفُهِم من خلال وجه عليّ الناصع القويم، ولو عُرِض هذا الدين بسماته ومزاياه وخصائصه على ضمائر المسحوقين في البشرية قاطبة وعلى عقول المتنورين في شتى أرجاء العالم ممن قطعوا على انفسهم عهداً بان يسخروا خدماتهم الفكرية لصالح أممهم وشعوبهم، لو حصل كل ذلك فانّ كل شيء سوف يتغير دون ريب وشك ولدوّى صدى اسم علي في الليل المظلم للقرن العشرين وعصف بكل ابراج الجهل والإجرام الخاوية، وزأر كالأسد في غاب البشرية وعلا الى عباب السماء عاصفةً تدكّ عروش الطغاة والمستبدّين ولعاد نسيماً بارداً يلاعب اغصان الشجر ويثلج صدور طلاب الحقيقة ويبعث في صدورهم الحياة من جديد.

نسيم أمل يزيح ظلام ليلك بفجر الحرية. ليلك انت يا من تدرك العظمة التي يمنحها الايمان للانسان وتستشعر الحرارة التي تنبعث في قلب العاشق من شدة

الخفقان، وتتحرّق لرؤية يوم الخلاص لأمة أسرها التقديس الفارغ... انت يا من تشمّ رائحة الخبز في يد الجياع كما تشمّ رائحة الله في المحراب، إليك أنت فقط، أصرّح برغبتي العارمة بأن تعرف حقيقة ماذا يعني (علي)!

الاعجاز الصفوي = الجمع بين الضدين!

ولكن هيهات، فان اكسير الاستحمار الصفوي المشؤوم استطاع ان يصنع من (الدم) (ترياقاً) ومن (ثقافة الاستشهاد) (تزنيمة نوم)!

الجهاز الدعائي الصفوي المتكون من روحانية كناشسية (رهبنة) ومن روحانيين هم بمثابة أدوات لدين الدولة الرسمي، نجح هذا الجهاز في انجاز عملين متضادين:

أولاً: انه كان مجبراً على حفظ التشيّع بل الترويج له، ليشكّل منه ركيزةً لتسويق نظام حكمه بين الجماهير، ويتبع ذلك عزل الشعب الإيراني عن العالم الاسلامي وزرع العداوة والكراهية بين الايرانيين وغيرهم من المسلمين.

وثانياً: كان عليه ان يبذل جهداً استثنائياً وحاذقاً في شلّ حركة التشيّع ومسخ حقيقتها واحباط تأثيرها في القلوب والعقول، على نحو يبقي عليّ ولكن بدون أن يستلهم الشيعي منه الحرية والعدالة، وتبقى كربلاء ولكن شريطه أن ينام الشيعي ولا ينهض ولا يتدخل بشأن الولاة، ولا مانع من ان يُثار بحث موضوع الإمامة ولكن فقط في الاتجاه الذي يزرع الفتنة ويخلق العداوة والبغضاء والعصبية والنعرات القومية بين الفرس والترك والعرب ولا يتعرض للسلطان الصفوي ولا يؤشر على مواقع الخلل والانحراف والمجازر البشعة التي قام بها الشاه عباس، نعم ليبق أصل التشيّع ولكن شرط ان لا يتعرض للظالمين، وكذلك الولاية لتطرح على

المنابر ولكن على النحو الذي يسبّح بولايات الجور[1] وباختصار كان على الجميع ان يصبحوا شيعة فاذا تلكّؤوا لحظة نالهم حرّ السيف ولكن اي شيعة؟ شيعة يبكون طول عمرهم على الحسين ويضعون ايديهم في ايدي... ماذا أقول؟!

وبالتالي فانّ الشيعي صاحب العواطف الجياشة والقلب الرقيق والمشاعر الثورية الانتقامية والذي يندب حظّه ليل نهار ويقول: (يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً)! سوف ينهض هذا الشيعي ساخطاً على الجور والظلم وغصب الحق وسفك دم الحسين ويثور ويتأجج الغضب في روحه وكيانه ويسترخص نفسه ويشهر سيفه بيده عالياً ليضرب بكل صلابة وعنف... رأسه!

كيف استطاعت الصفوية ان تنتج تشيعاً يشبه التشيّع في كل شيء وليس فيه شيء منه؟!

---

(١) بالضبط كما جرى في نهضة المشروطية حيث تجمع الناس بفتوى العلماء في شاه عبد العظيم واعتصم آخرون امام السفارة البريطانية وكان الشعار الذي يرفعونه (نطالب بعدالتخانه) والمقصود (مجلس الشورى الوطني)!

بعدها تدخل الصدر الأعظم ودخل في محادثات مع الملك و استحصل موافقته المشروطة، وجاء الصدر الاعظم وابلغ الناس بأن (قبلة العالم) وافق على ان تنتخبوا نواباً للمجلس شريطة ان لا يتدخل نوابكم في الشؤون السياسية للبلد! وهذا هو معنى المشروطة وإلّا فمن اين جاءوا بهذا الوصف اذ لا يوجد لدينا اصطلاح بهذا النحو لا في العربية ولا في الفارسية. والقدر المسلّم ان هذه الكلمة استعملت بدلاً من الاصطلاح الاوربي الخاص (Constitutionnel) وتعني النظام القائم على دستور ثابت في مقابل النظام القائم على ارادة فردية. ولكن كلمة (Constitution) التي تعني الدستور الثابت لا تتناسب مع كلمة الشرط والمشروطة، وأتصور ان مثقفينا المتأثرين بالغرب والذين كانوا مبتدئين في ذلك الوقت خلطوا بين الكلمة المذكورة وكلمة (Condition) ومعناها الشرط، وهو على ذلك اشتباه في مكانه المناسب!

يا له من مقلب كبير!

تشيّع في الظاهر هو اكثر اصالة من التشيّع الأصيل وفي الباطن لا ينفع الناس ولا يضر أعداءهم!

هل هذا ممكن؟

الحيلة الشرعية = خدعة على الله!

ـ بلى هو ممكن! بسرعة وبساطة وبحيث لا يشعر أحد بـالقضية إطـلاقاً، الروحاني الصفوي حلّال مشكلات لا نظير له في هذا المجال، انه قادر على قلب الحلال الى الحرام والحرام الى حلال بطريقة يشـيب مـنها رأسك، ولكـن دون ان تتمكن من تسجيل هدف في مرماه لا قانوني ولا شرعي!

ألا ترى الى الربا الذي عدّه القرآن بمثابة واحد من اعدى اعداء الله سبحانه، بيد أن الروحاني الصفوي تمكن من الالتفاف على الحكم الشرعي للربا بـحذاقـة ورشاقة بحيث يعجز أكبر خبير في الأحكام الشرعية عن تسجيل ايراد قانوني عليه بالرغم من علمه وجداناً بأن القضية لا تعدو كونها حيلة! أمّا كيف تسنّى لهم ذلك؟

الجواب: بسهولة تامة، أولاً بزعم ان العملة الورقية ليست من النقدين وانتهى الأمر! اذ ان الربا لا يتحقق له مصداق إلّا عندما يتضمن المورد مـبادلة لـلنقدين، وعليه فمبادلة العملات الورقية والاوراق المالية أمر جائز ولا اشكال فيه.[1]

---

(١) وذلك لأن قوام المعاملات في زمن النبي والائمة هما الدينار والدرهم (النقدان = الذهب والفضة) اما النقد الحالي فهو من الورق والورق ليس من النقدين!

ربما ستعترض وتقول: إذن ما حال المعاملات التي تجري بواسطة العـملات الورقـية وكيف تؤخذ الحقوق الشرعية إذن بهذه العملات، وهل يـرفض (الآقـا) الاعـتراف بكـل الصفقات الجارية في عصرنا؟ ولكن لماذا تعترض عليّ أنا؟!

وثانياً، ما هو الربا أصلاً؟ انه الفائدة المأخوذة عن رأس المال، فلو أقرضت شخصاً مبلغ مئة الف تومان على ان يعيدها اليك آخر السنة مئة وعشرين الف تومان، فان مبلغ العشرين الف تومان الزائد سيكون ربا وهو حرام اذا كان القرض بهذه النيّة منذ البداية، بل من أشدّ أنواع الحرام وهو بمنزلة اعلان الحرب على الله ورسوله بمقتضى الآية القرآنية.[١]

ولكن عقد المعاملات ليس بحرام بل هو مستحب، والكاسب حبيب الله، حسناً جداً اذهب الى (الآقا) ليعلّمك طرق تبديل الربا الى معاملة لكي تتجنب الوقوع في الإشكال الشرعي، كيف؟ بمنتهى السهولة ولا يحتاج ذلك الى عبقرية، هذه المرة اذا أردت ان تستربح ما عليك إلا ان تحوّل نيّتك من الربا الى البيع المشروط، تقرض صاحبك قرضاً (حسناً) قدره مئة الف تومان، ومقابل العشرين الف تومان الاضافية عليك ان تبيع له مثقالاً من ملح الطعام![٢]

أرأيت كيف تم ذلك بمنتهى البساطة؟ والآن افترض انه قامت القيامة ووقفت امام محكمة العدل الإلهي، ماذا بوسعهم ان يقولوا لك، هل بوسعهم ان يقولوا ان معاملة البيع المشروط حرام؟ كلا بالطبع! هل سيقولون ان ليس من حق الانسان ان

---

(١) ﴿فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ تراجع الآيات ٢٧٤ ـ ٢٧٩ من سورة البقرة.

(٢) ثمة حيل شرعية كثيرة اخترعوها للتملّص من الربا والاحتيال على الشرع من قبيل بيع الشرط والصلح والرهن وبيع السلف والهبة المعوضة...

لاحظ هنا ان ملالي الصفوية الذين هم بالأساس اناس متحجرون ويرفضون الاجتهاد والتحرك والتحرر، عندما اقتضت المصالح نوعاً آخر من التعامل تجدهم اذكياء ومبدعين وممّن ينادون بمواكبة الدين لمتطلبات الزمان، ولكن اي زمان واي متطلبات انها متطلبات الطبقة الحاكمة، الطبقة المستفيدة من الخمس والزكاة والصدقات. وذلك لأن السوق هو مصدر عيش وديمومة الصفوية.

يبيع بضاعته بالسعر الذي يروق له، لن يقولوا ذلك بالطبع، لأن بمقدورك ان تجيبهم فوراً بان البضاعة هي ملكك ومن حقك ان تفعل بـها مـا تشـاء والشـريعة ليست شرطياً يعمل على مراقبة الأسعار!

وإذن فالشخص الذي يبتاع بضاعة من مؤمن هو داخل معه في معاملة، ولا يحق لأحد ان يقول خلاف ذلك، بالعكس هذا الشخص متفضل على الدين لأنـه تحول من مرابٍ إلى كاسب والكاسب حبيب الله ويستحق الثواب وليس عدواً لله ورسوله!

هل يستطيع أحد أعضاء مـحكمة العـدل الالهـي ان يـعترض عـلى هـذه المسرحية، ان اللغة الشرعية للروحاني الصفوي توصد كل الأبـواب وتـلجم كـل الألسنة!

ربما تقول انك تعمل في جهاز تابع للسلطة الظالمة وبالتالي تواجه مشكلة اعانة الظالم وأخذ الأجرة لقاء ذلك، هل في عملك هذا إشكال؟ نعم، بالطبع فهذا العمل مشكل جداً. فالإسلام يستنكر على الفرد المسلم ان يرى الظلم يقع عـلى الآخرين ويقف مكتوف الأيدي، وهذا هو السرّ في ان الشيعة ما زالوا بـعد اربـعة عشر قرناً يلعنون كل من سكتوا امام جريمة قتل الامـام الحسـين ولم يـتحركوا للدفاع عنه، ويعتبرونهم شركاء في دم الامام[1]، فكيف يمكن ان يسـمح بـالعمل رسمياً ضمن أجهزة الحكم الظالم أو ان يصبح المسلم مرتزقاً في جهاز الخـلافة الغاصب، وكيف يمكن تجويز استلام الأجرة غير المشروعة من يد غير مشروعة بطرق غير مشروعة ولقاء عمل غير مشروع! ـ اذن ماذا أصنع؟ هل أنسحب؟

---

(١) لعن الله امة قتلتك، ولعن الله امة ظلمتك، ولعن الله امة سمعت بذلك فرضيت به!

ـ كلّا! هناك طريقة حل!

ـ وما هي؟

ـ التدوير؟

ـ وماذا يعني ذلك؟!

ـ انها عملية سهلة للغاية، ولا يُتْقنها سوى الروحاني الصفوي، فالرجل خبير بالحيل الشرعية، وحرفته هي تلبيس الحق بالباطل والقاء رداء التقوى على هيكل الزور[١]، ان المهمة الأولى للروحاني الصفوي تبرير اعمال جهاز الحكم الصفوي، وذلك من منطلق حرصه على إضفاء طابع شرعي على الخدمات التي يقدمها المؤمنون المتشرعون لجهاز حكم غير مشروع، وهو ما يفرض على الروحاني الصفوي ان يعمد الى إبداع تكتيك لهذا الغرض يسهم في تحويل المال الحرام الى حلال!

وقد تمكنت تكنولوجيا الحيلة الشرعية الصفوية من ابداع الطريقة المناسبة لتحقيق هذا الغرض، وبسرعة قياسية لا تتجاوز دقيقة أو دقيقتين ولا تكلّف جهداً كبيراً سوى ان يروّض المرء نفسه على الاعتراف (بالحقيقة) حتى لو كانت خلاف الواقع!

فور استلام الأجر الذي يمنح لك من اي كان ولقاء اي عمل كان، عليك ان تذعن لحقيقة ان هذا المال غير مشروع ولذلك فهو لا يمكن ان يكون من أموالك، وهو تبعاً لذلك مجهول المالك، اذن من الذي يجب ان يستلمه؟ لا شك انه الحاكم الشرعي، والحاكم الشرعي في النظام الصفوي هو الروحاني، والنتيجة انك يجب

---

(١) حين يرتدي الزور لباس التقوى تقع أكبر كوارث التاريخ!
رادها كريشنان / من كتاب (الدين في الشرق والغرب).

عليك ان تأتي بالأجر فور استلامك إياه وتضعه بين يدي الروحاني قبل ان تتصرف فيه أيّ نوع من أنواع التصرف، وبهذه الطريقة يعود المال الى حاكم الشرع وتصبح الأموال بحوزته، وتخرج هذه الأموال غير المشروعة من ذمّتك!

بعد ذلك، فان (الآقا)(١) سوف يرى بطبيعة الحال انك انسان مسلم مستحق، لديك زوجة واطفال، فيقرر منحك من اموال بيت مال المسلمين ما يكفي لتغطية المقدار الضروري من حاجاتك المعيشية، وفي هذا السياق سيقوم بتخصيص مبلغ معيّن ويعطيه لك بعنوان مساعدة في نفس المجلس. وسوف ترى فجأة ان نفس مقدار الأجر الذي استلمته بالأمس من جهاز الحكم الظالم يأتيك بعنوان مساعدة من الشرع! جلّ الباري تعالى!

بضعة اجراءات ادارية بسيطة، كفيلة بإنجاز جميع هذه الأفعال وردود الأفعال الميكانيكية وإحالة المال الحرام الى مال حلال بسرعة البرق وبفضل الكيمياء الصفوية القادرة على تحويل الراتب الذي يعطيه الظلمة الى راتب يعطيه الأئمة! وذلك في مسرحية كوميدية ساحرة، وعبر مشهد تمثيلي واحد: تناوله في اليد فيناولك باليد، والسلام! ارجع الى بيتك مرتاح الضمير فلقد عملت للظلمة واستلمت أجرك من الأئمة!

يالله، للروحاني الصفوي!

في الوقت نفسه، فانّ هذا النوع من الحيل الشرعية التي تشيب منها رؤوسنا، باتت من السهولة بالنسبة للروحاني الصفوي بحيث اصبح بمقدوره قلب الحلال الى

---

(١) الآقا مصطلح يطلق على رجال الدين في ايران يتضمّن نوعاً من التبجيل والتقديس لا يوجد عندما يطلق على غيرهم، وتعني في العربية (السيّد) وآثرنا إبقاءها لأنّ المعنى سوف يكون أوقع في نفس القارىء.

حرام وبالعكس دون أن يبذل من الجهد الا بمقدار ما يبذله لتناول جرعة ماء! وقد أصبح متمرساً في هذا المضمار الى الحدّ الذي لا يمكن ان تسجّل عليه مؤاخذة حتى على مستوى الحسابات الإلهية الدقيقة. وقد تضلّع الروحاني الصفوي في هذه المهمة ووصل به الأمر في خداع ربه الى درجة بات يزاول فيها هذا العمل دون أن يهتزّ له ضمير حتى تحوّل هذا الاسلوب الخادع المقيت الى ظاهرة طبيعية وسنّة مقبولة تُصنّف في عداد الحلول الشرعية سواء على الصعيد العلمي أو العملي، وإذا كان هناك خشية أو تردد من اللجوء الى امثال هذه الحيل والألاعيب القانونية في دوائر الدولة بغية الالتفاف على بعض البنود والأحكام فان هذه الخشية والتردد ارتفعا في الحالات التي يراد فيها الاقدام على مثل هذه الألاعيب في مضمار التعامل مع الأحكام الشرعية والقوانين الإلهية، وذلك على الرغم ممّا هو معروف عن الشرع الاسلامي المقدس من الحدّية والحسم والقاطعية في التعاطي مع المخالفات القانونية والشرعية، وبات من الطبيعي ايجاد ثغرة في القانون الشرعي تتيح للفرد الالتفاف على الحكم الإلهي وصنع المستحيل دون الشعور بأي حرج أو مشقة او معاناة، ولم يعد هناك مشكلة شرعية إلا ولها حلّ عند التشيّع الصفوي، وقد ترسّخت هذه القناعة لدى المؤمنين حتى صارت مضرباً للمثل ومورداً من موارد التندر، ويقال في هذا الصدد ان احدهم جاء الى فقيه من فقهاء التشيّع الصفوي وأدى رسوم الطاعة والولاء - وبتعبير العلامة النائيني رسوم الاستبداد الديني - فركع امام الفقيه وقبّل يديه وعاد القهقرى، وما ان بلغ الباب إذا به يخرج من جيبه قارورة خمر، وقال للشيخ الفقيه: انتم الذين تحلّلون الحرام وتحرّمون الحلال فلماذا لا تمنّ عليّ بتحليل هذه القارورة الصغيرة؟![1]

(١) معروف ان آداب الصفوية ورسومها هي نسخة طبق الأصل من الآداب والرسوم

السحر الأسود

حقاً، هذه الأمور ليست بشيء! اذا ما قيست بما هو آخطر وافدح منها من قبيل مسألة استرقاق العبيد. الظاهرة التي حاربها النبي وعليّ بكل شدة. ومع ذلك استمرت الروحانية الأموية والعباسية والصفوية بتدريسها لقرون تارة باسم الفقه السنّي واخرى باسم فقه أهل البيت... وتحت عنوان جذاب وعصري هو (العتق) يتمّ الحديث علناً ودون حياء عن احكام بيع وشراء الرقيق. وما زالت هذه البحوث تتداول حتى في زماننا الحاضر بما يوحي للناس ان الدين الاسلامي هو دين الاسترقاق الذي يبيح للمرء ان يبيع انساناً أو يشتريه. أليس هناك من يفتي بحرمة الاستماع الى السمفونية الخامسة لبيتهوفن والتي تجسّد صورة حيّة لحرية ارادة الانسان قبال قوى الهيمنة والاستعباد، وفي نفس الوقت يبيح اقتناء فتى أو فتاة بمثابة عبد أو جارية والسبب في هذه المفارقة واضح، وذلك ان الحكام والسلاطين والتجار والاقطاعيين ما زالوا بحاجة (ماسّة) الى الغلمان والجواري لاستخدامهم كحيوانات صامتة تمشي على رجلين لتسيير امور مزارعهم وبساتينهم وقصورهم وتلبية حاجاتهم (النفسية والجسدية)!

ان كل انسان له تماس مباشر مع روح الإسلام والقرآن سوف يدرك من غير تردد ان الحكومة الاسلامية لو كانت قد استمرت على المنهج العلويّ لكانت كل احكامها تتظافر من أجل انهاء هذه الظاهرة المقيتة والقضاء عليها نهائياً في غضون

⇐ والتشريفات التي تجري في اروقة البلاطات، وليس ثمة فارق كبير بين قصر (عالي قاپو) وبين (مسجد شاه)، ومثل هذا الكلام ينسحب على الألقاب الضخمة الفارغة التي يتمّ تبادلها في الحوزات العلمية الشيعية حيث لم يكن لها جذور تاريخية عريقة وانما هي مظاهر طارئة ظهرت في الحوزة تقليداً للبلاط الصفوي أو القاجاري في ايران.

القرن الأول من صدر الاسلام ولاتّجهت الحركة الفقهية الاسلامية نحو تحريم ظاهرة الرقيق بشكل تدريجي إلّا ان وعاظ السلاطين انتهجوا منهجاً آخر أسهم في تكريس هذه الظاهرة الى درجة انه لم يعد اليوم من يجرؤ على تحريم الاسترقاق أو على الأقل ترك تدريس احكام بيع وشراء العبيد وذلك بالرغم من خلوّ الأسواق من العبيد وانتفاء الموضوع لأبحاث من هذا القبيل.(١)

اننا اليوم امام مفارقة غريبة تقول ان العملات الورقية ليست نقداً، ولكن العبيد هم بضاعة تباع وتشترى!

(سبحان الله!)

لا يوجد كلام حول حقوق شعب في نفطه بينما يكثر الحديث عن حقوق السيّد على عبده! الفقه الاسلامي ليس له حضور في مجال الدراسات حول الرأسمالية والبرجوازية والاقتصاد الاستعماري والعلاقات الطبقية وحقوق العامل والمستثمر، والفلاح وصاحب الأرض والمنتج والمستهلك وفوائد رؤوس الأموال وغير ذلك، بينما نجد مئات النظريات والبحوث الفقهية الدقيقة حول مسائل غير عملية من قبيل حكم العبد الذي اشترك في شرائه سيّدان وقرّرا ان يعمل لأحدهما يوماً وللآخر يوماً، وكيف يتم توزيع الدية بين السيّدين فيما إذا وقعت اثناء العمل صخرة على رأس العبد المسكين فمات!

اعرف ان هذه التجاوزات تثير حفيظة البعض من الأكابر وعلماء الدين، واعتذر من ذلك، ولكن ارجو ان ينصفوني ويعطوا الحق لي وامثالي في أننا وكثير

---

(١) ممّا يجدر ذكره أن أبواب بيع وشراء العبيد لم تعد تدرّس في الحوزات العلمية في السنين الأخيرة (المترجم).

من الأحرار في العالم نتوسم في الاسلام وفي الله ورسول الله وفي عليّ وتشيّع عليّ مفاهيم الحرية والعدالة والنجاة، ونعتقد ان هذا الدين وهذه الأسماء اللامعة لها قصب السبق والريادة في مجال الدعوة لتحرير الإنسان واحترام كرامته، ومع ذلك نرى وبكل حسرة وألم ان شرف تحرير العبيد صار من نصيب العالم الغربي وان فتوى تحريم الاسترقاق يصدرها الرئيس الأمريكي وليس مرجعاً من مراجع المسلمين؟ وما زالت هناك اصوات تعلو في الحوزات الاسلامية تتحدث عن السيد والعبد والجارية والغلام، والأغرب من هذا وذاك ان أسواق المسلمين خلت من الرقيق ولم يعد العوام يستسيغون هذا النوع من المعاملات بينما ما زالت جامعة الامام الصادق منهمكة في البحث في هذه الأمور!

نعم كل هذه التفاعلات الكيميائية جرت في المختبرات الصغيرة والبدائية للكنيسة الصفوية، ولكن هذه المختبرات البتروكيمياوية التي تمّ نصبها قبل اربعمائة سنة في ايران وبالذات في باحة (نقش جهان) بتمويل حكومي ودعم فني من الروحانية المسيحية لأوربا الشرقية وتحت اشراف مباشر لمهندسين انتدبتهم للعمل الحوزة الصفوية ليسفر هذا التضامن والتنسيق عن ولادة معجزة ليس لها نظير في تاريخ الكيمياء قديمها وحديثها.

الكيمياء القديمة حوّلت النحاس الى ذهب والبتروكيمياء الحديثة حولت النفط الى اسمدة. اما بتروكيمياء الاستحمار الصفوي فقد صنعت من الدم ترياقاً! ومن الشهادة عوامل ذل، ومن الشهيد الحيّ لحدَ ميّت، ومن تشيّع الجهاد والاجتهاد والاعتراض تشيّع تقية وتقليد وانتظار قوامه الهرب من المسؤولية والخوف من مواجهة الحياة والفراغ من المحتوى والمضمون!

ما الذي لم يصنعه هذا السحر الأسود؟! لقد حوّل عليّ الى رستم في

الشاهنامة! ليس في ميدان الحرب بل في الخانقاه[١].

ومن فاطمة صنعت الكيمياء الصفوية امرأة لا يشغلها شاغل عن الندب والبكاء على قطعة ارض صادرتها الحكومة بغير حق، وهي مشغولة اذن باللعن والدعاء بالويل والثبور ولا غير!

أما الحسن، فأستحي أن أقول!

والحسين لا اطيق الكلام بشأنه!

بعد شهادة جميع أصحابه وأهل بيته واختيارهم للموت بعزّ وشرف رافضين للذلّ والهوان، يخرج الحسين بعد ذلك كلّه وبين يديه طفله الرضيع ليتحدث الى القوم بلهجة استرحام ويلتمس الماء من مرتزقة الجهاز الأموي وأتباع يزيد!

أما زينب، المرأة التي علّمت الرجال معنى الرجولة. المرأة التي ادركت ان الثورة قد انطلقت فبادرت الى تطليق زوجها والتضحية بولديها، ومن ثم تجهزت بلسان عليّ ورسالة الحسين وعبء الأسرى وانقضّت كالصاعقة على عاصمة الفسق والفجور والجور والقساوة واطلقت صيحتها المدوية والتي ظلّت طوال الف سنة تقض مضاجع بني امية والعباس وسلاطين الترك والتتر والغزاونة والسلاجقة والمغول وبعد أن عجزوا بأجمعهم عن خنق هذه الصيحة جاءت منابر العزاء الصفوية وتمكنت من ذلك عبر تحويل هذه الصيحة الى نوحة!

وماذا بالنسبة للعباس بن علي أخ الحسين وبطل المعارك الفريد. الوجه الذي لم يسجل له التاريخ إلّا وقفات العزّ والشرف والحماسة! لقد حوّلوه الى بطل رمزي في محافل النسوة!

---

(١) مكان تجمع الدراويش.

والامام زين العابدين الرجل الذي جعل من الدعاء خندقاً للجهاد والمواجهة تحوّل الى إنسان عليل لا يجيد إلّا النوح والأنين حتى ان المجلسيّ وهو أبرز وجوه التشيّع الصفوي يرسم له صورة اعتقد ان اعداء آل عليّ الذين نصبوا لهم السيف يخجلون من نسبتها إليه فان العزّ والوقار والهيبة والبهاء صفات معروفة لبني هاشم لا تنكرها حتى جاهلية العرب!

و... لا اطيق مواصلة الحديث ليس فقط عمّا صنعته الصفوية من صور مشوهة للأئمة على لسان عوام الناس، بل لست أستطيع تجسيم صور للأئمة تتضمنها كتب معروفة ومعتبرة لدى الشيعة!

إلغاء التشيّع بواسطة التشيّع!

إنّ أكبر الأخطار التي كان من الممكن لها القضاء على الصفوية كانت وليدة التناقضات التي تحمل الحركة الصفوية بذورها في الداخل، لأنه كان على الصفوية ان تحمل شعار الاسلام في حال كونها كياناً استبدادياً قاسياً على غرار الانظمة الكسروية والقيصرية، هذا من جهة، ومن جهة اخرى، كانت الصفوية تصرّ على حمل لواء التشيّع في حين انها تعتمد نظام خلافة شبيه بأنظمة الخلافة الأموية والعباسية، وكان هذا التناقض يتجلّى في اتجاهين يدعو الأول منهما الحركة الصفوية الى العمل من أجل بناء اسلام خالٍ من الاسلام، فيما يدعو الثاني منهما الى تحقيق مهمة أكثر صعوبة تتمثل في العمل على إلغاء التشيّع ولكن باسم التشيّع نفسه!

والسؤال الذي يطرح نفسه حينئذ: ما هو السبيل الى تحقيق هذين الغرضين المتهافتين؟!

بشكل اجمالي، يمكن القول ان الاسلام هو دين التوعية والعقل والمسؤولية، وله ابعاد وجوانب اجتماعية واقتصادية ونظرة واقعية معاصرة للأمور، ومن ثمّ فهو يدعو الى العزة والشرف والاقتدار والمركزية السياسية ويعترف بشخصية الانسان وبحقّه في العيش الكريم والحرية الفكرية وتحمّل الوظائف الاجتماعية اللائقة به كموجود اجتماعي، وبالتالي فإن الإسلام دين لا يقبل التفكيك عن السياسة، ما يجعله غير مناسب بهذه المواصفات لأن يكون ديناً رسمياً للأنظمة والحكومات الاستبدادية الوريثة لأنظمة كسرى وقيصر والقائمة على أساس التضاد الطبقي والتمييز العرقي، وتبعاً لذلك يجب العمل لتهميش دوره والغاء أثره الاجتماعي وجرّ الناس الى اعتناق دين يحضّ الأفراد على الاقتصار بالحديث على ما يتعلق بعالم بعد الموت ويغذّي التوجهات الاجتماعية ذات النزعة الباطنية في التعاطي مع الأشياء والداعية الى إشاعة المنحى الأخلاقي الفردي والسلوك الرهباني والاتجاه السلبي في ترويض النفس على القناعة والزهد والكفّ عن التدخل بأمور الدنيا، وبدلاً من الانشغال بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واحترام مبدأ الجماعة، عكفت الصفوية على ايجاد منهج انعزالي صوفي يميل الى تجاهل الواقع والغياب عن مسرح الأحداث بنحو ينهمك فيه كل انسان بمشاكله وهمومه الذاتية وتكون رسالته في الحياة هي العمل على انقاذ نفسه من سجن الدنيا والفرار بها من جهنم الحياة! ولا ريب في أن هذه الحالة تعدّ حالة مثالية لمثلّث التحكم بالناس والمؤلفة أضلاعه الثلاثة من الاستبداد والاستثمار والاستحمار:

«الأول يربط الانسان من رأسه والثاني يقوم بتنظيف جيبه والشريك الثالث يشرع بتقديم النّصائح والمواعظ قائلاً بلسانه الربّاني العطوف: اصبر يا أخي! أفرغ جوفك من الطعام و اجعل من جوعك رصيداً لك يوم القيامة ليخفّف لك من ذنوبك،

وبالله استعن على هؤلاء فسوف يلقون جزاءهم في الآخرة!».

ان لوعاظ السلاطين وخدّام اروقة البلاط سياقاً عاماً مشتركاً في خلق توجّه دينيّ تخديري من شأنه شلّ الحركة الاجتماعية الهادفة، ويعتمد هذا السياق عادة على تحريف المفاهيم الدينية وتفسيرها تفسيراً سلبياً يفرغها عن مضمونها الحقيقي، وبالطبع فإن لكل حركة دينية طيفاً من المفاهيم والقضايا العقائدية ذات الطابع الايجابي البنّاء على صعيد الحركة الاجتماعية العامة. كما ان لها قضايا ومفاهيم ذات طابع فردي، وفي حالة كهذه تعمد أجهزة الإعلام والدعاية الدينية التابعة للسلطات على تسليط الأضواء اكثر على النوع الثاني من القضايا والمفاهيم وترويجها على حساب قضايا ومفاهيم النوع الأول حتى تتلاشى الاخيرة تدريجياً ولا يبقى في أذهان أتباع الدين أو المذهب سوى المفاهيم السلبية المندرجة تحت إطار النوع الثاني من القضايا المشار إليها أعلاه.

وما نراه اليوم على صعيد الإسلام، هو مصداق بارز لهذه الظاهرة، إذ من الواضح ان الأحكام والمسائل الفردية لهذا الدين من قبيل الطهارات والنجاسات والعبادات والمعاملات الفردية تطرح باهتمام مركّز اكثر من الاهتمام الذي يُولى لسائر القضايا ذات الطابع الفكري والعقائدي، أو المسائل الاجتماعية والسياسية والتاريخية بما في ذلك سيرة النبي والأئمة. بيْدَ ان مشكلة الصفوية كانت تكمن في حاجتها هي بالذات إلى عناصر التأليب وتأجيج المشاعر والنعرات الطائفية والمذهبية على خلاف بقية الانظمة وهياكل الحكم. لم تكن الصفوية تقتنع وتكتفي بدور الدين والمذهب في تبرير الوضع القائم واضفاء القدسية على ما هو كائن وموجود. بل كانت تطمح الى ما هو أبعد من ذلك في استخدام المذهب كقوة تحريكية وآلة للانتقام من المذهب السنّي الحاكم في الدولة العثمانية. ومن هنا

وجدت الصفوية نفسها مضطرة للحفاظ على التشيّع بشكله العلويّ الأصيل وتسليط الضوء على اكثر منعطفاته وقضاياه خُطورةً وحساسية بدلاً من الانشغال بالقضايا الجُزئية أو المنعطفات غير الحادة!

للوهلة الأُولى ربما يقول قائل انه كان على الصفوية أن تعتّم على حادثة كربلاء وكل ما يرتبط بها لتزول من الأذهان تدريجياً، وكان ينبغي لها بالمقابل ان تسلّط الضوء اكثر على موقف الامام الحسن في الصلح مع معاوية ولن تحتاج حينئذ الى اكثر من تحريف فلسفته وتجريدها من العمق وتحويلها إلى آلة تخدير والتعاطي مع الصلح من زاوية تساوميّة محضة! غير ان الصفوية لم تقنع بهذا المستوى من التوظيف الديني وسعت الى تحقيق هدف إعجازيّ عظيم تمكّنت خلاله من الإبقاء على تشيّع الدم والشهادة والثورة والرفض وجعلت من الحسين محوراً لكل نشاطاتها الدعائية ومن عليّ شعاراً لكل النهضة، وحافظت على الحالة الثورية وعلى نزعة التمرّد والعصيان لدى الانسان الشيعي، واستمرت في شحذ الهمم وتأجيج المشاعر على مدى شهرين كل عام (محرم وصفر) بل على مدى عام كامل واصبح كل يوم عاشوراء وكل ارض كربلاء، وروّجت لعليّ وشخصية عليّ وخصاله المتجسدة في الثورة والشهادة والجهاد ورفض خلافة الجور، ولكنّها في الوقت ذاته، عملت بذكاء على توجيه كل المشاعر الانتقامية والعواطف الملتهبة للتيار الشيعي الرافض للاستبداد والتميز نحو الجبهة التركية وضد عموم ابناء الامة الاسلامية!

وبغية تحقيق هذا الغرض كان على التشيّع الصفوي ان يَلجأ الى اسلوب معقد وشائك يجمع فيه بين تعظيم، وتقزيم أئمة الشيعة الذين قادوا نهضة المقاومة على مدى قرنين ونصف من الزمن وقد قضوا ما بين مقتول أو مسموم في هذا الطريق

الجهادي الرامي الى تخليص الناس من ممارسات الجهل والجور.

كان عليهم ان (يعظّموا) هؤلاء الأئمة لكي يظهروا امام الناس بمظهر المدافع عن اهل البيت والمطالب بإرجاع حقهم واحياء مذهبهم. وكان عليهم في ذات الوقت ان (يقزّموا) أهل البيت لكي يفقدوهم الطابع والصفة الرمزية بين الشيعة والتي من شأنها أن تلهمهم السير على خطاهم والتأسي بسيرتهم في رفض الذل والعبودية والمطالبة بإقامة العدل وتحكيم الحق والالتزام بمظاهر الورع والتقوى ونبذ الظلم والحيف والتمييز الطبقي والعرقي والتأكيد على ممارسة الفرد لدوره الإيجابي البنّاء على الصعيد الاجتماعي... وفي ظلّ ذلك سوف يصبح بوسع الشيعي ان يُنادي بالأئمة ويعتقد بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وينتظر ظهور منجي البشرية والثائر المصلح الكبير ويمضي ليله ونهاره في الحديث عنهم وعن بطولاتهم وايثارهم وسيرتهم، ومع ذلك لا يشعر بأي ضرورة تدعوه للتأسي بهم والعمل بوصاياهم والاقتداء بمنهجهم في مقاومة أو على الأقل مشاكسة النظام الصفوي الوارث لأنظمة الخلافة في الحقبتين الأموية والعباسية سواء على صعيد النمط المعاشي أو على صعيد العلاقة بالناس، وتلك ـ لعمري ـ كانت مسؤولية شاقة تحمّلتها الكنيسة الصفوية في الجمع بين النقيضين: تعظيم ائمة الشيعة وتقزيم ائمة الشيعة!

أما كيف تم ذلك؟ فوفق معادلة دقيقة محسوبة على وتيرة واحدة ومنوال ثابت:

فمن جهة، يجري العمل على رفع مقام ومنزلة الإمام إلى مرتبة الإلوهية، ويتحول الإمام الذي هو وصيّ النبي في التشيّع العلوي وهو الأتقى والأعلم الذي يتولى مهمة مواصلة قيادة المسيرة بعد النبي وهو الشخص الذي يجب ان يكون

المرجع في الفهم الصحيح للقرآن والسنة (الاسلام بمعنى آخر)، يتحول هذا الإمام من عبد طاهر وقائد من جنس البشر الى موجود غير بشري شبيه بالآلهة الصغار الذين يحيطون بالإله الأكبر في الأساطير وفي معتقدات الأديان الوثنية ولهذا الموجود خصائص إلهية كالخالق والرازق والمدبّر والمهيمن على مصائر الناس، ويتمتع بولاية تكوينية على حدّ ولاية الله!

ومن جهة أُخرى، فان امام الشيعة الذي يشهد له التاريخ كلّه والناس قاطبة، مؤمنهم وكافرهم، بأنه مظهر التقوى والورع والعدل والحق والعلم والحرية والجدارة في قيادة النهضة ومقاومة الظلم والجهل والجور والترف والاستبداد، وهو المرآة التي تتجلّى فيها مضامين الانسانية والفخر والاعتزاز والفضيلة والشرف والنزاهة والوعي والصمود والتحرر وعدم المساومة على الحق، هكذا شخصية بهذه المواصفات السامية يتحول بفعل الجهد الصفوي الى كائن ضعيف عاجز مساوم خائف أناني انتهازي منعزل، يعارض منطق الشهادة ويستنكر على الناس تفكيرهم بالخروج على النظام الفاسد ومقارعة الظلم، ويدعو الى الحفاظ على موقعية الخليفة حيال التيارات المتطرفة حتى ما كان شيعياً منها، ويروّج مبدأ الرضا والتسليم للأمر الواقع ويفتي لمصلحة الجهاز الحاكم ولو كان ذلك على خلاف الشرع عملاً بالتقية! وهو في نهاية المطاف إنسان محتقر عديم الشأن ينظر إليه الخليفة نظرة احتقار وسوء ظن، وهو بالمقابل مستعدّ للقيام بأي شيء لمجرد إرضاء الخليفة وتغيير نظرته إليه! يتشرّف بالانتساب الى الخليفة اكثر من انتسابه الى النبي، ولا يتورع عن الانضمام الى قافلة المتزلّفين الى الخليفة ممّن يتأملون ان يجود عليهم الخليفة بالعطايا والهبات، يتشرّف بالوقوف على بوابة بلاط (أمير

المؤمنين) يسبّح بالثناء عليه وتقديس موقعه والدعاء له واستلام الثمن![1]

وبغية إرساء قواعد حكم رجعي على دعائم نهج ثوري وتأسيس حكومة الزور والزيف والاستبداد السياسي والاستغلال الطبقي على دعامتي (العدل) و(الإمامة)!...

وبغية تبديل ماهية (التشيّع الأحمر) ـ وذلك لونه على الدوام ـ الى تشيّع أسود ـ وذلك لون الموت الذي ارتدته الصفوية بحجة العزاء ـ ومن أجل ان يتخذوا من (الولاية) سنداً قوياً ومقدساً (للخلافة) وسيفاً قاطعاً بيد (الخليفة)، ومن (عاشوراء)[2] أفيوناً مخدّراً للإيرانيين ومادةً لتأليبهم على العثمانيين![3]...

---

(١) انني أخجل من التصريح بمثل هذه الكلمات، ولكن ماذا بوسعي ان أصنع وأنا أرى هذه الصور المشوّهة ترسم بدقة وتنسب زوراً الى المعصومين من شهداء الفضيلة وقدوات الانسانية، أعني ائمة الشيعة، وتعرض على الخلائق ليل نهار، كيف يمكن لنا ان نبقى نتفرج على هذه المصيبة مكتوفي الأيدي؟!

(٢) كم هو باعث على التأمل والتفكر العميق ان نرى ان اول امام للشيعة استشهد في المحراب، ومنذ ذلك الحين بدأت قصة الاستشهاد وسوف يستمر التاريخ الشيعي على هذا المنوال الى حين ظهور صاحب الزمان والمهدي الموعود الذي يحقق كل الآمال والتطلعات الاسلامية والانسانية، ومع ذلك فهو على عهد مع الشهادة ويأبى ان يموت حتف أنفه، أو يرتقي بطريقة غيبية نحو السماء، بل سيموت هو الآخر شهيداً! ما أثرى هذا المذهب وما أعمقه وأغناه، مبدأ وحركة وعي وقيم ومال وكمال! ما أروع الاسلام من منطلق التشيّع وما أعظمه على طريق عليّ... بشرط ان تزاح الصفوية من هذا الطريق!

(٣) ان الكيمياء المعاصرة على رغم تطورها الهائل الذي أهّلها لأن تصنع من النفط الأسود مواد تجميل، وتستخدم الكهرباء تارة في تجميد الماء واخرى في تبخيره، هذه الكيمياء الغربية عجزت لحد الآن عن انتاج مادة قادرة على التخدير وفي نفس الوقت هي منبهة للإنسان ومهيّجة له! ان جميع الوحدات الثماني لتحقق التناقض متوفرة هنا، ومع ذلك

نعم! من اجل هذا وغيره كان على ماكنة السحر الأسود الصفوي أن تنتج سائلاً يصلح لجعل الشيعي قوياً وضعيفاً في آن، وحاضراً وغائباً في كل مكان! وينجح في إدخال أكثرية الناس في المدن والقرى إلى المذهب الشيعي جبراً أو اختياراً، وينجح أيضاً في ارجاع الاقليات التي كانت معتنقة لهذا المذهب هناك واقناعها جبراً أو اختياراً بالعدول عنه الى مذهب آخر! في ظل هذا النتاج الغريب سوف تظلّ المنابر تلهج باسم (كربلاء) ليل نهار وفي كل عصر ومصر، وفي نفس الوقت لا يُسمع هذا الاسم من على تلك المنابر إطلاقاً![1]

الشيعي بفضل هذا الأكسير الكيميائي، يستغرق الوقت ليل نهار في انشاد الشعر وكتابة النثر في مدح الائمة والثناء عليهم والإشادة بخصالهم ونقل مناقبهم

⇔ استطاعت بتروكيمياء الاستحمار الصفوي ان تنتج معجوناً غريب الأطوار مركباً من العناصر الثلاثة = التصوف الاسلامي والقومية الايرانية والسلطنة الصفوية واجتمعت بها الاضداد والنقائض، ورغم استحالة ذلك عقلياً، فلقد تحقق عملياً وجرى الاختبار بنجاح في مجتمعنا الديني على مدى ثلاثة قرون حتى اعتاد الناس عليه!

(١) هذا هو الفنّ الإعجازي العجيب الذي لا يتقنه في هذا العالم الفسيح سوانا نحن الإيرانيين ـ وهو بالطبع الفن الوحيد الذي نتقنه! ـ وما زالت بعض الأبواق الصفوية تستخدم هذا الفن (الأصيل) الذي يمكن ان نسمّيه بفنّ (الكلام بلا كلام)!

ان الصمت المعبّر امر يعرفه الجميع، ولكن التعبير الصامت فنّ لا يجيده إلّا خطباء التشيّع الصفوي، لقد سخّروا جميع الطاقات على مدى ثلاثمائة عام من أجل الدعاية لقضية عاشوراء، في كلّ عام شهران (محرم وصفر) وكل مناسبة وفاة أو ولادة وفي كلّ عيد وعزاء تسخّر المنابر لقضية عاشوراء. ومع ذلك نجد انّ الوثائق العلمية في مجال الثورة الكوبية وشخصية فيدل كاسترو أكثر ممّا هو موجود لدينا بشأن عاشوراء، قد لا تصدقون، المتنورون يتصوّرون انني أبالغ والعوام يشككون في نواياي ويتصوّرون انني أفتري، والحقّ معهم جميعاً لأنّهم (يتصورون) وليت تصورهم هذا كان صادقاً، ولكن هيهات. ⇔

وكراماتهم وافعالهم الخارقة للعادة والخصوصيات الغيبية والمعجزات التي ظهرت

↔ في كتاب (فاطمة، فاطمة) أشرت إلى انّ البروفيسور (لوئي ماسينيون) جمع قرابة نصف مليون وثيقة بشأن شخصية الزهراء (ع) وسيرة حياتهم من مختلف المصادر واللغات حتى اللغة المغولية! وقد قام السيّد (لوي غارديه) اليوم بجمع هذه الوثائق وتنظيمها مستعيناً بعدة محقّقين وخبراء بالاسلام وهو بصدد نشر هذه الوثائق في عدة مجلدات حيث لم يمهل الأجل للبروفيسور (ماسينيون) لإكمال هذا المشروع ومات قبل إتمامه فهرستها ليعاد طبعها في كتاب بعدة مجلدات وذلك استكمالاً للجهد العظيم الذي لم يستطع البروفيسور ماسينيون إكماله بعد أن عاجلته المنية..

ذات مرة اعترض عليّ أحد المعارف وهو شخصيّة تتّسم بالتقوى والورع والالتزام، قال: هل معنى ذلك اننا يجب أن نعرف فاطمة (سلام الله عليها) أيضاً من على لسان المستشرقين الاوربيين؟! ألا يوجد في كتبنا من المعلومات حول فاطمة ما يساوي ما جمعه هذا الرجل الأفرنجي بشأن حياة وسيرة فاطمة ورسالتها التاريخية؟!

كان يقول ذلك بحرقة وألم وحنق، فأجبته بالقول:

لم لا يا عزيزي، يوجد الكثير من ذلك، عفواً انا لم اكن اعلم بهذا، ولذلك ارجو منك ان تعينني في انجاز كتابي (فاطمة، فاطمة) حيث مرّت عليّ سنين وانا اعتمد اكثر من اي شيء آخر على استنتاجاتي الفكرية من التاريخ الشيعي، وحبّذا لو تدلّني على بعض هذه النتاجات العلمية والدراسات المؤلفة في مجال التعريف بشخصية الزهراء وأقوالها وأفعالها وأثر سيرتها على المجتمعات المظلومة والطبقات المحرومة والحركات النهضوية والفكرية والاجتماعية، لعلّ هذه النتاجات تسعفني فأكون في غنىً عن مؤلفات (لاوست) والدكتورة بنت الشاطيء وعباس محمود العقاد والدكتور سليمان كتاني (مسيحي) وثلاثين عاماً من البحث والتحقيق أسفرت عن نصف مليون وثيقة ومستند جمعها البروفيسور ماسينيون حول فاطمة!

بالطبع، لم يخطُر في ذهنه أشياء كثيرة فاضطر كالعادة إلى التشبّث بالأدلّة (العقلية) فقال: سيّدي! ان هذه المستندات والوثائق التي تتحدث عنها لم تأتِ من فراغ بل هي حصيلة جهود علمائنا الأوائل وقد اقتبسوها عنهم، أليس كذلك؟! قلت له: سيّدي! كأنك تقع بذات الزلّة الفكرية التي وقع فيها الآخرون غيرك! فإن كلامي ليس بشأن (علماء

↔

على أيديهم قبل الخلقة وبعدها وقبل الولادة أو أثناءها وعند الموت وفي القبر وفي عالم الرؤيا والمنام واليقظة والانتباه... لكن هذا الشيعي لا ينبغي له ـ تحت تأثير مفعول هذا الأكسير ـ ان يتطرّق لذكر حديث تربويّ عن الأئـمة يـوضّح طـريقة عيشهم ومنهجهم في التفكير والسلوك والتعاطي مع قضايا المجتمع والزمان، وما هو الأثر الذي خلّفه كلّ واحد منهم بعد الوفاة والرسالة التي حملها اثناء الحياة...

وهكذا نجد أن كل ايراني لابدّ وأن يكون سمع أو يسـمع مـئات أو آلاف المرّات بأن الامام الجواد يدخل الغرفة وبابها مغلقة! ولكن أياً من هؤلاء لم يحفظ حديثاً واحداً عن الامام ولم يحدّثه أحد بشيء حول الأنشطة التي كان يـزاولهـا الإمام في سياق رفضه لنظام الخلافة القائم. الجميع يبكون في كل عـام بـمناسبة استشهاد الامام الجواد، ولكن احداً لا يعرف لماذا استشهد الامام الجواد؟

كان لابدّ من سلوك منهج خاص من أجل تحقيق هذا الهدف المتناقض الذي تريد الروحانية الصفوية من ورائه ان يتحدث الناس دائماً عن الإمام دون أن يعرفوا شيئاً عنه، ويتمثل هذا المنهج في ترويج مبدأ تقديس الامام دون معرفته!

إن الفنّ الأكبر للروحانية الصفوية تجلّى في ابدال علاقة الناس بالإمام من (المعرفة) الى (المحبة)!

دون شك، ان المحبة هي حالة طبيعية وشعور انسانيّ سامٍ ينبثق في الروح

⇐ الاسلام) وأمّهات الكتب الشيعية، الكلام هو بشأن (الروحانية الصفوية)، وإلّا فلا أحد يشكك بجهود علماء الشيعة الحقيقيين، هؤلاء هم محلّ فـخر واعـتزاز بـالنسبة لي ولأمثالي، والمشكلة المطروحة الآن هي بخصوص الروحاني الصفوي الذي تـلفّع بـرداء العالم الشيعي وصادر موقعيته الاجتماعية والعلمية، وعلينا انا وانت ان نتوخى الدقة فـي التمييز والفرز بين الاثنين!

في ضوء معرفة الإمام، وهذه المحبة وليدة المعرفة والتماس المباشر مع أناس نموذجيين ذوي نفوس سامية وزكية، وهي ـ المعرفة ـ نوع من الاحساس الوجداني الفطري وعامل من عوامل التربية على الفضيلة وعنصر تحرك واقتدار من شأنه ان يشكل خطراً على قلاع الظلم والرذيلة، بيد ان المحبة تحتلّ ـ في التشيّع الصفوي ـ مكان المعرفة، هي محبة قبل المعرفة لا بعدها. والغرض الداعي إلى ترويج هذا النوع من المحبة هو تجريدها من آثارها، ذلك لأن حبّ الامام المجهول ـ ولو كان هذا الامام هو عليّ ـ لن يكون له اي فائدة أو ضرر أو تأثير، ومن هنا فإن النظام الصفوي وأجهزته الدعائية تسعى عبر تلقين المواعظ والخطب والمراثي والأشعار الى مضاعفة حبّ الامام في القلوب وتضعيف معرفته في العقول.

المبدأ الأساس في التشيّع العلوي يقول:

«من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية».

غير ان هذا المبدأ، تعرّض لعملية تحريف (بسيطة) فأصبح هكذا: «من مات ولم يحب إمام زمانه، مات ميتة جاهلية»[1].

---

(١) يقول احد العلماء الواعين ومن الوجوه البارزة في دائرة التشيّع العلوي: ذات مرة ذهبت الى مشهد لإجراء تحقيق حول ما يباع في المكتبات والأكشاك المحيطة بالمرقد الرضوي الشريف فلم أجد سوى المسبحات والترب بمئات الاشكال والموديلات مضافاً الى رقيّة أبي جهل، (نوع من الاعشاب ينبت على القبة الطاهرة)، والستائر التي يغطّي بها الضريح فاذا بليت قامت ادارة الحرم بتقطيعها الى اوصال صغيرة وبيعها على الزوار، وغير ذلك من الاشياء المقدسة في المذهب الصفوي وهي كثيرة، ولكني لم أعثر على أي كتاب أو ملزمة تتضمن إشارة الى فكر الشخص المدفون هاهنا ودوره في عصره، وتفاصيل سيرته الاجتماعية وما شابه ذلك، والسبب واضح: إن الشيعي الصفوي عليه ان يمدح فقط لا أن يعرف!

وهكذا تم بمهارة انتاج هذا الأكسير السحري المتناقض في التركيبات «المعجون الثلاثي الصفوي» وقامت الروحانية الصفوية بتعبئته في كپسولة التشيّع ومهره بختم (ولاية علي) وتوزيعه على محبّي اهل البيت وعشاق علي وكل معتقد بـ (الامامة) وذلك لضمان تخدير الشيعة وتثويرهم! وتعظيم الائمة وتقزيمهم في آن واحد، وبذلك تكون الروحانية الصفوية قد اكتشفت معادلة تركيبية دقيقة شكّلت في الواقع سرّ نجاح التشيّع الصفوي وهي في الوقت ذاته سبب انكسار التشيّع العلوي والعلة الرئيسية في انقلاب وجه التشيّع بشكل مروّع، وهي العامل الأساس في قدرة الصفوية على تسويد لون التشيّع الأحمر وتبديل ثقافة الاستشهاد بثقافة الموت ومذهب الامام الحسين بمذهب الشاه سلطان حسين! ليتحول التشيّع الذي ظلّ مظلوماً عبر ألف عام الى تشيّع يقف في خندق الظالم ويسنده ويعتمد عليه!

هذه المعادلة معادلة ثنائية الأبعاد، معادلة متضادة ذات معلومين!

الامام في السماء: شريك لله!

وهو في الأرض: أجير للخليفة!

الامام في الحضرة الإلهية: ظلّ للإله وربّ للنوع (وربّما أسمى!)

وهو في حضرة السلطان: احد أفراد الحاشية، ومستشار ديني للشاه، مساوم مترلف متملّق (وربما أخس!).

١ ـ الامام، في السماء مع الله!

تنويه:

انقل هاتين الصورتين المتناقضتين عن (إمام) التشيّع الصفوي من مصدرين احدهما (بحار الأنوار) للعلامة المجلسي المعاصر للدولة الصفوية والآخر هو كتاب (جواهر الولاية) لآية الله البروجردي الكاظميني وبعض آثار المرحوم آية الله الآقا الشيخ علي اكبر النهاوندي والأخيران معاصران، فيكون المصدر الأول متعلقاً بأوائل حقبة التشيّع الصفوي والمصدر الثاني متعلقاً بأواخر هذه الحقبة، وذلك لكي يتسنى للقاريء والباحث الكريم ان يدرك حجم التحوّل الذي طرأ على التشيّع الصفوي في غضون القرون الثلاثة، واذا كان لدى البعض تحفظ وانتقادات بدعوى ان المطالب التي سأنقلها ليست مطروحة اليوم، فانني اعتقد خلاف ذلك وأرى انها مطروحة وبقوّة خاصة في هذه الأيام!

* بالنسبة لحديث الغدير «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» لا مناص من ان نقول بان النبي ثبّت أولاً ولايته وسلطنته على العالم ومن ثم اعلن منح هذا المقام لعلي (ع) بأمر من الله ليثبّت له الحكومة على الأموال والأنفس. والخلاصة ان الله تعالى يكون هو المالك للرقاب والمهيمن على كل انحاء الوجود وذلك بحكم (ألست بربّكم) وهذه السلطنة والولاية الثابتة لله على الموجودات كافة فوّضها الله لرسوله بحكم قوله تعالى ﴿إنما وليكم الله ورسوله ...﴾ واخيراً فان حديث الغدير تكفّل بإثبات هذه الولاية لعليّ، فنكون بذلك قد بيّنا معنى السلطنة على السلطنة!

«جواهر الولاية في الخلافة والولاية»
تأليف العالم الجليل السيد الكاظميني اليزدي

* في مشهد، ارتقى احد هؤلاء الولائيين الصفويين ـ برزوا بقوة في السنوات الأخيرة ـ المنبر وصرّح رسمياً امام جمع من العلماء بان الله خاطب المخلوقين في عالم الذرّ بالقول:

ـ ألست بربكم، ومحمد نبيكم وعلي امير المؤمنين (ع) وليكم؟

ـ قالوا: بلى!

وهذا على خلاف القرآن الذي عتّم على هذه الحقيقة وحذف عبارة «محمد نبيكم وعلي وليكم»! أليس القرآن كلام الله؟! فلماذا هنا...؟! (العياذ بالله) هل هناك جريمة لم تقترفها الصفوية؟!

* «الإمام يوحى إليه أيضاً» انه محدّث، يسمع صوت ملك الوحي (جبرئيل) ولكن لا يره! لأنه من اللازم كلٌّ من الرسول والامام مستوي الخلقة والهيئة. وفي ضوء ذلك يجب ان يولد كل منهما مختوناً، ويكون على طهارة دائـمية وليس له ظلّ! وله قدرة على رؤية الأشياء من جميع الجهات وبنفس الوضوح، نام عينه ولا ينام القلب، ولا يجوز عليه الاحلام!

(جواهر الولاية ـ ص ١٠١)

* عندما يولد يهوي فوراً الى السجود ويشهد الشهادتين وتحدّثه الملائكة وينطبق درعه على بدنه، ومعه صحيفة فيها أسماء كلّ أتباعه الى يوم القيامة..

«نحن اسرار الله المودعة في هياكل البشرية، نزّلونا عن الربوبية وادفعوا عنا خطوط البشرية فإنا عنها مبعدون وعما يجوز عليكم منزّهون، ثم قولوا فـينا مـا استطعتم!».

(جواهر الولاية ـ ص ٩٨)

* «كان الله واحداً في وحدانيته، ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة ومكث ألف دهر ثم خلق الأشياء كلّها! ﴿إنما أمره اذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون﴾.
(يس ـ الآية ٨٣)

وهذا يعني ان سلطنته ونفوذ كلامه من القوة بحيث انه بمجرد أمره بشيء فإنه يوجد على الفور، ومن هنا فقد حصر هذا النمط من الولاية والسلطنة بنفسه ونبيّه وأوصياء نبيّه، وذلك من خلال أداة الحصر (إنما) الدالّة على انحصار الحكم داخل دائرة ضيقة وعدم شموله لما هو خارج منها. قال تعالى: ﴿انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾.[1]

---

(١) المائدة: ٦١.

بيان: لا ينبغي الغفلة عن نكتة في الآية وهي ان العطف تمّ بواسطة حرف (الواو) ويفهم ان الولاية الثابتة للنبي والامامة هي عين الولاية الثابتة لله وذلك لكي لا يختل السياق.

(جواهر الولاية ـ ١١٤)

❊ لا تنحصر قدرة أولياء الله بموارد معينة ونقاط محددة وكيفية خاصة بل ان تسلّطهم شامل لكل مسرح الوجود. وقد شبّه الحكماء الإلهيون ذلك بالقول ان هيولى العالم ومادته الأولى تكون في ايدي اولياء الله مثلما يكون الشمع بيد الإنسان يصوّره كيف يشاء. وفي الحديث المشهور عن المعصوم:

«ان رجالاً إذا أرادوا أراد وإذا أراد أرادوا».

(جواهر الولاية ـ ١٢٥)

ومن ثمّ فإنّ موضوع الولاية يكون على هذه الشاكلة بلا ادنى تفاوت. لأن هذا هو مقتضى عمل الوليّ والمدبّر للأمور الإلهية بأمر من الله والموكل إليه مهمة الوزارة والنظارة على مملكة الوجود من علم ورزق وموت وحياة...

عن الصادق (ع) ما مضمونه ان جميع امور القيامة هي بيد النبي محمد (ص) والامام علي (ع). اذ أن تدبير الأمور يكون بأمر النبي (ص) كما ان مالك ورضوان (خادمي النار والجنة) يأتمران بأمر علي (ع). وهذه المنازل من مكنون العلم فاحفظها!

... اما نواب الامام العامّون (مراجع التقليد) فليس لديهم ولاية مطلقة. غير انه من الممكن ان يجري على ايديهم بواسطة الإمام كرامة أو عمل خارق للعادة وذلك من أجل إثبات النيابة وتصحيح انتسابهم للإمام. وتبقى المرتبة الأعلى والأعظم وهي الولاية الكلية المطلقة التامة الحقيقية على مسرح الكائنات منحصرة

في كل زمان بفرد واحد هو واسطة الفيض الذي له ولاية وسلطنة ـ نيابةً عن الله ـ على جميع ما سواه، ولا يشاركه أحد في هذه المرتبة. وهو الإمام وحجة الله على الخلق أجمعين.

(الجواهر ـ ١٢٦)

* منصب الزعامة على الأمور التكوينية لا يمكن رؤيته عند اولياء الله، إلّا إذا هم أرادوا ذلك، كما لو أعادوا الشمس بعد مغيبها بإشارة واحدة، أو أمروا السماء بأن تمطر، أو التجاء الغزال إلى الإمام الرضا خوفاً من الصيّاد، وهذا يعني ان الشمس والغيوم تتحرك دائماً على سبيل الامتثال لإرادة الولي والحجة في كل زمان، وان جميع الحيوانات تعرض حاجاتها على أولياء الله ولا تتحرك إلّا تبعاً لأوامرهم.

* في بعض الأحايين يستخدم اولياء الله إرادتهم الولائية للحيلولة دون تأثير السمّ أو السيف في أبدانهم، كما روى ذلك العلامة المجلسي في المجلد التاسع من البحار بشأن امير المؤمنين (ع) في قصة الطبيب اليوناني الذي طلب منه المعجزة فتناول (ع) السمّ دون ان يؤثر في بدنه.. ومثل ذلك ما يروى من ان المأمون أمر ثلاثين شخصاً من جلّادي قصره بأن يقطّعوا أوصال الإمام الرضا (ع) بالسيوف وقد فعلوا ذلك دون أن يلحق الامام اي ضرر!

* عن أبي رافع قال: دخلت على رسول الله (ص) وهو نائم أو يوحى إليه فإذا حيّة في جانب البيت فكرهت أن أقتلها فأوقظه وظننت أنّه يوحى إليه فاضطجعت بينه وبينها لئن كان منها سوء يكون فيّ دونه، فاستيقظ النبي (ص) وهو يتلو هذه الآية ﴿إنّما وليكم الله ورسوله ...﴾ ثمّ قال: الحمد لله الذي أكمل لعليّ نعمه وهنيئاً لعليّ بتفضيل الله ثم التفت إليّ فقال: ما يضجعك ها هنا؟ فأخبرته الخبر

فقال لي: قم إليها فاقتلها.[١]

* عن أبي عبدالله (الصادق) انّ الخاتم الذي تصدّق به أمير المؤمنين (ع) وزن أربعة مثاقيل حلقتُهُ من فضة وفصّهُ خمسة مثاقيل وهو من ياقوتة حمراء وثمنه خراج الشام، وخراج الشام ثلاثمائة حمل من فضة وأربعة أحمال من ذهب.[٢]

* ثمة أفراد يتمرّدون على الأوامر الإلهية ويخالفون الأئمة، ومع ذلك فان أمورهم التكوينية تبقى تحت هيمنة أمراء الحق (الأئمة) سواء على مستوى الجهاز التنفسي أو الجهاز الهضمي أو الدورة الدموية. وفي هذا يقول القرآن:

﴿لله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾[٣].

ويقول امير المؤمنين في حديث النورانية:

«ويطيعنا كل شيء حتى السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار والشجر والدواب والجنة والنار».

(الجواهر ـ ١٥٩)

* روى صاحب كتاب (بصائر الدرجات) عن الإمام الخامس محمد الباقر (ع) انه قال ان كل شيء فيه روح فهو يطيعنا ويسمع لنا اكثر من بني آدم.

وعندما استعرض المتوكل جيوشه قبال الامام الهادي (ع) بقصد ارعابه وتخويفه، ما كان من الإمام إلّا أن أمر جيوش الغيب والملائكة فظهرت للمتوكل

---

(١) بحار الأنوار / ج ٣٥ / ص ٢٠١.
(٢) مستدرك الوسائل / ج ٧ / ص ٢٥٩.
(٣) الرعد: ١٧.

حتى غشي عليه.

ويروى ان هارون بعث بجارية الى الامام موسى الكاظم (ع) لتخدمه وهو في السجن (!). فأشار الإمام بيده فظهر أمامها عدد ضخم من الجواري والغلمان يؤدون الطاعة للإمام. فغشي على الجارية ايضاً.

وذات يوم كان الامام الصادق مع بعض أصحابه في البيداء وأصابهم عطش شديد. فوضع الإمام (ع) رأس عصاه المباركة في حلقه فجرى الماء!

نظير ذلك قصة الامام الرضا مع المأمون إذ لجأ (ع) الى استخدام ولايته التكوينية ضد سعيد بن مهران الذي كان أراد أن يسخر من الامام في مجلس المأمون فأشار (ع) الى صورة أسد في سجادة معلقة على الجدار فتحولت الصورة الى اسد حقيقي هجم على (سعيد) وابتلعه!

عندها تدخّل المأمون لدى الإمام الرضا طالباً منه ان يأمر الأسد باسترجاع الفريسة! فقال الإمام لو ان عصا موسى النبيّ أرجعت أفاعي السحرة لكان ثمة امل بأن يعود ابن مهران، اي ان المسألة مسألة معجزة إلهية.

(لاحظ عزيزي القارىء ان هذا الأسد يهجم على (سعيد) المسكين ويترك الرجل الذي بجنبه (المأمون) مع انه غاصب للولاية!

* وفي رواية أخرى ان أمير المؤمنين قال لعمار بن ياسر أن يأخذ حفنة من التراب بأمر منه ويذكر عليها اسم الأمير فتبدل الى ذهب!

* وحينما طلب علي الأكبر من أبيه وهو في المسجد ان يأتي له بشيء من العنب مدّ الامام الحسين يده الى احد أعمدة المسجد وأخرج منه عنقود عنب!

* ذات يوم وفد المعلّى بن خنيس على الامام الصادق في المدينة. فمسح الإمام بيده على عيني المعلّى فرأى أنه ذهب الى الكوفة ودخل منزله والتقى

بزوجته وابنائه وتحدّث إليهم، ثم مسح الامام بيده مرة أُخرى على عيني المـعلّى فوجد نفسه بجنب الإمام في المدينة!

* وفد قتادة البصري على الإمام الباقر (ع) في المدينة وكان عنده أربعون مسألة. وبعد حوار قصير قال قتادة للإمام: أصلحك الله، والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدّام ابن عباس فما اضطرب قلبي قدّام واحد منهم ما اضطرب قدّامك! قال له أبو جعفر (الباقر): ويحك! أتدري أين أنت؟ أنت بين يدي ﴿بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ويسبّح له فيها بالغدوّ والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الطلاة وإيتاء الزكاة﴾، فأنت ثمّ، ونحن أولئك. فقال قتادة: صدقت والله ـ جعلني الله فداك ـ والله ما هي بيوت حجارة ولا طين. قال قتادة: فأخبرني عن الجبن! فتبسم أبو جعفر (ع) وقال: رجعت مسائلك إلى هذا؟ قال: ضلّت عليّ. فقال: لا بأس به. فقال: إنه ربّما جعلت فيه إنفحة الميت. قال: ليس بها بأس إن الإنفحة ليست لها عروق ولا فيها دم ولا لها عظم، إنما تخرج من بين فرثٍ ودم، وإنما الإنفحة بمنزلة دجاجة ميتة أخرجت منها بيضة. فهل تؤكل تلك البيضة؟ فقال قتادة: لا، ولا آمر بأكلها، فقال له أبو جعفر (ع): ولم؟ فقال: لأنها من الميتة. قال له: فإن حضنت تلك البيضة فخرجت منها دجاجة أتأكلها؟ قال: نعم، قال: فما حرّم عليك البيضة وحلّل لك الدجاجة؟! (الملعون نسي مسائله من هيبة الإمام ومع ذلك يتجرأ على محاججة الإمام!).

(جواهر الولاية ص ١٧٠)

* روى في كتاب العيون عن امير المؤمنين (ع) انه كان مع رجل يهودي في سفر فوصلا إلى نهر فخلع اليهودي ثيابه ورماها الى الماء وجلس عليها حتى عبر النهر، ثم خطب امير المؤمنين قائلاً لو كنت تعلم ما أعلمه أنا لفعلت مثلما أفعل!

فأشار امير المؤمنين بيده الى النهر فانجمد ماؤه وعبر (ع)، فلما رأى اليهودي ذلك وقع على رجليه وقال: ايها الفتى! ما الذي قلته فانجمد الماء؟

فسأله (ع): وما الذي قلته انت فعبرت النهر؟ قال اليهودي الخيبري[1]:

دعوت الله باسمه الأعظم!

قال (ع): وما ذاك؟

قال اليهودي: وصيّ محمد.

قال علي (ع): أنا وصيّ محمد (ص).

قال اليهودي: آمنت وأسلمت.

تفسير قرآني:

في تفسير قوله تعالى:

﴿وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾[2].

قال الامام الباقر: نحن طائفة الحجاز، أوسط الطوائف ولهذا جعلنا الله امة وسطاً. (يعني الشام شمالاً واليمن جنوباً ونَجدْ شرقاً وتهامة غرباً).

(تفسير العياشي)

* وهذه الآية تدلّ بصراحة على ان الأئمة المعصومين لهم ولاية على

---

(١) من أهل خيبر، وهو المكان الذي فتحه النبي بعد مدة من الحصار والقتال الشديد، وسكانه هم الذين حاربوا علياً في خيبر، ومنهم المرأة اليهودية التي دسّت السمّ في طعام النبي بعد الفتح والصلح، وقد ظل السمّ سارياً في بدن النبي وأثّر عليه الى حين وفاته.

(٢) البقرة: ١٣٨.

المخلوقات وان النبي الخاتم له ولاية على الأئمة... وهذا دليل واضح على افضلية الأئمة على أنبياء اولي العزم .

(الجواهر ـ ١٨٩)

※ **﴿انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً﴾**[1].

المقصود هو ولاية محمد وآل محمد تكويناً وتشريعاً ، وقد روى المفضّل بن عمر ، عن الصادق (ع) ان الله خلق الأرواح قبل خلق الأجساد بألفي عام... ومن ثم عرض ولاية أهل البيت على السموات والأرض ، وقال من الذي يدعي القدرة على حمل هذه الأمانة فتخلّى عن حملها السموات والأرض وتخوّفوا من حمل هذه الأمانة الثقيلة وكان آدم وحواء في الجنة... فوقع نظرهم فجأة على مقام المعصومين الأربعة عشر فسألوا : لمن هذا المقام ؟

فجاءهم الجواب من الجليل بأن هذا المقام لمحمد وفاطمة والحسنين والائمة الى المهدي (عج) ولولا هؤلاء لما خلقتكم... وحذار ان تنظرا إليهم بعين الحسد وتتمنّيا المقام الذي أعطاه الله اليهم. لكن الشيطان وسوس لهما فتمنّيا مقام الولاية المطلقة الكلية... وعندما أرادا التوبة أمرهما الله سبحانه بأن يتوسلا إليه بتلك الأنوار المقدسة ففعلا وتاب عليهما.

وفي مضمون كثير من الروايات ان ولاية اهل البيت عرضت على المياه ، فكل ماء رضي بهذه الولاية صار عذباً سائغاً شرابه وكل ماء أبى قبول الولاية صار ملحاً أجاجاً ، وقد عرضت الولاية ايضاً على الثمار ، فكل ثمر قبل الولاية صار

---

(١) الأحزاب : ٧٣.

حلواً طيباً وكل ثمر رفض الولاية صار مرّاً. وكل نبات قبل الولاية كان معطراً وجميلاً وكل نبات لم يقبلها كان كريه الشكل والرائحة والطعم. واخيزاً فان كل حجر قبل الولاية صار حجراً جيداً كالعقيق والفيروزج والحجر الأسود.

أفضلية الأئمة على أنبياء اولي العزم:

* في كتاب الإرشاد للديلمي: انّ الإمام الرضا (ع) قال لسماعة ضمن حديث: «إذا كان يوم القيامة لم يبق ملك مقرب ولا نبيّ مرسل ولا مؤمن ممتحن إلّا وهو يحتاج إليهما (محمد وعليّ) في ذلك اليوم»[1].

وكثيراً ما لجأ الأنبياء إلى التوسل إلى الله بأهل البيت لتقضي لهم حوائج الدنيا والآخرة. كما ورد بشأن توبة آدم ونجاة نوح من الغرق وإبراهيم من النار وموسى من فرعون ويوسف من السجن ويعقوب من فراق يوسف وزكريا في طلب الولد ويونس في الخروج من قعر البحر حيث تمسّك هؤلاء بشفاعة أهل البيت (ع). وربما استشفع هؤلاء الأنبياء بأولي العزم فلم يستجب الله لهم دعاءهم!

وتتصاعد لغة الاستهانة بالأنبياء إلى أن يذكر مؤلف كتاب (جواهر الولاية) هذه الرواية وفيها انّ النبي يوسف (ع) شعر بأن ذنوبه لا تؤهله لمواجهة ربّه بالدعاء نلجأ إلى الدعاء بهذه الطريقة: عليّ ان كان أبوك آدم خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي وأسكنته جنتي وأمرته أن لا يقرب شجرة منها فعصاني وسألني فتبت عليه وان كان أبوك نوح انتجبته من بين خلقي وجعلته رسولاً إليهم فلما عصوا دعاني استجبت له وأغرقتهم وأنجيته ومن معه في الفلك وان كان أبوك إبراهيم اتخذته خليلاً وأنجيته من النار وجعلتها عليه برداً وسلاماً وان كان أبوك يعقوب وهبت له

---

(١) الكافي، ج ٢، ص ٥٦٢.

اثني عشر ولداً فغيّبت عنه واحداً فما زال يبكي حتى ذهب بصره وقعد على الطريق يشكوني فأي حق لآبائك عليّ؟!

توضيح:

المقصود الأصلي من الخلق في هذا النص هو الأنوار القدسية للمعصومين الأربعة عشر والتي انفصلت عن الأنوار الإلهية (!) قبل خلق السموات والأرض من أجل ان تكون وسيلة لتوسل جميع الموجودات من الانبياء وغيرهم بالله سبحانه...

تفسير قرآني:

معنى قوله تعالى: ﴿يوم يقول الكافر يا ليتني كنت تراباً﴾[1].

هو ان الكافر يرى يوم القيامة الثواب والكرامة التي يحظى بها شيعة عليّ فيتمنى لو كان تراباً وذلك لأن كنية علي هي أبو تراب! وهو الذي بيده ثبات الأرض وسكونها.

(الجواهر ـ ٢٦٦)

﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً﴾[2].

المقصود من الوالدين في الآية الكريمة هما محمد (ص) وعلي (ع)، يقول العلامة المجلسي في هذا الصدد: ان المراد ان محمداً وعلياً هما الأبوان الروحيان للبشر.

غير ان العلامة السيد محمد علي الكاظميني البروجردي صاحب كتاب (منشورات النور من درسنا في دار الشفاء مسجد ميدان خراسان) يذهب أبعد من

---

(١) النبأ: ٤٢.

(٢) النساء: ٤١.

ذلك ويقول: بل يمكن القول ان محمد وآل محمد هم آباء روحانيون وجسمانيون للبشر... وهم الوالد الحقيقي للبشر).

(ص ٢٦٧)

خلق الأئمة

كتب الامام الغائب جواباً على رسالة بعث بها جماعة جاء فيها: ونحن صنائع ربّنا والخلق بعد صنائعنا.

ـ وهذه العبارة تثبت الولاية الكلية مضافاً الى كلام النبي (ص) في بحث (انا وعليّ أبوا هذه الأمة)، ولأن كلمة (خلق) اعم من البشر والجماد والأرض والسماء... فينتج ان المراد بالحديث اننا من صنع الله وبقية الموجودات من صنعنا نحن!

(الجواهر ـ ٢٤١)

*** استنتاج صاحب (جواهر الولاية) من الحديث أعلاه**

ان تقسيم الرحمة هو نفس معنى الولاية، فالرحمة تبتديء من افاضة الوجود على الماهيات الممكنة وتنتهي برحمة التربية والتكميل والتصوير واعطاء العلم والرزق وجميع انواع البركات واقسام الفيوضات حيث يطلق لفظ الرحمة على جميع هذه المعاني ويشملها لفظ أبو القاسم... وبالاستعانة بمدلول آية (وأنفسنا) وباعتبار ان علياً هو نفس الرسول يصدق هذا المقام (اي مقام تقسيم الرحمة) على عليّ والأئمة من بنيه.

والمراد من العلوم والأسرار التي يشير اليها عليّ بقوله (ان ها هنا علماً جمّاً) هو التكلم من موقع الولاية والسلطنة والتكفل بأمور الخلق من الايجاد والتربية

والتعليم والرزق وكل تصرف في عالم الوجود.

(الجواهر ـ ٢٨٠)

وعن النبي عندما عرج به الى السماء أنّه لم ير باباً أو حجاباً ولا شجراً ولا ورقاً ولا غرفاً إلا وكتب عليها اسم عليّ.

وفي كتاب بصائر الأنوار، عن سعد بن أبي خلف الأشعري: سأل أبو ذر الغفاري سلمان الفارسي: يا أبا عبد الله ما معرفة الامام أمير المؤمنين (ع) بالنورانية ؟ قال : يا جندب فامض بنا حتى نسأله عن ذلك ، قال : فأتيناه فلم نجده.

قال : فانتظرناه حتى جاء، قال (صلوات الله عليه) : ما جاء بكما ؟ قالا : جئناك يا أمير المؤمنين نسألك عن معرفتك بالنورانية، قال (صلوات الله عليه) : مرحبا بكما من وليّين متعاهدين لدينه لستما بمقصّرين ، لعمري أن ذلك الواجب على كلّ مؤمن ومؤمنة ، ثمّ قال صلوات الله عليه : يا سلمان ويا جندب، قالا : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال (ع) : إنه لا يستكمل أحد الايمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية، فإذا عرفني بهذه المعرفة فقد امتحن الله قلبه للايمان وشرح صدره للاسلام وصار عارفاً مستبصراً ، ومن قصّر عن معرفة ذلك فهو شاك ومرتاب ، يا سلمان ويا جندب، قالا : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال (ع) : معرفتي بالنورانية معرفة الله عزّ وجلّ، ومعرفة الله عزّ وجلّ معرفتي بالنورانية وهو الدين الخالص...

إلى أن قال: المؤمن الممتحن هو الذي لا يرد من أمرنا إليه بشيء إلّا شرح صدره لقبوله ولم يشكّ ولم يرتَبْ . اعلم يا أبا ذر أنا عبد الله عزّ وجل وخليفته على عباده لا تجعلونا أربابا وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لا تبلغون كنه ما فينا ولا نهايته...

وقال : كنت أنا ومحمد نوراً واحداً من نور الله عزّ وجل ، فأمر الله تبارك وتعالى ذلك النور أن يشق فقال للنصف : كن محمداً وقال للنصف : كن علياً ...

وصار محمد الناطق ، وصرت أنا الصامت ،... ثمّ ضرب (ع) بيده على أخرى وقال: صار محمد صاحب الجمع وصرت أنا صاحب النشر ، وصار محمد صاحب الجنة وصرت أنا صاحب النار ، أقول لها : خذي هذا وذري هذا... وأنا صاحب اللوح المحفوظ ألهمني الله عزّ وجل علم ما فيه... وصار محمد خاتم النبيين وصرت أنا خاتم الوصيّين... إلى أن قال: أنا الذي حملت نوحاً في السفينة بأمر ربي ، وأنا الذي أخرجت يونس من بطن الحوت باذن ربي ، وأنا الذي جاوزت بموسى بن عمران البحر بأمر ربي ، وأنا الذي أخرجت إبراهيم من النار باذن ربي... قال (ع): أنا احيي واميت باذن ربي ، وانبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم باذن ربي ، وأنا عالم بضمائر قلوبكم والأئمة من أولادي (ع) يعلمون ويفعلون هذا إذا أحبّوا وأرادوا لأنا كلنا واحد ، أوّلنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلّنا محمد ...[١]

إلى آخر الحديث الذي نقله المؤلف بصورة مشوشة فيها تقديم وتأخير .

النتيجة النهائية

من المشهور عن أحد العلماء الكبار وهو المقدس الأردبيلي (ره) أن احدهم رآه في المنام بحلّة بهيّة في المرقد الطاهر لأمير المؤمنين علي (ع)، فسأله عن أوضاع ذلك العالم، فأجابه بالقول ان أعمال وعبادات هذه النشأة (الدنيا) لا تنفع صاحبها كثيراً وأنه لم ينتفع إلّا بمحبّة صاحب هذا القبر ، وأشار الى ضريح امير المؤمنين (ع).

(الجواهر ـ ١٨٤)

---

(١) بحار الأنوار ، ج ٢٦ ، ص ٥.



٢ ـ الامام في الأرض مع الخليفة!

الإمام زين العابدين مع عبد الملك :

طلب الحجاج من الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان أن يقتل الإمام زين العابدين. فأجابه عبد الملك بكتاب أعلن فيه رفضه للاقتراح. فكتب الإمام زين العابدين إثر ذلك رسالة إلى عبد الملك مطلعها:

إلى عبد الملك بن مروان ؛ أمير المؤمنين!

من علي بن الحسين: أما بعد !

وجاء في الرسالة انّ رسول الله أخبر الإمام بما فعله عبد الملك وان الله قد شكر ذلك لعبد الملك ومدّ في سلطانه !

فما كان من عبد الملك إلّا أن حمّل البعير الذي جاء بحامل رسالة الإمام بالدنانير ![1]

❊ بعد انتشار خبر مقتل الفضل بن سهل في الحمام دخل المأمون من الباب الذي كان إلى داره من دار أبي الحسن (الإمام الرضا) وهو يقول: يا سيّدي يا أبا الحسن آجرك الله في الفضل فإنه قد أبى وكان دخل الحمام فدخل عليه قوم بالسيوف فقتلوه، وقد أخذ ممّن دخل عليه ثلاثة نفر كان أحدهم ابن خاله الفضل بن ذي القلمين، قال (الراوي) فاجتمع الجند والقواد ومن كان من رجال الفضل على

---

(١) البحار، ج ١١، ص ٧، ١٤.

باب المأمون وقالوا هذا اغتاله وقتله ـ يعنون المأمون ـ ولنطلبنّ بدمه وجاءوا بالنيران ليحرقوا الباب. فقال المأمون لأبي الحسن (ع): يا سيدي ترى أن تخرج إليه وتفرّقهم. فركب أبو الحسن فلما خرجنا من الدار نظر إلى الناس وقد تزاحموا على بعض وما أشار إلى أحد إلّا ركض ومرّ.[١]

ويقال إن المأمون جاء إلى الإمام بعد مقتل الفضل بن سهل وهو يبكي طالباً من الإمام أن يعينه على تجاوز (المحنة)!

فقال له الإمام: منك التدبير ومنا الدعاء![٢]

ان اي قاريء يقرأ هذه النصوص في كتاب البحار للعلامة المجلسي والذي يعدّ بمثابة الموسوعة الحديثية الكبرى للشيعة يتوصل الى نتيجة مفادها ان اهل خراسان كانوا في حالة هيجان وسخط ضد حكومة الجور للمأمون ومن قبله أبوه هارون. ولا شك في ان حالة الرفض هذه هي السبب الرئيسي في إصرار المأمون على تعيين الإمام الرضا (ع) في منصب ولي العهد. كما أن هناك علاقة واضحة بين قتل الإمام وقتل وزير المأمون الفضل بن سهل الذي كان له دور مؤثر في تعيين الامام الرضا وليّاً للعهد وكان يتعاطف مع الإمام ويميل إليه وهذا هو السبب في إقدام المأمون على قتله في الحمام مما أثار سخط الناس وغضبهم فحاصروا دار الخلافة متهمين المأمون بأنه المدبر لعملية اغتيال الفضل بن سهل. وفي أوضاع كهذه يتدخل الإمام مستغلاً مكانته الروحية والاجتماعية بين الناس لتهدئة الموقف لصالح الخليفة وعلى حساب انسان قتل بسبب الولاء للإمام!

(١) الكافي، ج ١، ص ٤٩١.
(٢) السبع المثاني في نكت أخبار مناقب الحسن الأوّل إلى الحسن الثاني، آية الله النهاوندي.

هذا هو الاستنتاج المنطقي من القصة أعلاه، ولا شك ان كل من يثق بالعلامة المجلسي ويعتمد عليه سيكون مضطراً الى سلب اعتماده وثقته بالإمام (ع)!

أما إذا بقي إيمانه بالامام ثابتاً لا يتزعزع فلن يجد محيصاً من إدانة المجلسي وجميع من أسهم في اختلاق أو نقل أمثال هذه القصص المشينة والتي من شأنـها إظهار الإمام بمظهر المدافع عن الجور والمؤيد لأهل الزور، وذلك لكي يضفى نوع من الشرعية على هذا النمط من السلوك ولا يشعر الشيعي الصفوي بالعار أو بتأنيب الضمير عندما يعمل مرتزقاً في اجهزة السلطة الصفوية الجائرة! اذ ما هو الضير في ان يعمل مع هذه الاجهزة اذا كان الإمام عمل مع أجهزة ظالمة مثلها نـاهيك عـن كونها (سنّية) وهذه (شيعية)!

والواقع ان الروحانية الصوفية تبنّت هذه النتيجة رسـمياً وقـامت بـفرضها واملائها على الناس، ففي ذيل هذه القصة وتحت عنوان (رجعٌ فـيه نـجع) عـلّق المرحوم آية الله الشيخ علي اكبر النهاوندي وهو من الوجوه اللامعة للـروحانية الصفوية في عصرنا الحاضر وله مؤلفات تعدّ من أبرز نـماذج ومـصاديق التـراث العلمي الديني الصفوي[1]. قال الشيخ (ره):

«ومع اجتماع هذه الأسباب والعوامل الظاهرية للإمام (الرضا) بقلب الأمور وعكس القضية لصالحه فان وقوف الإمام مكتوف الأيدي ورضاه بالقضاء الإلهي المقدّر ربما يكون هو السرّ والسبب في تلقيبه (ع) بلقب (الرضا) حيث كان سلوكه موجباً لرضا النبي وائمة الهدى وانصاره ومخالفيه. فافهم واغتنم!».

---

(١) من قبيل (الجواهر الرزينة) و(العسل المصفى في نكت اخبار مناقب المصطفى) و(اليـد البيضاء في نكت اخبار مناقب الزهراء) و(الكوكب الدرّي في نكت اخبار مناقب العـليّ) و(السـبع المثاني في نكت أخبار مناقب الحسن الأول الى الحسن الثاني).

(تأمل قليلاً في هاتين الدعوتين اللتين ذيّل بهما التعليق الفريد، فافهم واغتنم!)

شكراً جزيلاً! لقد أجدتم وأحسنتم في تبيين حقيقة منهج اهل البيت من خلال هذه الكتب التي تطبع على نفقة (سهم الامام) من اموال الناس، ماذا تصنع الروحانية الصفوية مع الامام ومع الناس؟! إنّها تجعل الناس تبعاً للإمام والإمام تبعاً للمأمون!

إن الأموال المرصودة لإجراء هذا المشروع الضخم كانت تدفع من قبل الصفوية في البداية اما الآن فيدفعها الناس من سهم الإمام!

شلّت يداك، يا صفوية!

عن الامام موسى بن جعفر قال:

لما أمر هارون الرشيد بحملي، دخلت عليه فسلّمت فلم يردّ السلام ورأيته مغضباً، فرمى إليّ بطومار فقال: إقرأه، فإذا فيه كلام، قد علم الله عزّ وجل براءتي منه، وفيه إن موسى بن جعفر يجبى إليه خراج الآفاق من غلاة الشيعة ممّن يقول بإمامته، يدينون الله بذلك، ويزعمون أنه فرض عليهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ويزعمون أنه من لم يذهب إليه بالعشر ولم يصلّ بإمامتهم، ولم يحجّ باذنهم، ويجاهد بأمرهم، ويحمل الغنيمة إليهم، ويفضل الائمة على جميع الخلق، ويفرض طاعتهم مثل طاعة الله وطاعة رسوله، فهو كافر حلال ماله، ودمه...

والكتاب طويل وأنا قائم أقرأ وهو ساكت، فرفع رأسه وقال: اكتفيت بما قرأت فكلّم بحجّتك بما قرأته.

قلت: يا أمير المؤمنين والذي بعث محمداً (ص) بالنبوة ما حمل إليّ أحد

درهماً ولا ديناراً من طريق الخراج لكنّا معاشر آل أبي طالب نقبل الهدية التي أحلها الله عزّ وجلّ لنبيّه (ص) في قوله : (لو أهدي الي كراع لقبلت ، ولو دعيت إلى ذراع لأجبت) ، وقد علم أمير المؤمنين ضيق ما نحن فيه ، وكثرة عدونا ، وما منعنا السلف من الخمس الذي نطق لنا به الكتاب ، فضاق بنا الأمر ، وحرمت علينا الصدقة وعوضنا الله عزّ وجلّ عنها الخمس واضطررنا إلى قبول الهدية. وكلّ ذلك ممّا علمه أمير المؤمنين. فلمّا تمّ كلامي سكت .

ثم قلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لابن عمّه في حديث عن آبائه ، عن النبي (ص) فكأنه اغتنمها ، فقال : مأذون لك ، هاته ! فقلت : حدثني أبي ، عن جدي يرفعه إلى النبي (ص) : (أن الرحم إذا مست رحماً تحركت واضطربت) فإن رأيت أن تناولني يدك ، فأشار بيده إليّ .

ثمّ قال : ادن ، فدنوت فصافحني وجذبني إلى نفسه مليّاً ثم فارقني وقد دمعت عيناه. فقال لي : اجلس يا موسى ، فليس عليك بأس ، صدقت وصدق جدّك وصدق النبيّ (ص) لقد تحرك دمي ، واضطربت عروقي وأعلم أنك لحمي ودمي وأن الذي حدثتني به صحيح .

وبعد طرح مجموعة اسئلة على الإمام قال هارون للإمام:

أحسنت هو كلام موجز جامع ، فارفع حوائجك يا موسى! فقلت : يا أمير المؤمنين أوّل حاجتي إليك أن تأذن لي في الانصراف إلى أهلي ، فإنّي تركتهم باكين آيسين من أن يروني فقال : مأذون لك ، ازدد ؟ فقلت : يبقي الله أمير المؤمنين لنا معاشر بني عمّه فقال : ازدد ؟ فقلت : علي عيال كثير ، وأعيننا بعد الله ممدودة إلى فضل أمير المؤمنين وعادته ، فأمر لي بمائة ألف درهم ، وكسوة...

عن المأمون قال:

لقد حججت معه (هارون) سنة . فلمّا صار إلى المدينة تقدم إلى حجابه وقال: لا يدخلنّ علي رجل من أهل المدينة ومكة من أبناء المهاجرين والأنصار وبني هاشم وسائر بطون قريش إلّا نسب نفسه . فكان الرجل إذا دخل عليه قال : أنا فلان بن فلان حتى ينتهي إلى جدّه من هاشمي أو قريشي أو مهاجري أو أنصاري ، فيصله من المائة بخمسة آلاف درهم وما دونها إلى مائتي دينار ، على قدر شرفه ، وهجرة آبائه .

فأنا ذات يوم واقف إذ دخل الفضل بن الربيع فقال : يا أمير المؤمنين على الباب رجل زعم أنه موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فأقبل علينا ونحن قيام على رأسه ، والأمين والمؤتمن وسائر القواد فقال : احفظوا على أنفسكم ، ثم قال لآذنه ائذن له ، ولا ينزل إلّا على بساطي ، فأنا كذلك إذ دخل شيخ مسخّد قد أنهكته العبادة ، كأنه شن بال ، قد كلّم السجود وجهه وأنفه ، فلمّا رأى الرشيد رمى بنفسه عن حمار كان راكبه فصاح الرشيد : لا والله إلا على بساطي فمنعه الحجاب من الترجل ونظرنا إليه بأجمعنا بالإجلال والإعظام ، فما زال يسير على حماره حتى سار إلى البساط ، والحجاب والقواد محدقون به ، فنزل فقام إليه الرشيد واستقبله إلى آخر البساط وقبّل وجهه ، وعينيه ، وأخذ بيده حتى صيّره في صدر المجلس ، وأجلسه معه فيه ، وجعل يحدّثه ويقبل بوجهه عليه ، ويسأله عن أحواله .

ثم قال : يا أبا الحسن ما عليك من العيال ؟ فقال : يزيدون على الخمسمائة ، قال : أولاد كلّهم ؟ قال : لا ، أكثرهم موالي وحشم ، فأما الولد فلي كذا وكذا...

فلمّا أراد (هارون) الرحيل من المدينة إلى مكة أمر بصرّة سوداء ، فيها

مائتا دينار ثم أقبل على الفضل بن الربيع فقال له : اذهب بهذه إلى موسى بن جعفر وقل له : يقول لك أمير المؤمنين : نحن في ضيقة وسيأتيك برّنا بعد هذا الوقت.

فقال المأمون: فقمت في صدره فقلت : يا أمير المؤمنين تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر بطون قريش ، وبني هاشم ، ومن لا يعرف حسبه ونسبه خمسة آلاف دينار إلى ما دونها وتعطي موسى بن جعفر وقد أعظمته وأجللته مائتي دينار ؟! أخسّ عطية أعطيتها أحداً من الناس ؟ فقال : اسكت لا أُم لك ، فإني لو أعطيت هذا ما ضمنته له ، ما كنت آمنه أن يضرب وجهي غداً بمائة ألف سيف من شيعته ومواليه ، وفقر هذا وأهل بيت أسلم لي ولكم ![1]

الامام عبد ليزيد

عن الباقر (ع) إن يزيد بن معاوية دخل المدينة وهو يريد الحج ، فبعث إلى رجل من قريش فأتاه ، فقال له يزيد : أتقرّ لي أنك عبد لى إن شئت بعتك وإن شئت استرققتك ! فقال له الرجل ، والله يا يزيد ما أنت بأكرم مني في قريش حسباً ، ولا كان أبوك أفضل من أبي في الجاهلية والاسلام، وما أنت بأفضل مني في الدين ولا بخير مني ، فكيف أقرّ لك بما سألت !؟

فقال له يزيد : إن لم تقرّ لي والله قتلتك ، فقال له الرجل : ليس قتلك إياي بأعظم من قتلك الحسين بن علي ابن رسول الله (ص) ، فأمر به فقتل ! ثم أرسل إلى علي بن الحسين فقال له مثل مقالته للقرشي ، فقال له علي بن الحسين (ع) : أرأيت إن لم اقرّ لك أليس تقتلني كما قتلت الرجل بالامس ؟ فقال له يزيد: بلى ، فقال له

---

(١) البحار، ج ١١، ص ٢٧٠.

علي بن الحسين : قد أقررت لك بما سألت ، أنا عبد مكره فإن شئت فأمسك ، وإن شئت فبع !(١)

الغريب هنا ان العلامة المجلسي لم يكتف هنا بنقل هذه الملفات القذرة التي صنعتها أياد مأجورة لبني امية، بل راح يذبّ عن هذا الخبر وعن الاشكالات التي يمكن ان تورد عليه، واشار الى اشكال يورده المؤرخون على هذا الخبر مقتضاه ان يزيد لم يذهب للحج بل لم يخرج من حدود الشام طوال مدة خلافته.

وهذا صحيح، خاصة ان يزيد لم يكن يتاح له الذهاب الى مكة بسبب سيطرة عبدالله بن الزبير عليها. وكان عبدالله قد قصد مكة كما فعل الامام الحسين رفضاً للبيعة ليزيد غير ان الامام الحسين ترك مكة قاصداً الكوفة بينما بقي عبدالله مرابطاً في مكة متخذاً إياها مركزاً لقوته، وقد استلم الزعامة فيها من بعده أخوه مصعب، فكيف ومتى تمكن يزيد من الذهاب للحج ؟!

غير ان العلّامة المجلسي لم يقبل الاعتراف بحقيقة ان هذا الخبر مختلق، بل ذهب اكثر من ذلك الى تضعيف رأي المؤرخين بالرواية بدعوى ان كلام المؤرخ لا يمكن الركون إليه، وبذلك أبطل كل الادلة العقلية والنقلية التي تضعّف الخبر مدّعياً انه بذلك يندفع الإشكال عن الخبر، وليته اكتفى بذلك، ولم يتبرع بوجهة النظر العجيبة والاستنتاج الغريب الذي توصل إليه بخصوص الخبر المذكور. هذا الاستنتاج الذي أثار حفيظتي الى درجة كبيرة بحيث لم استطع تلك الليلة الخلود الى النوم حتى الصباح، وبقيت أتقلّب في الفراش كمن لدغته أفعى وأصيح في

---

(١) البحار، ج ٤٢، ص ١٣٨.

نفسي: ليس بإمام! ولا بوليّ. وليس ابناً للحسين وعلي وفاطمة ومحمد، لكنه رجل عربي من قريش!

... وأنت يا من تدعي ذلك، لا تكن عالماً ولا روحانياً ولا شيعياً ولا مسلماً، لكنك انسان! فكيف تتجرأ على اتهام الامام بهذه التهمة الوضيعة؟ وأنتم ايها العلماء الكبار! وفضلاء حوزة الامام الصادق ووعاظ شيعة اهل البيت، انتم يا حماة الدين والمذهب والولاية والعصمة لآل محمد، ايها المروّجون لمناقب الأئمة وكرامتهم وفضائلهم، يا من ورثتم حصيلة مئتين وخمسين عاماً من الجهاد المتواصل والشهادة من اجل الحرية والكرامة الانسانية (فترة ولاية الائمة الى حين الغيبة) والف عام من الكفاح المستمر للعلماء والكتاب والشعراء والمجاهدين في تاريخ الشيعة (ما بعد الغيبة). واذا كان جهاز الحكم للشاه سلطان حسين يشجع في الماضي هذا الطراز من الكتاب ويحوّلهم إلى ملالي رسميين ليكتبوا له الموسوعات الفقهية الشيعية على النحو الذي يرتضيه ويلبّي له طموحه، فما هو المبرر لسكوتكم اليوم؟! لماذا تتحملون هذه الإهانات الفظيعة للتشيع؟ وانتم ايها العلماء المفكرون الأحرار في الحوزة العلمية الشيعية لماذا تراعون حرمة تشيّع الشاه سلطان حسين، مَنْ الأجدر بمراعاة الحرمة: كرامة الملالي الصفويين أم كرامة الأئمة؟ والى متى تبقى المصالح الفئوية أهم من الحقائق الدينية؟

لماذا تحاربونني أنا حينما اكتب واثبت ان التشيّع هو اسلام الحقيقة بينما التسنن هو اسلام المصلحة وان الأول هو اسلام الرعية والثاني هو اسلام الحكام، وان الضمير العالمي اليوم بحاجة ماسة الى التشيّع بركنيه الأساسيين (العدل والامامة) وأن قرننا الحالي يبحث عن عليّ وان علي هو الصورة الأبهى لما ينبغي

ان يكون الانسان.. وان فاطمة أجلّ وأعلى بكثير من ان تكون مجرد ابنة خديجة والنبي محمد وزوجة علي وام الحسنين وزينب وان الامام الرابع هو إمام غير جبار وانما خاضع سجّاد متواضع يتحلّى باجلى صور العبودية (زين العابدين) وهو أول من حوّل الدعاء الى اسلوب جهادي فاعل في عصر سادت فيه الانهزامية والعجز المطلق.

وانتم تقرأون كل ذلك، ومع ذلك تشنّون عليّ حملات شعواء لأنني لا أضع علامة (ع) امام اسمائهم وذلك إهانة لهم!

ولا أدري حقاً هل هذه اهانة ام ان الإهانة تكمن في تسويق مثل تلك التهم والشائعات والأخبار المختلقة المسيئة الى الأئمة والتي تخدم فقط توجهات اجهزة الدعاية الاموية والعباسية، والخرافات المشينة والافتراءات التي يصنعها اعداء الاسلام الحاقدون عليه وعلى اهل البيت بالذات وعلى كل انسان خيّر يدعو الى اقامة العدل وسيادة الحرية وترسيخ دعائم المنهج الشيعي الحق، فلماذا تعلنون الحرب عليَّ وعلى أمثالي بينما تقدّسون هؤلاء وترفعونهم الى مستوى الامام الثالث عشر والمعصوم الخامس عشر!

دعونا من ذلك! فربما ما زالت ثمة مصالح خاصة تقتضي ان يبقى التشيّع الصفوي هو الحاكم على ضمير الامة وعقلها الجمعي ووجدانها وذلك بغية عزل المجتمع الشيعي عن (أتباع) محمد وعن (اتّباع) علي، ولعلّ حرمة رؤوس الطائفة وحفظ مناصبهم أهم في نظر البعض من حرمة الإمام وصيانة الحقيقة الدينية، ولكنني أعْلن هنا باسم جميع المفكرين الأحرار وأمام جميع المفكرين المؤمنين بالمناهج اللادينية بأن منهج عليّ قادر على جعلنا في غنىً عن اي ايديولوجية اخرى في مضمار العمل من أجل تحقيق العدالة والإمامة والتقدم على الاصعدة

العلمية والاجتماعية والانسانية وفي إرساء رؤية ثورية تحررية بمستوى الحياة المعاصرة وتحدّيات العصر الحالي ومتطلبات الزمان.

وأؤكد أيضاً بأن شخصية الائمة وسيرة حياتهم ومنهجهم في الفكر والسلوك هي مصداق عيني لمفاهيم سامية من قبيل الجهاد والشهادة والحرية واحترام العلم ومداراة الناس ومقاومة الظلم والتميز والجهل والخرافة والتخدير. وأرفع صوتي بالاعتراض على المفكرين الأحرار من علماء التشيّع العلوي مطالباً اياهم بالاعتراض على الوضع القائم وعدم مراعاة المصالح (الخاصة). لماذا لم يبذلوا أي جهد يذكر خلال القرنين الماضيين ـ حيث كانت لديهم الفرصة وعليهم المسؤولية ـ في انقاذ المجتمع الشيعي من هذا الوباء وتنقية الوجدان العام للأمة وصيانة كرامة الشيعة وحفظ ماء وجه التشيّع وتحطيم الأصنام التي أحاطت نفسها بهالة قدسية زائفة. كان عليهم ان يفعلوا ذلك مهما كان الثمن أسوة بأناس عاديين نراهم اليوم يضحون بكل شيء من اجل المباديء التي يؤمنون بها وهي مباديء وضعية مادية يواجهون الموت من أجلها. وليعلم هؤلاء العلماء انهم الآن شاؤوا ام أبوا ـ بمثابة النافذة التي يتطلع منها المستشرقون وعلماء السنة وحتى المثقفون الشيعة الى معرفة حقيقة المذهب الشيعي. ولا شك انهم والحاله هذه لن يروا سوى ما سطّرته اقلام علماء التشيّع الصفوي في الكتب الشيعية المقدسة من قصص مشينة تسيء الى التشيّع ومن خطب وأشعار ملحمية في التملّق للسلاطين واذنابهم. فيقرأ هؤلاء المساكين ان اماماً من ائمة الشيعة له ولاية على جميع الكائنات وهو افضل من كل الأنبياء وهو بالغ لمرتبة العصمة ومظهر لعلم النبوة ومع ذلك كلّه فهو يتذلل الى جلّاده كي يخرجه من السجن ويجود عليه بالحرية، وآخر يستغيث بأعدائه ويستعطفهم لكي يتصدقوا عليه بشيء من الماء، وثالث

يلتمس من الخليفة مساعدة مادية مؤكداً له بأن عيون أهله وأولاده ترنو الى كرم الخليفة وجوده، والرابع إمام عليل يقرّ ليزيد اقراراً بالرقّية لكي تسلم رقبته في حين يترفّع عن ذلك رجل قرشي مغمور ويأبى الإقرار ليزيد بذلك حتى وان كلّفه حياته!

واليكم نصّ التعليق الذي أورده العلامة المجلسي في كتابه (البحار) دفاعاً مستميتاً عن الرواية الآنفة الذكر، يقول:

ثم اعلم أن في هذا الخبر إشكالاً وهو أن المعروف في السير أن هذا الملعون (يزيد) لم يأت المدينة بعد الخلافة، بل لم يخرج من الشام حتى مات ودخل النار، فنقول: مع عدم الاعتماد على السير لا سيّما مع معارضة الخبر، يمكن أن يكن اشتبه على بعض الرواة، وكان في الخبر أنه جرى ذلك بينه (ع) وبين من أرسله المعلون لأخذ البيعة وهو مسلم بن عقبة.[1]

ثلاثة أشهر ونصف وأنا أتلوّع من حين قرأت هذا الخبر والتعليق عليه في البحار والذي كان وقعه عليّ مثل الصاعقة، وكنت من يومها الى الآن بين هاجسين: الأول في كيفية نقلي هذا الخبر ولو في مقام الدفاع عن الإمام السجاد وكيف يتسنى لقلم آلّف كتاب (منهج السجاد) ان ينقل رواية تسيء للإمام السجاد بهذه الدرجة حتى لو كان النقل من اجل تبرئة ساحة الإمام من التهم والافتراءات الواردة في الرواية المذكورة واثبات أن هذه الروايه وامثالها انما هي تهمة سياسية أموية حتى وان وردت على شكل رواية في موسوعة معارف شيعية (معتبرة)!

---

(١) البحار، ج ٤٢، ص ١٣٨.

والهاجس الآخر الذي كنت أعيشه هو انني اذا كنت عازماً على التعرض للعلّامة المجلسي فيجب ان استعدّ أولاً للبلاء وخوض معركة موت وحياة، وتردّدت في البدء بين حرمة العلامة المجلسي وحرمة الإمام، وفي النهاية اتخذت قراري بترجيح الثاني مهما كلّف الأمر. ثم انه ليس لديّ شيء أخشى ان أفقده، فعلام التردد والسكوت؟!

اخيراً، ربما تسأل ـ عزيزي القاريء ـ عن سرّ هذا التضادّ في نحوَي التعريف بالإمام، لماذا يكون الامام في السماء بمرتبة الإله ويتمتع بنفس الولاية الإلهية على الكائنات؟ ولماذا هو في الأرض خادم ذليل للخليفة يخضع له في كل شيء؟ لماذا يصرّ التشيّع الصفوي على رسم صورة مشوهة ومتدنية لا تليق بانسان عادي ومن ثم ينسبها لأئمة الشيعة العظام المعصومين والذين تتجلى فيهم مظاهر الدعوة للعدل والحرية بأبهى صورها وكانوا على مدى التاريخ هم القدوة والأسوة في الجهاد الشامل والمتواصل ضد سلطات الجور والظلم وراحوا جميعاً في هذا الطريق ما بين مقتول ومسموم! امام الشيعة هو الشخص الذي يأخذ بتلابيب الخليفة المتجبّر ويطالبه بارجاع فدك... وأمام الشيعة هو ذلك الرجل الحرّ الذي لا يقبل المداهنة ولا المساومة على الحق والذي يغيظه مجرد ان يسمع بأن أحد أصحابه قد اقدم على عمل يمكن ان يكون مصداقاً لإعانة الظلمة.

وبدلاً من ان أجيبك على هذا التساؤل المشروع أرى من الأفضل ان اقتصر على إيراد نص مأثور من كتاب معتبر ومشهور عند التشيّع الصفوي، وهو مقدمة كتبها بنفسه العلامة المجلسي ـ صاحب كتاب بحار الأنوار ذائع الصيت ـ على كتاب الدعاء المعروف (زاد المعاد) المؤلف أساساً من أجل تزكية نفس الانسان وتربية روحه على العبودية الخالصة لله وحده!

مقدّمة كتاب (زاد المعاد)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل العبادة وسيلة لنيل السعادة، في الآخرة والأولى، والصلاة على سيد الورى محمد وعترته ائمة الهدى. اما بعد فان العبد الخاطيء محمد باقر بن محمد تقي عفى الله عن جرائمهما يدوّن على ألواح الأرواح الصافية للأخوة الايمانيين والأخلّاء الروحانيين ان جناب الحضرة القدسية للباري تعالى شأنه جعل الصوم والصلاة والدعاء والعبادات اقصر الطرق واشرفها لنيل السعادات وهداية التائهين في وادي الجهالة والضلالة، وقد وردت أعمال وأدعية جمة عن رسول الله وائمة الهدى (صلوات الله عليه وعليهم اجمعين) تزخر بها كتب الأدعية، وانا الداعي خادم اخبار الائمة الأطهار عليهم صلوات الملك الغفار قد جمعت اكثرها في كتاب بحار الأنوار، غير ان اكثر الناس لا يتيسّر لهم الاطلاع على ما في هذا الكتاب (ضخم جداً) والعمل بجميع ما فيه نظراً لانشغالهم بانواع الهموم الدنيوية، لذا قرّرت تجميع خلاصة منتخبة من اعمال السنة وفضائل الايام والليالي الشريفة وأعمالها في هذه الرسالة لكي يتسنى لعموم الناس الاستفادة منها ولعلّهم يذكرون هذا العبد المذنب بدعاء أو استغفار، وأسميتها بـ (زاد المعاد) عسى الله ان يهدينا واياهم الى سبيل الرشاد، ونظراً لأن إتمام هذه الرسالة وانجازها على عجالة تمّ في زمان دولة العدالة وأوان سلطنة السعادة صاحب الحضرة العليا سيّد سلاطين الزمان ورئيس خواقين العصر، شيرازة أوراق الملة والدين وصفوة أحفاد سيّد المرسلين، الماء والخضراء للبستان المصطفوي وعين وسراج البيت المرتضوي،

السلطان الذي خدمه كثير جمّ والخاقان الذي الملائكة له حشم، سليل الشجاعة ومن سيفه البتار نهر جارف لرؤوس الكفار نحو دار البوار، وحسامه الحارق، كالنار يهوي على بيدر المعاندين والمخالفين مصداقاً لقوله تعالى (يرسل عليهما شواظ من نار)، من ترتفع ايدي الداعين له بمزيد الرفعة في بلاطه العالي البنيان، وتلهج ألسنة أرباب التصوف يزمزمة الدعاء له بخلود دولته، تعينها على ذلك طيور العندليب الشامخة عل أغصان سدرة المنتهى، والكل له داعٍ بان يزلزل الله كل سيف يشهر ضده في يد صاحبه، ويجعل كل راية نفاق مرفوعة بوجهه كفناً لرافعها وحاملها... يا من جبين غضبه يفكّ العقد التي لا تحلّ، وراحة يده الكريمة سحاب مطر على مزارع الآيسين، مؤسس قواعد الملة والدين، مروّج شريعة الآباء الطاهرين، ومَنْ حياض بلاطه تفيض من كثرة تقبيل شفاه سلاطين الزمان وخواقين العصر، ومن صرحه الممرّد مطرز بنداء (قد مسّنا الضر ايها العزيز) اعني السلطان الأعظم والخاقان الأعدل الأكرم، ملجأ الاكاسرة، وملاذ القياصرة محيي مراسم الشريعة الغراء، ومشيّد قواعد الملّة البيضاء، السلطان بن السلطان، والخاقان بن الخاقان، الشاه سلطان حسين الموسوي الحسيني الصفوي بهادر خان، لا زالت رايات دولته مرفوعة، وهامات اعدائه مقموعة..

ومن هنا فاني اقدّمها هديّة لحضرته الشريفة رجاء ان يتقبلها بعه الأشرف، وينتفع بها صاحب السمو والجلالة بمحمد وآله الطاهرين، والله والموفق والمعين!

نصرانية الغرب والتشيّع الصفوي؛ الافرنجي في كربلاء!

من القضايا الواضحة وجود نحو ارتباط بين الصفوية والمسيحية حيث تضامن الاثنان لمواجهة الامبراطورية الاسلامية العظمى التي كان لها حضور فاعل على الصعيد الدولي ابان الحكم العثماني وشكلت خطراً جدّياً على اوربا. وقد وجد رجالات التشيّع الصفوي انه لابدّ من توفير غطاء (شرعي) لهذا التضامن السياسي فعملوا على تقريب التشيّع من المسيحية. وفي هذا الاطار عمد الشاه الصفوي الى استرضاء المسيحيين من خلال دعوتهم للهجرة الى ايران. وقد شيّد لمسيحيي (جلفا) مدينة مستقلة قرب العاصمة وأخذ يتودّد إليهم ويصدر بيانات وبلاغات رسمية يعلن فيها عن تمتّعهم بحماية تامة وحرية كاملة في ممارسة طقوسهم الدينية. ومن جهته سعى رجل الدين الصفوي الى تجميل صورة بعض الشخصيات المسيحية وإقحامها في المشاهد التمثيلية التي تقام احياءً لذكرى عاشوراء. من ذلك ان رجلاً كرواتياً يحضر احد هذه المشاهد فيتأثر بالمناخ الحزين فيقتحم المكان ببدلته الأنيقة ونظاراتيه ويهاجم معسكر يزيد وأنصاره ويواسي الحاضرين بأجمل مواساة. بحيث ما أن يراه الناظر حتى يتيقن بأن كلب هذا المسيحي الافرنجي أطهر من (السنّة) الذين قتلوا الحسين (ع). ولا شك ان مُخرج المشهد المسرحي لا يريد غير ذلك![1]

---

(١) خاصة اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان رجال التشيّع الصفوي كانوا وما زالوا يحاولون ان

ظاهرة الاغتراب لدى الشيعة

استطاعت الصفوية ان تنتشل الوجود الشيعي من قعر السجون والمطامير وترفعه الى سدة الحكم والخلافة ليحتلّ موقعاً متقدماً في المسرح السياسي للمجتمع، والى ذلك الوقت كان الشيعة في ايران أقلية مضطهدة لم تتبلور لها في يوم من الايام هوية اجتماعية مستقلة ولم يقم لهم نظام حكم وسلطان إلا في قاطع محدودة ومتفرقة مثل حكومة آل بويه والسربدارية، ولم يكن يتاح للشخصية الشيعية ممارسة طقوسها المذهبية بحريّة، وكان الشيعة لا يزاولون هذه النشاطات إلا خلف حجاب التقية، وليس لديهم تجربة في العمل السياسي الجماعي وتنظيم المظاهر الاجتماعية العلنية، أما الآن فان النظام الصفوي يحتاج الى مثل هذه الأمور ولابد من عمل شيء ليسهم في تحقيقها وما أسهل ذلك، فلقد استحدث منصب وزاري جديد باسم وزير الشعائر الحسينية، وقد قام هذا الوزير بجلب اول هدايا الغرب لايران وذلك في غضون القرنين السادس عشر والسابع عشر، وكان هذا أول تماس حضاري بين ايران والغرب لا كما يقال من ان هذا الارتباط والتماس حصل

↔ يصوروا لبسطاء الناس ان السنة هم جميعاً من النواصب ـ أو الوهابيين في عصرنا هذا ـ والنواصب طائفة منبوذة تكنّ العداء لآل علي؛ الأمر الذي ينجم عنه أن الايرانيين تنتابهم الدهشة كثيراً عندما يذهبون هذه الايام الى مصر مثلاً ويطلعوا على الكتب المؤلفة هناك بحق اهل البيت، والتي قد نعدم لها نظيراً في ايران، ويروا مدى الحفاوة والتكريم اللذين يوليهما المصريون لمرقد السيدة زينب ـ حيث يحتملون ان زينب الكبرى اخت الامام الحسين مدفونة هناك ـ حينئذ يجد الايراني نفسه مستغرباً جداً من ما يزعمه الصفويون بان جميع السنة يعادون اهل البيت وينكرون فضائل علي وهم الذين قتلوا الحسين وأسروا زينب!

على انه في مقابل ذلك فان التسنن الأموي يفعل الشيء ذاته فيصوّر لبسطاء السنّة ان الشيعة جميعهم من الغلاة الذين يشركون بالله من خلال تأليه علي!

في القرن التاسع عشر من خلال استيراد المطابع والصحف والمؤسسات والشخصيات الثقافية كدار الفنون وحاجي امين الضرب وأمير كبير.

ذهب وزير الشعائر الحسينية الى اوربا الشرقية وكانت تربطها بالدولة الصفوية روابط حميمة يكتنفها الغموض ـ واجرى هناك تحقيقات ودراسات واسعة حول المراسيم الدينية والطقوس المذهبية والمحافل الاجتماعية المسيحية واساليب احياء ذكرى شهداء المسيحية والوسائل المتبعة في ذلك حتى انماط الديكورات التي كانت تزين بها الكنائس في تلك المناسبات. واقتبس تلك المراسيم والطقوس وجاء بها الى ايران حيث استعان ببعض الملالي لاجراء بعض التعديلات عليها لكي تصبح صالحة لاستخدامها في المناسبات الشيعية وبما ينسجم مع الأعراف والتقاليد الوطنية والمذهبية في ايران، ما ادى بالتالي الى ظهور موجة جديدة من الطقوس والمراسم المذهبية لم يعهد لها سابقة في الفلكلور الشعبي الايراني ولا في الشعائر الدينية الاسلامية ؛ ومن بين تلك المراسيم النعش الرمزي والضرب بالزنجيل والاقفال والتطبير واستخدام الآلات الموسيقية واطوار جديدة في قراءة المجالس الحسينية جماعة وفرادى، وهي مظاهر مستوردة من المسيحية بحيث يوسع كل انسان مطلع على تلك المراسيم ان يشخّص ان هذه ليست سوى نسخة من تلك!

تتضمن مراسم العزاء المسيحي تمثيل حياة شهداء الحركة المسيحية الأوائل واظهار مظلوميتهم وطريقة قتلهم بواسطة حكام الجور والشرك وقياصرة الروم وقوّاد جيشهم وكذلك التطرق لسيرة الحواريين ومأساة مريم وبيان فضائلها وكراماتها ومعاناتها، والأهم من ذلك تجسيد مأساة عيسى المسيح والوان التعذيب الذي لاقاه سواء من قومه (اليهود) أو من الحكام الظلمة (القياصرة). كل ذلك تحت عنوان (Passions) أي المصائب، وهو مصطلح يطلق على مجموع هذه المراسيم

التي اقتبسها الصفويون وأدخلوها الى التاريخ الشيعي لتصبح جزءاً من الهوية الشيعية وتستخدم في تجسيد المصائب التي تعرض لها اهل البيت والزهراء (ع) والامام الحسين واهل بيته وأصحابه.

جدير ذكره ان مراسيم اللطم والزنجيل والتطبير وحمل الأقفال ما زالت تمارس سنوياً في ذكرى (استشهاد) المسيح في منطقة (Lourder)، وعلى الرغم من ان هذا المراسيم دخيلة على المذهب وتعتبر مرفوضة من وجهة نظر اسلامية ولم تحظ بتأييد العلماء الحقيقيين بل ان كثيراً منهم عارضوها بصراحة لأنها لا تنسجم مع موازين الشرع، مع ذلك فانها ما زالت تمارس على قدم وساق منذ قرنين أو ثلاثة، ممّا يثير الشكوك اكثر حول منشئها ومصدر الترويج لها، ويؤكد ان هذه المراسيم تجري بارادة سياسية لا دينية وهذا هو السبب في ازدهارها وانتشارها على الرغم من مخالفة العلماء لها ؛ وقد بلغت هذه المراسيم من القوة والرسوخ بحيث أن كثيراً من علماء الحق لا يتجرأون على اعلان رفضهم لها ويلجأون الى التقية في هذا المجال!!

وتجدر الاشارة الى ان الكثير من المباشرين لهذه الأعمال يدركون جيداً موقف العلماء الحقيقيين منها، ولكنهم يقنعون انفسهم بان هذه الاعمال خارجة عن نطاق الشريعة وداخلة في نطاق الحبّ الذي لا يلتزم كثيراً بالقيود والضوابط، حتى قيل ان احدهم واجه احد العلماء بالقول اننا نصغي الى أقوالكم احد عشر شهراً في السنة ولكن عليكم في هذا الشهر (محرم) ان تصغوا انتم الى أقوالنا؟!

وقد اخترعوا من انفسهم اسطوانات جديدة يكررونها لاقناع بل خداع انفسهم قبل غيرهم فيقولون مثلاً ان هذا العمل لا يندرج تحت قائمة المستحب والمكروه أو الحلال والحرام، انه جنون حب علي والحسين، حب الحسين اجنني،

عاشوراء أغلت دماءنا. وَدَدْنا لو نحرق انفسنا بأيدينا. ان حساب الحسين غير حساب الله والدين والاحكام الشرعية. ولو أن الله سبحانه تعالى ألقانا في جهنم عقوبة على حب الحسين فما أشوقنا الى نار جهنم! الى غير ذلك من الجمل والعبارات التي ان دلّت على شيء فانما تدلّ على فقر اصحابها منطقياً وعدم امتلاكهم الحجة الشرعية لتبرير افعالهم غير المنسجمة مع المعايير الدينية والاسلامية والشيعية.

واضح جداً، ان هذه اللغة هي لغة التصوف وان هذه المشاعر والاحاسيس هي مشاعر غلوّ وإفراط نجمت عن اعمال الدراويش ومبالغات الخطباء والشعراء، وكل هذه المظاهر تستمدّ وجودها بين عصب صفوي يغذّيها وينفخ فيها من أجل تضخيمها يوماً بعد يوم.

انني اعتقد ان ما هو معروف اليوم من ان العلماء المجتهدين وفقهاء الشيعة يستنكفون من ارتقاء منبر الخطاية والتبليغ ويتجنبون الدخول في احاديث التكايا والمحافل الاجتماعية الدينية، يعود الى إدراكهم لحقيقة ان هذه المظاهر هي مظاهرة صنيعة للحكم الصفوي وان هذه المنابر كانت تستمدّ قوتها من الموقف السياسي لا الموقف الديني، والدليل على ذلك ان هذه المراسيم عادة ما تنطوي على افعال وممارسات لا تنسجم مع شرع أو سنّة. فبرغم القدسية التي يكنّها الانسان المسلم والشيعي على وجه الخصوص للأئمة واهل بيت النبي وخاصة نساء آل البيت نجد ان مراسيم التشبيه تنطوي على اساءات صارخة من قبيل ان رجلاً يمثل دور سكينة أو زينب، كما يتم استخدام الموسيقى على نطاق واسع رغم ما فيها من كراهة أو حرمة لدى العلماء، ولا شك ان هذه المظاهر مقتبسة من النصارى، حيث توجد لديهم ممارسات وطقوس دينية مماثلة من قبل (الرجال السبعة) [7 mysteres] أو

(الميراكل) [Miracles] مضافاً الى تشبيع رمزي لنعش عيسى مصلوباً وهبوطه وعروجه ونحو ذلك.

أما النوائح التي تؤدى بشكل جماعي فهي تجسيد دقيق لمراسيم مشابهة تؤدى في الكنائس ويطلق عليها اسم (كر) كما ان الستائر ذات اللون الأسود التي توشح بها ابواب واعمدة المساجد والتكايا والحسينيات وغالباً ما تطرز بأشعار جودي ومحتشم الكاشاني هي مرآة عاكسة بالضبط لستائر الكنيسة. مضافاً الى مراسيم التمثيل لوقائع وشخصيات كربلاء وغيرها حيث تحاكي مظاهر مماثلة تقام في الكنائس أيضاً وكذلك عملية تصوير الاشخاص على رغم كراهة ذلك في مذهبنا. حتى هالة النور التي توضع على رأس صور الائمة واهل البيت هي مظهر مقتبس ايضاً وربما امتدت جذوره الى طقوس موروثة عن قصص ايزد ويزدان وغيرها من المعتقدات الزرادشتية في ايران القديمة.

كل هذا المراسيم والطقوس الاجتماعية والعرفية هي صيغ مقتبسة مما هو عند النصارى في اوربا. وقد بلغت هذه الظاهرة حداً من السذاجة ان الاقتباس يتم بصورة حرفية دون ادنى تغيير. حتى ان بعض المظاهر تنطوي على رفع علامة الصليب. وقد انطلت هذه المسألة على الصفويين فاستوردوها من هناك وجاءوا بها الى ايران كما هي. ولذلك نرى ان بعض الجوقات يتقدمها ما يسمى بـ(الجريدة) وهي شيء يشبه الصليب وكان بعينه يستخدم في جوقات العزاء المسيحية ولا يعرف احد مغزى ذلك من بسطاء الشيعة حتى حاملو هذه (الجريدة) لا يدركون السبب في حملهم اياها. ولكن مع جهل الجميع بماهية (الجريدة) ومعناها وفلسفة حملها فان جميع المشتركين في الجوقة يعتقدون ان شأنهم واعتبارهم رهين بهذه (الجريدة) ومدى الاهتمام بها حتى ان معارك ومشادّات تحصل من اجل ان يحظى

الافراد بشرف حملها وتتسابق الجوقات في تزيين جريدتهم بحيث تبدو اكبر واجمل واثقل! يجدر الاشارة الى ان (الجريدة) ليست تقليداً للصليب بالشكل فحسب بل ان اسمها كذلك يعود تاريخياً الى اسم الصليب وقد جاء معها من اوربا الشرقية وذلك ان كلمة (جريدة) لا مفهوم لها لا في الفارسية ولا في العربية[1]، وهذا الكلام ينسحب على سائر الديكورات والازياء والستائر التي جاءت جميعاً من اوربا الشرقية وايطاليا على وجه الخصوص حيث مركز الكنيسة الكاثوليكية. ونظراً لأن المساجد لم تكن مكاناً مناسباً لقبول مثل هذه البهارج فقد استحدث بناء جديد يطلق عليه اسم (التكية) واصبح فيما بعد مركزاً لتسويق مثل هذه الأمور الغريبة على الدين والمذهب.

الخوف من المساجد

تعدّ المساجد في الإسلام مظهراً من مظاهر الاتحاد الطبقي لابناء المجتمع وحتى المجتمعات الاسلامية التي حافظت على نوع من النظام الطبقي. ظل المسجد فيها يمثل المركز المضاد للتوجه الطبقي وكان مكاناً تذوب فيه كل الحدود والفواصل الطبقية وتنهار فيه السدود القائمة بين الشرائح المختلفة للمجتمع الواحد، وتتجسد فيه مظاهر الوحدة والوئام والانسجام وذوبان الفرد في المجتمع.

لقد عكف النبي بنفسه على رسم الخطوط العريضة للنسق الاجتماعي الذي يسهم المسجد في بنائه وحفظه، وحرص على ان يكون المسجد هو المحور الذي تدور عليه عجلة الاسلام والمجتمع المسلم ما أدى بالتالي الى ان يضطلع المسجد

---

(١) اتصور ان كلمة (جريدة) هي التلفظ الفارسي لكلمة (جروئيدة) و (Croix) يعني الصليب في اللاتينية حيث ان حرف ال(c) في اللغة اللاتينية يلفظ جيماً.

بمكانة مرموقة وهامّة في نفوس المسلمين بحيث اضطرت الانظمة الاستبدادية اللاحقة من بني امية وبني العباس والغزاونة والسلاجقة وغيرهم الى مداراة هذا الامر وعدم التعرض له برغم كل مظاهر الانحراف التي تسللت الى داخل المجتمعات الاسلامية بواسطة هذه الانظمة. غير ان المسجد ظل يتمتع بمكانته ولم يتمكن الطواغيت من مسخ هويته ما جعل بعضهم يعمدون الى استحداث شيء جديد بنوه الى جوار المسجد واطلقوا عليه اسم (الخانقاه) وذلك لصرف الانظار ما أمكن عن مركز الاشعاع الحقيقي في المجتمعات الاسلامية. وقد بلغ الحرص على تشييد الخانقاهات درجة ان العصر السلجوقي اطلق البعض عليه تاريخياً مصطلح (عصر الخانقاه). وممّا يدلّ على ان الخانقاه انما استحدث لأجل التقليل من شأن المساجد ان طغرل وجنكيزخان الذين حوّلوا المساجد الى اسطبلات لخيولهم كانوا يبدون اهتماماً خاصة بما يسمى بالخانقاهات ويكرمون المشرفين عليها ويقدّمون لها النذور والهدايا ويقيمون فيها الولائم والاحتفالات ويستقبلون فيها الوفود والشخصيات الوافدة من مختلف انحاء العالم.

اما المساجد فأصبح حالها حال العالم الكبير الذي يفد ضيفاً على قرية نائية إذ لا ريب في ان اهل القرية سيكرمونه اكراماً ظاهراً ويذبحون له الذبائح ويحتفون بقدومه عليهم. ولكن أحداً منهم لن يقترب منه للاستفادة من قدراته العلمية وما يمتلكه من رصيد علمي. هكذا كانت المساجد في عهد الطغيان. بناء فخم وزخارف بديعة وقناديل وسجّاد وفسيفساء. ولكن كل ذلك من اجل الثواب فقط. اي ان المسجد مفيد للآخرة فقط ولا شأن له بالحياة. فالمسجد (بيت الله) وليس (بيت الناس)! ومن ثمّ تحوّل بيت الله الى ما يشبه المعابد الأخرى لدى الوثنية والمزدية واليهود والمجوس والنصارى الذين كانت كنائسهم على وجه الخصوص

في غاية الأبهة والجلال.

لقد كانت قوى الطغيان مضطرة الى الاهتمام بالمسجد على النمط المذكور اعلاه. الاهتمام بها ظاهراً وهجرها وتركها من حيث المضمون. ولكن كيف يتم الجمع بين هذين الأمرين المتضادين ؟!

لقد فسروا كلمة التعمير في قوله تعالى ﴿انما يعمر مساجد الله من آمن بالله ...﴾ بمعناها في اللغة الفارسية وهو الترميم والإصلاح. وليس بمعناها الحقيقي والمراد منه هو جعلها عامرة ومأهولة بالرواد ومصدراً للاشعاع والعطاء الحيّ ومحوراً لحركة الحياة الاجتماعية. ولقد حوّلوا المساجد إلى متاحف تتضمن كل انماط التزويق والزخرفة وأصبح ثَمّ نوع من التنافس على تزيين المساجد بين ابناء المدن المختلفة أو الطبقات والشرائح الاجتماعية. وأصبح المسجد مركزاً للتفاخر والتحاسد واظهار القدرة على التفنّن والابداع الفني وليس مركزاً لإثارة قلوب الاصدقاء واثارة الغيظ في قلوب الأعداء.

والمشكلة ان العوام لا تريد اكثر من ذلك. فهي تتصور بذلك انها أرضت الله سبحانه ولم تسخط غيره من الأرباب! فبيت الله معمور والاسلام بخير وماذا يريد المسلم أكثر من ذلك ؟! لقد اصبح الآن لدينا مسجد الحمراء والمسجد الأموي ومسجد شاه ومسجد الشيخ لطف الله وكل شبر من هذه المساجد المجصّصة والمطلية بالفسيفساء. يعادل مسجد النبي في المدينة ويتفوق عليه!

انظروا الى أي مدى تراجع الاسلام واضمحل الايمان لدى المسلمين؟ المسجد الذي يأبى الاسلام عن تزيينه بات الآن متحفاً مزيناً بالذهب والمجوهرات، وروح الاسلام تسلّلت من بين الطابوق والآجر والقناديل ذات الاربعين شعلة. لتحلّ محلّها روحانية الأديان الاخرى ورهبانيتها. ولم يتمكن

صاحب البيت الجديد من التعايش مع صاحب البيت القديم (الله) ولا أسرته (الناس) فأخرج الاثنين وبقي وحده بديلاً عنهما وانتحل صفة الوسيط بينهما واخذ يتحدث بالنيابة عن الاثنين، يخاطب الله بلسان الناس ويخاطب الناس بلسان الله. هذا هو عمله الوحيد والمسجد هو محل العمل الجديد.

ان المسجد الذي كان في عصر النبي مؤسسة ذات ثلاثة ابعاد البعد الديني (معبد) والبعد التربوي (مدرسة) والبعد السياسي (برلمان) وكل واحد من الناس عضو فيه، أصبح الآن قصراً فخماً ولكن بلا أبعاد!

مع ذلك كلّه، كانت الحكومات دائماً سواء قبل الصفوية أو بعدها تتهرب من المساجد وتتخوف منها، والتاريخ يعطيها الحق في ذلك. لأن المساجد ظلت دائماً هي مصدر الثورات والانقلابات، حتى حركة المشروطة في ايران انظروا اليها تجدوا دور المسجد واضحاً في بلورتها.

احد اصدقائنا من الطلاب الايرانيين في فرنسا جعل محور رسالته للدكتوراه تحت عنوان (دور المسجد في التحولات التاريخية والسياسية). وذلك لأن المسجد قبل ان يحوّلوه الى معبد مهجور ويشلّوا دوره في الحركة الاجتماعية تحت ذريعة ان الكلام الدنيوي في المسجد حرام! كان مركزاً للغليان الشعبي والاجتماعي وقلباً نابضاً في جسد المجتمع المسلم يَهَبُهُ الحركة والنشاط والحياة! وهذا ما اراده النبي ان يكون عليه وقد استمر هكذا ولم يكن مجرد محل للعبادة كالأديرة والكنائس ومعابد النار، لقد كان في الوقت ذاته مدرسة وجامعة لتداول العلوم ومكاناً لمناقشة أوضاع الساعة وبحث القضايا ذات العلاقة بمستقبل الأئمة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وعسكرياً، وكان ايضاً بمثابة برلمان شعبي يلتئم فيه مختلف أصناف الناس من مختلف الشرائح الاجتماعية لممارسة الحوار المفتوح بحرية تامة و(هايد

بارك) حقيقي لتبادل وجهات النظر وسماع الأصوات المتباينة من على منبر حرّ لا قيود فيه ولا تمييز. فالبيت بيت الله والناس عياله ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

وهذا هو الذي جعلني اصف المسجد في كتاب (معرفة الاسلام) بأنه معبد المسيح واكاديمية افلاطون ومجلس أعيان روما. والمسلمون كانوا يتجهون الى المسجد تلقائياً وبشكل غريزي بمجرد حدوث طارىء يستحق ان يجتمعوا من أجله. وهكذا استمر مركزاً لكل الحركات الاجتماعية المهمة طوال التاريخ الاسلامي. وهذا هو بعينه السبب في ان الحكومات المتعاقبة كانت تخشى المسجد وتأخذ منه دائماً جانب الحيطة والحذر والتوجس. ولأنها لم تكن قادرة على غلق ابواب المسجد سعت الى الالتفاف عليه من خلال تفريغه من محتواه الحقيقي وتجريده من واجباته ومسؤولياته شيئاً فشيئاً والعمل على تقليل اهميته في عيون الناس. ومن هنا فقد عمدت الحكومات السنّية قبل مجيء الصفوية الى تشييد الخانقاهات والاكثار منها وتوجيه الانظار نحوها على حساب المساجد. وقد اختار الصفويون نفس المنهج وساروا على خطى اسلافهم ولكنهم أبدلوا الخانقاهات بالتكايا. نعم، كان الصفويون ذوي نزعة صوفية وكان التصوف احد الأبعاد الثلاثة للتشيع الصفوي، ولهذا ظلوا يولون اهمية خاصة للخانقاهات وحافظوا على حرارتها. غاية الأمر ان الخانقاه أصبح مكاناً للخواص بينما التكايا صارت مكاناً العوام. وظل المسجد قصراً فخماً ولكنه خالٍ ومهجور!

التقليد والعزاء

لعلّ من الضروري الاشارة هنا الى ان النقد الذي سنوجّهه الآن لا ينصبّ

على أصل التقليد ولا على اصل العزاء!

فالتقليد اذا كان عن وعي وخاضعاً لمنطق ينسجم مع الاسس والمبادىء العقائدية والمتطلبات الاجتماعية، فدون شك هو مظهر رقيّ حضاري، وهو مظهر من مظاهر التعلم والتعليم يساهم في رفع مستوى الفهم والاطلاع لدى المقلد. وما نؤمن به اليوم من ضرورة اقتباس التجارب الغربية والتقنيات الجديدة والعمل بها في شؤون الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية بل وفي مجال الدراسات الاسلامية ونشر الافكار والعقائد الدينية والثقافية، انما ننطلق به من هذا الفهم والادراك لأن التقليد بحدّ ذاته ليس أمراً مرفوضاً بل هو مطلوب اذا توفر على الشروط الصحيحة.

ان أكثر المثقفين الملتزمين ممن لهم اطلاع بواقع عالمنا المعاصر ولهم تماسّ مباشر مع المجتمع، ويفكرون بالدين تفكيراً واعياً. هم الآن في صدد اقتباس الوسائل الاعلامية والتثقيفية كالتلفاز والمسرح والسينما من الغرب وتوظيفها في خدمة الدين والفكر والثقافة الاسلاميّين. وذلك ليتاح لهم توسيع دائرة الدعوة مساحة وعمقاً وجعلها تنسجم مع الظرف الزماني الراهن، وتلك محاولة حضارية راقية تعبّر عن التقليد بشكله الايجابي الواعي، اما التقليد الذي يستحق الادانة والشجب فهو التقليد الأعمى الذي تبنّت الصفوية الترويج له وترسيخ مفاهيمه في الأوساط الاجتماعية على رغم كونه لا يتّسق مع روح الشريعة الاسلامية ولا التوجه العام للمذهب الشيعي على وجه الخصوص، بل ربما كان في تضادّ سافر معها، وهذا ما يمكن لمسه بوضوح على صعيد بعض الممارسات الدينية والطقوس والشعائر التقليدية التي يزاولها البعض ومن شأنها ان تشعل فتيل الفرقة والخلاف وتؤدي الى تشرذم المجتمع سياسياً باسم الدين والمذهب. وكل هذه الممارسات

الفئوية تسهم في تأجيج المشاعر المتطرفة دون ان يكون لها أي دور ايجابي في رفع مستوى الوعي والفهم للأمور لدى الشيعة ولا تمنحهم قدرة على التحليل الدقيق والاستيعاب الصائب لمبادىء العقيدة ولا تمكّنهم من تكوين صورة حقيقية وشاملة لثوابت المذهب أو رسم تصور واضح ومنطقي لحقائق النهضة الحسينية في كربلاء، والتعريف برموزها البارزة والأهداف السامية التي يحملونها في هذه النهضة العملاقة.

إن الشيء الذي كانت تهدف إليه الصفوية من هذه الأعمال ليس سوى تأجيج المشاعر الصفوية غير المنضبطة عبر ممارسة تلك الطقوس التراجيدية وعلى النمط المسيحي لا على النمط الذي يرتئيه الدين الاسلامي الحنيف والذي يحرص على ان يكون كل عمل يزاوله الانسان شيئاً هادفاً وله على الصعيد التربوي نتائج وثمار محدّدة.

وعلى العكس مما ينبغي ان يكون، يمكن القول ان الممارسات والطقوس المشار اليها كان لها اثر سلبي معكوس، حيث تحولت بذاتها الى عوامل تعيق امكانية الفهم الحقيقي لأهداف الفكر الشيعي وفلسفة وجود الثورة الحسينية. وذلك لأنه ليس ثمة جهل أكبر واخطر من الجهل الذي يهيمن على صاحبه شعور خادع بأنه على معرفة بحقائق الأمور. والشيعي هنا عندما يكثر الحديث عن عاشوراء والبكاء على الحسين في شهري محرم وصفر ويواصل ذلك خلال الاشهر الباقية ينتابه شعور عارم وخادع في نفس الوقت بأنه قد عرف كربلاء وبطل كربلاء حقّ معرفتهما!

والواقع ان أصل إقامة العزاء كان سنّة معمولاً بها بين أوساط الشيعة حتى منذ زمن الأئمة والامام الصادق (ع) على وجه التحديد، ولقد كانت سنّة حسنة بل كانت

ممارسة ثورية، خاصة في أزمنة الكبت والقمع والأجواء الخائفة التي كان لجهاز الخلافة دور في تكريسها عداءً لأهل البيت. وكان لهذا الأمر آثاره الجليّة في تنمية ايمان الفرد الشيعي وتهذيبه أخلاقياً وروحياً وعاطفياً، كما تطرّقتُ إلى ذلك بالتفصيل في كتاب (فاطمة فاطمة!)[1] مضافاً الى ان هذه الطقوس كان لها أثر كبير في احباط مساعي الحكومات الجائرة لطمس حقائق النهضة الحسينية أو تشويه صورتها في أذهان الناس عبر المرتزقة من المتاجرين بالدين ووعاظ السلاطين، حيث لعبت هذه الطقوس دوراً مهماً في التصدي لهذه المحاولات في مختلف المجالات الفكرية والاجتماعية وحتى السياسية، وأحبطت مسعى الحكومات لتحريف التاريخ والشطب على كل حدث غير طبيعي فيه، والايحاء للأجيال القادمة بان التاريخ مرّ على أحسن ما يرام وكأن شيئاً لم يحدث فيه أبداً!

بيْد ان ما تمّ التركيز عليه كثيراً في الحقبة الصفوية هو الشكل الظاهري لتلك الطقوس فعملت الصفوية ما بوسعها من أجل تكريس هذه الطقوس وتوسيعها ومن ثم سعت الى توظيفها لأهداف سياسية تضليلية تصبّ في صالح اغراضها الحكومية بعيداً عن التعريف بالاسلام وتربية الناس على مفاهيمه السامية.

حرف المسار الشيعي

من هنا كانت بداية الانحراف للمسار الشيعي، لقد تحرّر التشيّع وانتصر في المعركة وهو الآن يمسك بزمام الأمور، وها قد اتخذ التشيّع منحىً آخر، وانسلخ عن المنحى الثوري الذي كان يعتبر من أبرز معالم هويته.

---

(١) وكان هذا المعنى ايضاً محور محاضرة مستقلة القيتها في حسينية الارشاد تحت عنوان (الدور الثوري الذي لعبه ذاكرو الحسين في تاريخ الشيعة).

لا يوجد متسع من الوقت لتقديم شرح واف ومفصل، لكني ساقتصر هنا على ايراد نموذج تاريخي مجمل يمكن ان تتوخوا التفاصيل من خلاله : من المعلوم ان علماء التشيّع ظلوا على مدى عشرة قرون أمناء على لواء النهضة الحسينية وظلوا طوال هذه القرون (قريبين من الناس) متاخمين لحياة المجتمع، يشعرون بآمال الناس ويتحسسون آلامهم، ولهذا السبب بالذات كانوا طوال هذه الفترة بُؤرة خطر في نظر الحكومات الفاسدة وهاجساً يقضّ مضاجع الحكام، ولكن ما أن اصبح علماء الشيعة (قريبين من الحاكم) حتى زال خطرهم ولم يعودوا يشكّلون مصدر قلق للحكومات، لقد تغيّرت المعادلة!

يقول الدكتور علي الوردي في كتابه (وعاظ السلاطين):

هناك ميزة يتميز بها علماء الشيعة على أقرانهم من علماء السنّة، وذلك انهم يشكلون مواقع متحررة من الجانب الاقتصادي والاجتماعي؛ ليسوا موظفين عند أحد، ولا تابعين لحكومة ولا مرتبطين بمؤسسة رسمية، وانما هم شخصيات حرّة ومستقلة خاصة على المستوى الاقتصادي، إذ هم مرتبطون بعوام الناس، العوام هم الذين يديرون شؤونهم ويمنحونهم القدرة، واذن فمصدر قوتهم وشأنهم ونفوذهم بل مصدر رزقهم ومعيشتهم هم عوام الناس، ولذلك هم دائماً ينطلقون من أعماق الجماهير خلافاً لعلماء السنة الذين غالباً ما تكون مناصبهم رسمية مبلغة من قبل الحكومة، وهذا هو السبب في كون الدور الاجتماعي الذي يلعبه علماء الشيعة في أوساط الناس متضاداً مع دور علماء السنّة، فعلماء الشيعة دائماً مع الناس بوجه الحكومات، بينما علماء السنة هم على الدوام جزء من الجهاز الحاكم. وقد أدى هذا بالتالي إلى أن يكون العالم الشيعي مضطرّاً إلى العيش عيشة تقوى وزهد بعيداً عن السلطة حتى لو كان ذلك على خلاف رغبته، لأنّه إذا لم ينتهج هذه الطريقة

سوف يسقط في أعين الناس ويفقد مصدر قوته وشأنيته .

وتأسيساً على ذلك، فان من خصائص علماء الشيعة أولاً كونهم في معارضة مستمرة مع الأنظمة الحاكمة على مرّ التاريخ، وثانياً تقواهم الواضحة والبارزة والتي ما زالوا يتحلّون بها الى يومنا هذا، فرجل الدين الشيعي هو اكثر رجال الدين تقوى وورعاً على صعيد العالم أجمع. يقول (فانسن مونتي) في بحث اجتماعي له حول طلبة العلوم الدينية في ايران:

«انهم يشكّلون بروليتارية فكرية[1]، فمطالب العلوم الدينية يؤمن حياته لشهر بمبلغ زهيد قدره ما بين ١٠ الى ٢٠ أو ٣٠ تومان ورغم انه لا يوجد ضمان مادي لاستمرار معيشته يعكف على الدراسة بهمة اكبر من الهمة التي يتحلى بها الطالب الجامعي، وهذه عبارة عن بروليتاريا فكرية وليست عمالة فكرية، فالعامل بشكل عام هو الشخص الذي يزاول عملاً بدنياً أو يدوياً كالخياط والاسكافي والخباز والبنّاء وغيرهم. اما (البروليتار) فهو الشخص الذي لا يمتلك آلة ولا خبرة محدّدة ولا يعلم ماذا يتقن أو ما هي حرفته، ولكنه يجوب أزقة المدينة عارضاً استعداده للقيام باي مهمة تناط به من قبيل (نزح الأحواض أو حفر الآبار أو تنظيف الزجاج أو إصلاح الحديقة...) دون ان يكون بحوزته فأس أو مسحاة. ولقد استخدم (ماركس) هذا المصطلح للاشارة الى العمال في المجتمعات الرأسمالية والصناعية، وذلك لأنهم يفتقدون الى الآلات والمعدات ولا يملكون سوى عضلاتهم وقدراتهم البدنية يعرضونها للبيع على المالك والمستثمر! ففي مرحلة الثورة الصناعية كانت الآلة هي المصنع، وهو بدوره بحوزة المستثمر أيضاً لا بحوزة العامل المسكين، ما يجعل الأخير أسوأ حالاً من (البرولتار) القديم!

---

(١) Proletaire , Proctariat

على الصعيد ذاته، فإن ثمة مصطلحاً آخر يدعى (الانتلكتوئل) ـ وقد ترجمناه في الفارسية خطأ الى مستنير ـ ويعني الشخص الذي يعمل بفكره وقدراته العقلية كالمعلم والكاتب والصحافي والمحامي واستاذ الجامعة والشاعر والفنان وغير ذلك، ويطلق عليهم اصطلاح «العامل الفكري» ـ بإزاء العالم البدني ـ وحاله حال صاحبه ـ العامل البدني ـ في كونه يضع كافة امكانياته تحت تصرف المستثمر أو رجل السياسة أو المدراء، ولكن (فانسن مونتي) اطلق على طلبة العلوم الدينية لقب (البروليتاريا الفكرية) بدلاً من العمالة الفكرية، وذلك لإشارة الى انهم أسوأ حالاً من (الانتلكوتوئل) حيث لا يوجد اي ضمان سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي لتأمين معيشتهم حاضراً أو مستقبلاً، وبعد ان يمضوا سنوات مديدة في ترويض انفسهم على العيش في غرف مظلمة ضيقة ورطبة وتفتقر في الغالب الى أبسط الشروط الصحية والرفاهية، يكون مصيرهم مرهوناً الى درجة كبيرة بدرجة الحظّ والإقبال ومدى رضا العوام عنهم وعن طريقتهم في الإبكاء! وليس ثمة حالة اكثر بؤساً من ان يكون مصير عالم مفكر خاضعاً لتشخيص عوام الناس، وهذا في الواقع هو السبب الجذري لكثير من الانحرافات ومظاهر التخلّف والرجعية والمصائب والحرمان.

في العهد الصفوي اصطف رجل الدين الشيعي الى جوار الحكومة واصبح يجالس الحكام، ومن هنا بدأ المذهب الشيعي بتغيير وجهته!

التشيّع الذي كان (ضد الوضع القائم) اصبح الآن (مع الوضع القائم)، التشيّع الذي كان قوة مناوئة لأجهزة الحكم، تحول الآن الى قوة دعم واسناد لهذه الاجهزة وبالتالي تبدّل حتى الدور الذي كان يلعبه فالتشيع الذي كان يمارس (دوراً نقدياً) لسلوك الحكام بات الآن يمارس (دوراً تبريرياً) لسلوكيات الحكام وتصرفاتهم!

العالم الشيعي الذي كان يتحذر دائماً من التماس مع أصحاب السلطة والنفوذ. ويسمّيهم بـ(الظلمة) جرياً على الاصطلاح المعمول به في الثقافة الشيعية والذي ما زال سائداً في ثقافتنا الشيعية أيضاً. هو الآن يمدّ يده بدون تردد نحو هؤلاء (الظلمة) ويجالسهم ويخالطهم ويتضامن معهم دون ان يؤثر ذلك على مكانته بين الناس!

«صحيح ان هذا الحاكم حاكم فاسد. صحيح اننا نرى بيوتاً في الـ(عالي قاپوهات) مماثلة لبيوت الخليفة في بغداد والعامرة بآلات اللهو والفساد والموسيقى والخمر. وصحيح أن السلطان الصفوي أصبح شأنه شأن الخليفة العبّاسي في بغداد في جميع المجالات. ولكن هذا لا يمنع الوجدان الاجتماعي الشيعي من تحمل نظامه الاستبدادي وفساده الأخلاقي. فان الأوساط الشعبية المتدينة عندما ترى عالماً كبيراً ومعروفاً بالتقوى والصلاح كالشيخ البهائي أحد مفاخر الشيعة. وهو يجاري هذا الحاكم ويتعاون معه. فانها ستقبل بذلك لا محالة وتتحمل الظلم والفساد الذي تراه. لماذا؟ لأن هذا الحاكم وان كان يعمل أعمال سائر الخلفاء و يحكم على طريقتهم، إلا انه يختلف عنه بشيء مهم جداً، ان حبّ علي يملأ قلبه. وفي عروقه تجري الرغبة العارمة بالانتقام لدم الحسين[1] وهذا يكفي لتبرير سائر أفعاله وتصرفاته. لماذا؟ لأن ذلك هو مقتضى ما جاء في الرواية! حديث قدسي مروي عن الله وقد انتشر الآن:

«محبّ عليّ في الجنّة ولو عصاني ومبغض عليّ في النار ولو أطاعني»[2].

---

(١) ربما من البقال والعطار السني!

(٢) نقلاً عن كتاب «دفاع عن الحسين الشهيد» للسيد أنصاري قمي، في الرد على كتاب «الشهيد الخالد» وهو نتاج مشترك بيني وبين السيد صالحي.

اذن، فان هذا الحاكم الشيعي العاصي لله، يصبح مبرّءاً من الذنوب ومستحقاً للجنة بفضل حبّه لعلي. وقد أصبح الآن لدينا وسيلتان: وسيلة الله ووسيلة علي، ليس هذا فحسب، بل ان هاتين الوسيلتين في تنافس مستمر، ليس هذا فحسب، بل ان وسيلة عليّ أسرع من وسيلة الله!

القيامة والميزان والعدل، لم تعد اشياء ذات معنى، حب عليّ هو المعيار! حب علي يصهر الذنوب والمعاصي كما يصهر التيزاب كل شيء، ليس هذا فحسب، اننا نرى الشيعي يذنب ولا يتورع عن الاقدام على المعاصي والمنكرات، ولكن لا بأس عليه، فان لدينا مبدأ قرآنياً يقول: **﴿يبدّل الله سيّئاتهم حسنات﴾**، ومعناه ان الذين يعتقدون بولاية علي فان سيئاتهم تتبدل الى حسنات! وعليه فان المحب لعليّ إذا كان ذا حنكة ودهاء فعليه ان يسرف في المعاصي والذنوب وجمع السيئات ليوم القيامة عسى ان يتبدل هذا الكم الهائل من السيئات الى حسنات بحكم القاعدة القرآنية المشار إليها.

وهكذا نرى ان شيئاً جديداً في طريقه الآن الى التحقق، ويدعى بالتشيع الصفوي! واعتباراً من الآن سنسمع كلاماً من نوع جديد، تبريرات جديدة لأفعال قديمة، الشخصيات ليست جديدة، علي هو نفسه علي، والمحب لعلي هو ذاته المحب لعليّ والولاية هي عينها الولاية الموروثة من زمان النبي، المباديء والعقائد هي ذاتها ولكن شيئاً واحداً تبدل وطفح الى مسرح الأحداث، وضع آخر جديد مغاير بالكامل للوضع القديم وان كان يتخذ قالباً مضاهياً له من حيث الشكل والاسم، وها هنا تتبلور مشكلة جديدة في الفرز والتشخيص بين نوعين ونمطين من التشيّع.

تشيّع يرى في عليّ وسيلة لمعرفة الله سبحانه والتقرب منه والعمل بأوامره

ونواهيه، وآلة لغسل الذنوب وتطهير القلوب، وتبديل السيئات بالحسنات ولكن كيف؟ هذا النمط من التشيّع يصوّر الأمر بالطريقة التالية: ان المرابي مثلاً عندما يعرف علياً و يدخل حبّه في قلبه يدرك ان عمله غير صحيح ولابدّ من ان يبذل جهوده في خدمة الناس لا في خيانتهم وعليه بالتالي ان يوظف امواله في مشاريع انتاجية تجلب النفع والبركة على ابناء المجتمع، لا أن يظل عالةً عليهم يقتات على دمائهم!

أما النمط الآخر من التشيّع، وهو التشيّع الصفوي، فهو ينظر الى هذا الأمر من زاوية مختلفة تضع عليّاً في مصاف الله سبحانه، وتزعم ان له تدخلاً في خلق السموات والأرضين، وان محبّته في قلب المؤمن كفيلة بضمان الجنة لصاحبها فعلام اذن العمل، ولماذا يحرص المرء على ترك سيئاته مادام يأمل ان تتحول الى حسنات في يوم القيامة وتضاف الى رصيده في كتاب الأعمال!

على اي حال، اصبح الآن لدينا نمطان من التشيّع، تشيّع حب وبغض وعاطفة وهو التشيّع الصفوي، وآخر هو تشيّع عقل ومنطق واستدلال وهو التشيّع العلوي!

تحول نوعيّ آخر

وكما تحول الشيع من حركة الى نظام، وتحول الشعور الشيعي من معرفة فكرية واعية الى عواطف جيّاشة تجاه شخصيات في التاريخ، حصل بموازاة ذلك تحول نوعي آخر حيث تبدّل العالم الشيعي الى رجل دين!

في الاسلام وفي التشيّع على وجه الخصوص يطلق وصف العلماء على الشخصيات الناشطة في مجال الدعوة الدينية، وما زال هذا الاصطلاح ساري

المفعول ومعمولاً به على نطاق واسع حتى يومنا هذا. بينما يطلق على رجل الدين في المسيحية لقب (الروحاني). والروحاني هو شخص يتصف بالتقوى الواضحة وله علاقة قوية تربطه مع الله، رجل عابد بهيّ الطلعة خفيف الوطأة. يقبل الناس يده ويستنيرون من صفاء روحه. ولا يهمّ بعد ذلك ان يكون ذا علم وشعور! الورع والشعور أمران متباينان والمهم في رجل الدين ان يتوفر على العنصر الأول لا الثاني، ولا شك انه متوفر، لأن روح القدس قد حلّ قسم منه في قلب رجل الدين، وهو بالتالي وجود مقدس ويستحق التقديس!

اما على الصعيد الشيعي سواء في صدر الاسلام أو في الحقب التاريخية اللاحقة والى يومنا هذا. فإن المعوّل عليه هو المكانة العلمية لرجل الدين، فرجل الدين هو الشخص الذي لديه إحاطة بحقائق المذهب ولديه تخصص في فهم واستنباط أحكامه ومعانيه. وهذه مرتبة لا تحصل للانسان إلّا عبر الدراسة والاكتساب حتى يتوصل الى سبر اغوار المدرسة الفكرية الدينية وملامسة روحها وجوهرها وادراك قوانين الدين والعلاقة بين عناصره المختلفة. شأنه في ذلك شأن العالم المتخصص في اي مجال علمي آخر. فمثلما لدينا متخصص في الطب والفلسفة والجيولوجيا كذلك لدينا متخصص في العلوم الدينية والاسلامية. والمراد من مصطلح (الفقيه) هو هذا المعنى لا غيره فالفقه بمعنى العلم. والقرآن عندما يأمر بالتفقّه في قوله تعالى (ليتفقهوا في الدين) فانما يأمر بدراسة الدين دراسة معمقة وواعية تصل بصاحبها الى مستوى ذوي الاختصاص.

وها هنا الخطاب القرآني شامل لكل الدين وليس يقتصر على الاحكام الشرعية والفتاوى العملية. الفقه يعني معرفة الإسلام. اما تحديد الفقه بمعرفة احكام الحلال والحرام فهو من الأمور التي ظهرت لاحقاً ومهّدت الأرضية شيئاً فشيئاً

لظهور شخصية جديدة الى جوار العالم الشيعي ؛ شخصية تسألها عن أصول الشيع فتجيب بأنها لا تفقه شيئاً من ذلك وعندما تسأل عن حياة الأئمة وافكارهم فهي لا تعلم شيئاً، وعن الفلسفة الاسلامية تقول انها دخيلة على الشرع، وأما العرفان فلا ينسجم مع خط أهل البيت، وعندما تُسأل عن خط اهل البيت تجيب بان ذلك من الأسرار والحقائق القرآنية العصيّة على أفهام بني البشر، وعندما تطالب باعطاء محاضرة في تفسير القرآن تجيب بتعالٍ ان هذه هي مهمة الفضلاء والخطباء، اما (العلماء) فهم أرفع شاناً من ذلك، ألا ترى ان فلاناً كان قد شرع بتفسير القرآن وطبع عدة مجلدات منه ولكنّه بعدما وصل الى رتبة العلماء ترك القرآن جانباً وقطع دروس تفسيره وعندما سئل عن السبب في قطع درسه المفيد؟ اجاب بلهجة تعكس شعوراً بالمرارة من الوضع المحيط فيه ايها السادة! كأنكم غير مدركين للأوضاع السائدة في حوزاتنا العلمية، ان تفسير القرآن يعتبر في الأوساط الحوزوية من اختصاص (الفضلاء) وليس (العلماء)، وأيّ عالم يضطلع بهذه المهمة فإنه يعرّض مكانته العلمية الى ضربة قوية، وانطلاقاً من هذا الشعور فانني عزفت عن مواصلة دروسي في التفسير فور وصولي الى مقام العلماء، وذلك حرصاً على هذا المقام العلمي الذي من شأنه ان يتيح لي فرصة تقديم خدمات دينية واجتماعية اكبر، ولذلك رأيت إن المصلحة تقتضي ترك تفسير القرآن رعاية لما هو أهمّ.

وعندما طُلب من صاحبنا ان يتصدى لتبيان المفاهيم الاسلامية وتوضيحها للناس أجاب ممتعضاً من السؤال:

انظروا إلى السادة كيف يريدون منا بعد هذا العمر الطويل في الحوزة ان نعود الى الوراء لنزاول مهام الوعاظ والخطباء، كأن السادة لا يعرفون مهام الوعاظ والخطباء، كأن السادة لا يعرفون حدود الاشخاص أو أنهم يعرفونها ولا يريدون

مراعاتها! ان المنبر هو مهمة الاشخاص الهامشيين في الحوزة ممّن يتوفرون على الصوت الحسن والقدرة على ادارة مجالس العزاء مع قدر محدود من المعلومات يتيح لهم نقل روايات الأئمة واقوال العلماء والمواعظ والعبر المؤثرة في نفوس العوام، وبالطبع هذه وظيفة هامة لا يُنكر فضلها وعلينا ـ كعلماء! ـ ان ندعم ابناء هذه الطبقة الحوزوية ونشكرهم على جهودهم ونشجعهم على مواصلتها!

نقول لهم: نعتذر عن هذا التطاول الناجم بطبيعة الحال عن جهلنا بسلسلة المراتب، وكلّ ما قلناه ينطلق من الحرص ومما نفهمه من سيرة المسلمين الأوائل وعلى ضوء المتطلبات العصرية لهذا الجيل ومقتضيات المرحلة الزمنية، ولا نقصد توجيه اي إساءة لساحتكم المقدسة، واذا بدر منا هذا الشيء لدى المطالبة باعطاء دروس في التفسير أو محاضرات توجيهية من على منبر محمد وعلي، فلا شك ان السبب يعود الى جهلنا بمكانتكم العلمية والاجتماعية، والآن اسمحوا لنا ان نقترح عليكم شيئاً بديلاً وهو ان تقدموا للقراء نتاجاً علمياً مكتوباً في مجال العقائد أو السيرة أو ترجمة وتفسيراً لنهج البلاغة أو تحليلاً علمياً لنهضة الامام الحسين، أو على الأقل بحثاً مختصراً حول شخصية فاطمة الزهراء وزينب الكبرى، أو أي شيء تؤلفونه ليقرأه الناس فيدركوا ولو جانباً من معنى ما ترددونه دائماً من الحديث حول فلسفة اهل البيت ومنهج اهل البيت، خاصة واننا نستند في كل شيء على الأئمة الاثني عشر (ع) أليس من المناسب إذن أن نعرف شيئاً ولو موجزاً عن هؤلاء الائمة بالتفكيك والتفصيل، ماذا كانوا يفعلون وماذا يقولون وما هو البعد الحقيقي لشخصياتهم، وفي أيّ ظروف عاشوا وما هي الرسالة التي كانوا يحملونها؟؟

وبدلاً من الاقتصار على الاشادة والتمجيد الفارغ بمقام ومنزلة اهل البيت،

أليس من الأفضل ان نؤلف شيئاً يسلّط الضوء على أبعاد وجوانب شخصياتهم التي تستحق كل هذا التمجيد والإشادة. ولو تغاضينا عن هذه المطالب فعلى الأقل اشتغلوا في تصنيف قاموس للمصطلحات الاسلامية لتبيان حدود كل منهاه واعطاء صورة واضحة عن المفاهيم الدينية من قبيل الإمام والوصاية والعصمة والقضاء والقدر والتفويض والتوكل والولاية والشفاعة والتقية والاجتهاد والتقليد والانتظار والغيبة والنيابة والاصول والفقه والحكمة والدراية والتوحيد والشرك والوحي والنبوة والرسالة والكتاب والميزان والقسط والأمّي والأمة والمعاد والصبر والجهاد واهل الكتاب والجزية والأنفال والكنز والخمس والمالكية والمفتوح عنوة وغيرها من المفاهيم التي تحتاج الى توضيح وتفسير يحدّد لنا اطرها وابعادها ممّا له دخل كبير في كيفية التعاطي معها وتطبيقها عملياً وان لم يمكن تصنيف قاموس بتلك المواصفات فقد يكون ممكناً تأليف كتاب حول تاريخ الاسلام أو تاريخ التشيّع الحقيقي المضمّخ بالدم والحافل بالجهاد والاجتهاد والدعوة للحق وتحمل كل المصائب في سبيل ذلك. أو كتاب يجمع سير اكابر الشخصيات الاسلامية في صدر الاسلام من أمثال أبي ذر وسلمان وعمار والذين ما زالوا مجهولين بين اوساطنا الاجتماعية فيما يتمتع (تشارلي شابلن) بمعروفية اكثر منهم!

ان الناس تعرف من هؤلاء الأكابر اسماءهم فقط وتكتفي بذرف الدموع وارسال الصلوات عند التعرض لذكرهم في المجالس دون ان تكون لديهم صورة واضحة عن ابعاد شخصياتهم والخصائص التي كانت وراء خلودهم في التاريخ. لماذا لا يوجد لدينا كتاب بشأن واحد من هؤلاء وان وجد فهو اما مترجم عن مستشرق أوربي أو كاتبٌ محقق من أهل السنة لا تقبلونه بالطبع! أو شيعي ولكن فاقد للأهلية مثل (علي شريعتي) المتأثر بالغرب والذي يقبض المال من الحكومة

ويكتب باسم الدين، فلماذا لا تكتبون انتم الذين تقبضون المال من الدين؟! انـتم اهل البيت واهل البيت أدرى بالذي فيه!

سيكون جوابهم بهذه الشاكلة:

«عجباً لك! أي افكار تحمل في رأسك؟ يـبدو انك مـن المـرتادين كـثيراً لحسينية الارشاد حيث يُعلم ذلك من طبيعة كلامك الذي تشمّ منه رائحة غريبة. لا ينبغي لك ان تحدد لنا واجباتنا. نحن أعلم بما ينبغي علينا فعله. هل أنت مقلد أم مجتهد؟!

اذا كنت مجتهداً فأين اجازة الاجتهاد، واذا كنت مقلداً فالزم رسالة المجتهد الذي تقلده واعمل بما فيها من مسائل وأحكام ولا تكن فضولياً فليس للجاهل ان يعلِّم العالم. ولا ينفعك هنا ان تكون طبيباً أو مهندساً أو متخصصاً في التاريخ وعلم الاجتماع والاقتصاد والفلسفة وما شابه ذلك، ولا يسوّغ لك ان تتطفل على اصحاب الشأن والمنزلة ولا تراعي قدرهم.

ان مجالات التفسير والتاريخ والرجال والسيرة واللغة وشرح حـياة الائـمة والصحابة هي من قبيل المسائل المتفرقة التي لا يليق بأهل العلم الانشغال بها، بل هي اختصاص اهل الفضل من اصحاب المنبر والوعاظ والمصنفين والمـترجـمين والخطباء والمحدثين وأمثالهم. هذه الأمور من (الفضل) وليست من (العلم).[1]

عموماً، هذا النمط من الكلام هو كلام الفقهاء (بالمعنى الاصطلاحي المتأخر

(١) الفرق بين العلم والفضل يمكن فهمه من خلال مثال طبيب له إلمام بالتشريح وتشخيص الامراض والعلاج وغير ذلك من الامور التي لابدّ له ان يكون ملمّاً بها كطبيب، اما اذا كان يجيد الرسم والسياقة فذلك من الأمور التي يعتبر تعلّمها (فضلاً) وحسناً زائداً ولكن الجهل بها لا يعتبر نقصاً لعدم ارتباطها بفن الطب. (المؤلف).

للكلمة) والذين يعتقدون ان العلم مختصّ بمعرفة الاحكام العملية واستنباط القواعد الشرعية. اما غير ذلك من العقائد واصول الدين والاسس المنطقية لإثبات العقائد الخاصة بالمذهب فهي من الفضل لا من العلم، أي أنهم جعلوا فروع الدين علماً وأصوله فضلاً وأموراً زائدة يحسن تعلّمها كدروس ثانوية غير ان المجتهد يجب ان لا يعكف على تدريسها لأنها دروس (ثانوية) تحطّ من قدره كفقيه!

ولا يكاد ينقضي تعجبي وتألمي من أنه كيف تم تحويل الفرع الى أصل والأصل الى فرع تمهيداً لتعطيله نهائياً أو تفويض مهمة متابعته الى اشخاص ثانويين وبالتالي تحوّل المذهب الى سلسلة أعمال وأحكام تؤدّى لا عن وعي وادراك وانما تقليداً أو تعبّداً كما يقولون!

وبلغ الحال درجة وخيمة بحيث أن قضية المرأة التي تطرح هذه الأيام بقوة ويُثار الجدل حول قضايا كثيرة تتعلق بمكانتها ودورها الاجتماعي وحقوقها الانسانية والقضائية ومسألة حرية المرأة واختلاط المرأة بالرجل. فإن اعلى ما قدّمته الحوزات العلمية في هذا المجال هو حلول لكيفية التمييز بين دم الحيض ودم النفاس وجواز أو حرمة كشف الوجه والكفّين والموارد التي يجوز أو لا يجوز للمرأة الاستئذان من زوجها للخروج من المنزل وامثال هذه المسائل الرتيبة. بينما تحوّل مهمة الدفاع عن مكانة (المرأة المسلمة) للفريق العامل في مجلة (امرأة اليوم)!

لكن ما أريد ان اقوله الآن، هو أن نوعاً جديداً وفريقاً جديداً من العلماء المسلمين ظهر أخيراً. ليسوا فقهاء ولكنم يتحدثون كالفقهاء. لا يتحدثون للناس لانهم ليسوا من صنف اهل المنابر. لا يؤلفون لأنهم ليسوا من اهل التحقيق والتأليف والترجمة. لا يعلّمون القرآن والسيرة لأنهم لم يَردوا هذه المجالات. ليس لديهم

ادنى اطلاع بسيرة النبي والائمة والصحابة وذلك لأن هذه الأمور ترتبط بالتاريخ، والتاريخ ليس من علوم الدين، ليست لديهم احاطة بالبحوث الفكرية الاستدلالية للإسلام والتشيّع وذلك لأن هذه الأمور تدخل في نطاق العلوم العقلية وبالتالي فهي من اختصاص الفلاسفة والمتكلمين واهل الجدل! ولا يروون أحاديث النبي وأقوال الأئمة لأن هذا العمل من شأن الرواة والمحدّثين واصحاب العلوم النقلية، واخيراً هم ليسوا فقهاء ولا مجتهدين وليس لديهم فتاوى ولا رسالة عملية، إذن ماذا يكونون؟!

لا هو مفسر للقرآن ولا خطيب منبر ولا محدث ولا راوٍ ولا مدرس ولا مؤرخ ولا محقق ولا مؤلف ولا متكلم ولا عارف ولا فيلسوف، ولم ينطق بحرف ولم يمسك بقلم ولم يسمع منه شيء لا جديد ولا قديم، ألا تعرفون حلّ هذا اللغز؟!

أنا أقول لكم: إنه (الروحاني)!

انه ليس بعالم ولا مفكر ولا كاتب ولا خطيب، انه قطعة من نور، ملاك طاهر ووجود مقدس، انه شعار الدين ورمزه وماء وجهه، ان وجوده في القرية أو المدينة او البلد مدعاة للخير والبركة! انظروا إلى صفاء روحه ونورانية وجهه! ان المعنوية تطفح على محيّاه! عندما تقع عينك عليه، يمتلك وجودك ويأخذ بتلابيب لبّك وقلبك، كأنه ليس من اهل هذه الدنيا، بل كأنه ليس فيها، جسده هنا وروحه في مكان آخر!

حتى أنه لا يدري بما يدور حوله في هذه الدنيا الدنيّة، ألم تسمعوا ان احد مريديه سأله ذات يوم عن حكم اللجوء الى الساعة في تحديد أوقات الامساك والافطار والسحر ومواقيت الصلوات فأجابه بدهشة وامتعاض من هذا السؤال

المعبّر عن الجهل بأبسط امور الدين: ماذا تقول يا رجل! ان علم الساعة حكرٌ على مقام الذات الأحدية وليس لأحد حتى النبي ان يطلع على أسرارها واوقاتها! استغفر ربك يا مؤمن!!

مُذ سمعت بهذه الحكاية العجيبة تضاعف احترامي وتقديسي للرجل، وقلت في نفسي ان مثل هذه الأنوار هي التي تضيء ليل دنيانا المظلم، ولولا هؤلاء لتوقفت عجلة الحياة ولأطبقت السماء على الأرض ولأنزل الله بنا مثل عاقبة عاد وثمود! انه آية الله وحجة الاسلام والحضرة المقدسة والوجود المستطاب والآية العظمى (وغير ذلك من الكلمات والأوصاف الكبيرة والفارغة في آن واحد).

وكان لمريد الشيخ ولدٌ يدرس في الجامعة وكان يلحّ في السؤال من أبيه حول الفرع العلمي الذي تخصص الشيخ فيه، وعن المكان الذي درس فيه والى اي مرحلة وصل في الدراسة، وما هي الخدمة التي يقدمها الآن للاسلام ماعدا صلاة الجماعة؟ اين يلقي محاضراته؟ ما هي نتاجاته العلمية والفكرية والدينية، هل لديه استعداد للاجابة على تساؤلاتي بشأن الله والدين والنبوة والامامة والمعاد والمهدي والانتظار؟ دعك منّي، هل تعلّمت انت منه شيئاً خلال معاشرتك له على مدى عشرين عاماً!

انني ـ والكلام ما زال بين الإبن وأبيه ـ اعرف ماذا قدّمت له خلال هذه المدة، فما الذي قدّمه هو لك؟! كلانا نعرف انه لا يجيد الفارسية فهلّا سألته هل يجيد العربية وهل يستطيع قراءة القرآن ونهج البلاغة وسائر الكتب الدينية؟!

لم يكن جواب الأب لابنه سوى إبراز الامتعاض والتأسف على الحال التي وصلت اليها الدنيا هذه الايام واخذ يلعن العلم والتكنولوجيا واوربا والمدنية الجديدة التي حرَفت الأولاد عن الدين والمذهب وجعلتهم يشككون بكل العقائد

والتقاليد الموروثة عن السلف الصالح، ثم قال لابنه: بنيّ! هل تتصور ان شهادة الدبلوم والبكالوريوس هي كل شيء في الوجود، لماذا أراك تكرّر عليّ السؤال ذاته، ما هو المستوى الدراسي للشيخ؟ يا عزيزي ان الدين ليس جامعة كل مما فيها هو العلم وحسب. العلم موجود في الكتب بكثرة، اما الروحانية فهي شيء آخر، دع عنك السؤال حول ما إذا كان الشيخ عارفاً بفلسفة الاحكام الدينية ام لا... من قال انه لابد أن يكون للحكم الشرعي فلسفة وهدف، ثم ان هذه امور يجب الاستفسار عنها من لدن العلماء المتخصصين في علوم الاجتهاد والحكمة والتفسير والدعوة والتبليغ، والدين ليس هو هذه الأمور فحسب، الشيخ رجلٌ ربّاني، ورجل دين روحاني، انه قطعة من نور الايمان، إذا اقتربت منه صعقك بنوره كالبرق، تنتابك القشعريرة، واذا قبّلت يده يخطف البرق في قلبك وروحك السوداء! النبي كان أمياً! ليس الأمر محدوداً بدائرة القراءه والكتابة، ولا كل شيء موجود عند العلماء المجتهدين والذين يعلمون الناس الدين، ان مجرد زيارة الشيخ (الروحاني) تستتبع الثواب بحد ذاتها، وان خدمة الأولياء والصالحين ذخيرة من ذخائر الآخرة، ان المعرفة والتعليم والعلم بالله والقرآن وحياة الأنبياء والأئمة وتاريخ الاسلام هي من خصائص الطلبة وأهل العلم، ما لنا ولهم؟! نحن نريد ان نخفف من اثقالنا واعباء الذنوب التي نحملها على ظهورنا وعمل ما من شأنه ان يعود علينا بالثواب الجزيل سواء فهمنا فلسفته أو لم نفهمها، ما الفرق اذا كان الثواب حاصلاً على كل حال والجنة مضمونة سواء بأعمالنا أو بواسطة الشفاعة اذا قصرت أعمالنا عن ايصالنا الى شاطيء النجاة، هذا الشيخ الذي لا يعجبك اذا حالفك الحظ وتمكنت من الإمساك بيده وعبور الصراط معه، فانهم سوف لن يعيدوك من حيث أتيت اكراماً له واجلالاً لقدره وحفظاً لماء وجهه باعتباره عبداً صالحاً من عباد الله. ان الطريقة التي تفهم من خلالها الدين تفضي الى نتيجة مفادها ان الجنة لن يدخلها إلا العلماء والدارسون

بينما الحديث الشريف «ان أكثر أهل الجنة بُلهاء» يناقض ما تدّعيه!

هذه هي الظاهرة الجديدة في الاسلام ؛ والفريق الجديد الذي يُدْعى بالروحاني، والعلاقة المستحدثة بين ما يسمى بالمريد والمراد، وهي عبارة عن تقليد فكري لأشخاص لا تقوم قيمتهم على أسس فكرية أصلاً! هذه الأنماط من الرجال المقتاتين على الدين أخذت تكثر يوماً بعد يوم وتلقى ترحيباً أو تشجيعاً رسميين على حساب حماة الدين الحقيقيين من علماء الشيعة، ساعد على ذلك ان العوامّ تنسجم بطبيعتها اكثر مع هؤلاء لأن لديهم قابلية على تفهم العوام والتحدث بلغتهم قد لا يمتلكها العالم المفكر، وان مَثَلَ هذا العالم والروحاني كمَثَل ملّا القرية الذي كان سيّداً عارفاً بالأحلام ولا يردّ له نذر غير أنه كان أمياً، وصادف ان قدم الى القرية عالم مقتدر، وعندما أحس الملّا بالخطر دعاه الى المناظرة امام الناس وقال لهم ان هذا (العالم) لا يحسن القراءة والكتابة واذا لم تصدقوني فامتحنوه! ومن ثم اخرج ورقة وقلماً وطلب من العالم ان يكتب كلمة (أفعى) ففعل، فانتزع الملّا القلم من يده وتوجّه الى أهل القرية بالقول: انظروا الى ما كتبه، أترون؟! انه كتب كلمة (نملة) بدلاً من (أفعى)، والآن انظروا الى ما اكتبه أنا ثم احكموا بانفسكم!

شرع الملّا بالكتابة وذلك بأن رسم صورة افعى على الورقة وأراها للجالسين وطالبهم بان يحكموا بالعدل والإنصاف، فأجمع أهل القرية على ان الحق معه وطردوا العالم المسكين!

والحقيقة ان امثال هذا الملّا هم أقدر على استيعاب العوام من اهل العلم والتخصص أولاً لما قلناه آنفاً من انهم يتفهمون اللغة المناسبة والمؤثرة فيهم، وثانياً لأن لديهم متّسعاً من الوقت اكبر لمعايشتهم والتأثير عليهم، على خلاف العالم الذي يمضي اكثر أوقاته في البحث والتحقيق في الروايات والكتب، فانه لا يعتني كثيراً

بمثل هذه الأمور وليست له تجربة كافية في هذا المضمار، وربما قال شيئاً أو قرر أمراً معيّناً وتسبّب بذلك في نفور العوام عنه، وتدريجياً تضعف الشخصيات العلمية الحقيقية في عالم التشيّع وتنمو الى جانبها شخصيات هزيلة هي التي تدعى بروحانيّي الشيعة وتتقوى شيئاً فشيئاً. ومنذ عصر الصفوية بات لنا نوعان من رجال الدين الشيعة: العالم الشيعي والروحاني الشيعي وان حصل هذه الايام خلط في استخدام هذه المصطلحات فقد نسمي العالم بالروحاني والروحاني بالعالم إلّا انه من المهم والضروري ان يكون هناك فرز ذهني بين الاثنين، وذلك لان الاسلام والتشيّع ينظر الى العالم نظرة مختلفة عن نظرته الى الروحاني، فالأول علاقته بالناس علاقة الاستاذ بالتلميذ وصاحب الاختصاص بغيره والمثقف بالعاميّ. اما (الروحاني) فهو اصطلاح مقتبس من المسيحية يندرج تحت مفهومه الأحبار والرهبان والقساوسة والحاخامات والبراهمة والموابدة[١] وغيرهم من المناصب الدينية للاديان الأُخرى والتي يتمّ توارثها أباً عن جدّ لا على اساس القابلية الذاتية و العلمية بل على اساس طبقيّ وراثي شأنها شأن حقوق وامتيازات الأمراء والنبلاء وغيرهم.

لقد اعتزل العالم الشيعي طبقات الشعب ليلتصق بالسلطان الصفوي وتحول التشيّع الشعبي الى تشيّع حكومي، ومن ثم انقسم التشيّع الى قسمين: تشيّع علوي منذ فجر الاسلام وما زال ـ لحسن الحظ ـ موجوداً الى يومنا هذا، والتشيّع الآخر هو التشيّع الصفوي الذي ابتدأ من حين قيام الدولة الصفوية وقام على اشلاء التشيّع العلوي بعد أن عمل على مسخه وتحريفه، وما زال قائماً للأسف الى الآن.

وهكذا تبدّل المذهب بشكل هادىء بحيث لم يشعر المجتمع بهذا التبدّل والتحوّل، لقد كان التغيّر هذه المرّة من الداخل ولم يلتفت أحد الى أن مذهباً جديداً

---

(١) رجال الدين في الديانة الزرادشتية.

قد حلّ مكان المذهب القديم، ومن هنا فان البعض ما زالوا حتى بعد مرور اربعة قرون يستثقلون الاصطلاح الذي أستخدمه في بحوثي ومحاضراتي للتعبير عن هذا النمط من التشيّع الجديد أي (التشيّع الصفوي) فيما البعض الآخر يستفزّهم هذا التعبير وينظرون اليه نظرة ريبة وغضب..

التشيّع الصفوي، قبل الدولة الصفوية!

البعض يوجّه اليّ انتقادات على بعض المطالب التي أتعرض لها. ومحور تلك الانتقادات ان الروايات التي ازعم انها منقولة على الطريقة الصفوية موجودة في كتب أُلّفت في أزمنة سابقة على ظهور الدولة الصفوية مثل كتاب الكافي وغيره، كما انني بنفسي ألجأ أحياناً الى كتب ومراجع أقدم من الصفوية في توضيح عقائد التشيّع الصفوي فكيف تحل هذه المفارقة؟

كنت أتصور ان هذه المسألة واضحة وجلية لا تحتاج الى بيان، حيث من المعروف في ألسنة الأدباء ان الاحكام تصدر في الغالب على ضوء التغليب. اي اننا عندما نريد ان نتطرق لبيان وتسمية ظاهرة معينة فاننا نعمد الى إنتخاب ابرز معالم هذه الظاهرة ونتعامل معها على اساس انها رمز للظاهرة واسم معبر عنها. فمثلاً عندما نقول المذهب (الجعفري) ليس المراد هو ان المذهب الشيعي قد اخترع من قبل الامام الصادق (ع) بل كلّنا يعلم ان التشيّع بدأ مع بداية الاسلام، وان الامام الصادق لم يوجد هذا المذهب وأنما أرسى دعائمه الفكرية واوضح خطوطه العريضة بالنحو الذي جعل له هوية مشخصة تميّزه عن سائر المذاهب كالمذهب المالكي والحنبلي والحنفي والشافعي وعن الشيعة الزيدية والإسماعيلية والكيسانية وإلّا فمن الواضح ان مباديء التشيّع العلمية والعملية كانت موجودة قبل زمان الامام

الصادق سواء في القرآن أو السنة أو سيرة الائمة السابقين على الامام الصادق (ع).
ان تسمية المذهب الشيعي بالمذهب الجعفري تعود الى ما ذكرناه من التغليب وذلك لأنّ الامام جعفر الصادق كان استثمر فرصة الانفتاح السياسي التي كانت موجودة في زمانه (أواخر حكم بني امية وأوائل حكم بني العباس) حيث كانت المضايقات الموجهة ضد الشيعة في ادنى مستوىً لها في عمر الدولتين، مضافاً الى ظهور حركة فكرية وفقهية وانتشار مدارس كلامية واعتقادية متعددة وتسلّل ثقافات اجنبية الى البلاد الإسلامية ممّا أغنى فرص البحث العلمي والمناظرة بين اصحاب العقائد والمذاهب المختلفة ؛ الأمر الذي أتاح للامام إبعاد مسجد مدينة الرسول عن دائرة النزاع السياسي وتحويلها الى مركز علمي لترويج مبادىء التشيّع وفكر أهل البيت وتمكن من تربية زهاء أربعة آلاف طالب؛ كل واحد منهم كان بمثابة حارس من حراس الدين وحامٍ من حماة (الولاية العلوية)، وقد بذل الامام الصادق في هذا السياق جهوداً جبارة وخطى خطوات عملاقة ما أدّى الى اطلاق لقب (مؤسس المذهب) أو (رئيس المذهب) عليه.

ما جرى بشأن (التشيّع الصادق) هو بعينه ـ وبدون تشبيه ـ ما جرى مع (التشيّع الكاذب) إبان العهد الصفوي، حيث عمل الصفويون على تشييد اركان هذا التشيّع الدخيل على اشلاء التشيّع الاصيل، مستفيدين من امكانياتهم الهائلة وقدراتهم السياسية العسكرية من المتاجرين بالدين أو العلماء المغفّلين، لقد بني هيكل التشيّع الصفوي الكاذب ؛ تشيّع الشرك والخرافة والفرقة على نمط الهيكل الظاهري للتشيع العلوي الحقيقي ؛ تشيّع التوحيد والحقيقة والوحدة.

ومن ثم منح المدّ الصفوي الشرعية والرسمية للتشيع الجديد وجعله مذهباً رسمياً للبلاد وفرضه على المجتمع، وعمل على تخريج أربعة آلاف تلميذ لهذه

المدرسة ـ أصبحوا لاحقاً جنوداً لشريعة شاه عباس الصفوي ؛ مهمتهم تبرير ممارسات واعمال (الولاية الصفوية) ـ ولأن السلطة كانت بيد النظام الصفوي فقد حرص هذا النظام على إرسال تلاميذ مدرسته الى المجتمع وبثّهم بين صفوف الناس بدلاً من علماء اهل البيت وتلاميذ مدرسة الامام الصادق (ع)، وبالتالي تمت تقوية اولئك وتجهيزهم بكل وسائل التأثير. وفي مقابل ذلك تجريد هؤلاء من كل تلك الوسائل الى أن جرى تصفيتهم نهائياً وقطع علاقتهم بالمجتمع الاسلامي بشكل تام، فبقوا معزولين محاصرين يعيشون خارج المجتمع والحياة! فيما أصبح علماء الصفوية هم الكل بالكل يأمرون فيطاعوا وينهون فتمتثل نواهيهم، وأصبح بيدهم سلطان دين الناس، حيث يتمّ تعيينهم من قبل الحكومة وعلى شكل سلسلة مراتب ادارية ورسمية ومناصب وعناوين وألقاب خاصة بهم تماماً كما هو الحال لدى القساوسة المسيحيّين. مثلاً عندما تبعث الدولة بحاكم الى احدى المدن تبعث معه امام جمعة لتلك المدينة ليكون دين الناس بيده رسمياً وليدعم وجود الحاكم أيضاً، كما كانوا يبعثون بشخص ثالث يدعى (الخطيب) مهمته الرسمية التحرك الاعلامي لصالح الدولة وتأييد الحاكم.

اما في المركز فكان كبار الشخصيات الروحانية تؤلف كتباً ضخمة في اثبات الولاية والرد على ظلمة أهل البيت وشجب الحكومات الفاسدة والمترفة كل ذلك على نفقة الحكومة! وفي ظل هذا الجهد التعبوي ورفع الشعارات المقدسة كان هؤلاء يعملون على استقطاب جميع وجوه التشيّع الكاذب وتلفيق عناصره المختلفة لتدوين مذهب محدّد ومشخص ليمنحوه الصفة الشرعية والرسمية بين اوساط المجتمع ومن ثم يتم تصدير هذه العناصر الجديدة الى اقصى انحاء البلاد بواسطة علماء أو قل عملاء الدين الذين سبق وان بعثت بهم السلطة الى مراكز المدن ليقوموا

بدورهم بتسويق هذه القناعات المختلقة الى الناس البسطاء تحت عناوين براقة من قبيل حبّ علي ونشر مناقب آل علي، الأمر الذي يجعل الأهالي تشعر بالامتنان لهذه الدولة التي ترعى المذهب الشيعي وتراعي شأن رجاله الأبرار. فالدولة أصبحت الآن دولة الامام الصادق والمذهب الجعفري الحق هو المذهب الرسمي للبلاد واذا بذكر عليّ يجري على جميع الألسنة؛ الدولة والشعب والمسجد والمنبر، والعالم والعامي، والفقير والغني، والمدني والعسكري...

من هنا نعبر عن هذا التشيّع بالتشيع الصفوي وإلّا فان عناصره المتفرقة كانت موجودة حتى قبل زمان الصفوية، وقد تسلّلت بشكل لا شعوري حتى الى الكتب القديمة المعتبرة حالها حال الكثير من العناصر الدخيلة التي تسلّلت الى هذه الكتب سواء من الديانات القديمة أو من الحضارات المعاصرة أو حتى من عقائد الجاهلية الأولى، وصفوة القول ان عناصر لا شيعية قد تجمّعت في غضون القرون الثلاثة السابقة على العهد الصفوي، بعد ان اكتسبت صبغة شيعية ظاهرية ومن هذه العناصر استطاع الصفويون أن يصنعوا المذهب الذي يحقق لهم أغراضهم فكان (التشيّع الصفوي)!

انه أحد قوانين التاريخ، حيث يضفون على الباطل هيئة الحق، وعلى المغشوش هيئة الصحيح وكما قال الشاعر المولوي:

(لولا رواج العملة لما تمّ تزويرها)

نعم، نظراً لأن التشيّع العلوي كان يتحلى بجذابية خاصة في نفوس الناس وله صورة حسنة في أذهانهم على طول التاريخ الاسلامي، انصبّ اهتمام جميع محافل التزوير والتشويه على هذا المذهب فكانوا يحرصون على ان يلصقوا ببدعهم ودعواتهم الجديدة طابعاً شيعياً طمعاً بتسويق هذه البدعة بصورة أوسع وبزمن

أسرع، وكانوا يهدفون في ذلك الى تحقيق عدة اغراض في آن واحد؛ أوّلها تشويه هذا المذهب وتفريغه من مضمونه الحقيقي وخلق حواجز بينه وبين الناس تقلل من درجة تأثيره عليهم وبالتالي يعيش الطغاة والمستبدون حالة استقرار نسبيّ، اذ ان اغلب حالات الثورة والتمرد على جور الحكام والظالمين كانت تنطلق على مرتكزات شيعية ومن قاعدة شعبية تؤمن بالتشيع الحقيقي القائم على اسس العدالة والإمامة، وله تاريخ مضمخ بالدماء في مقارعة الظالمين والوقوف بوجه مخططاتهم في استغلال المسلمين، وأما الهدف الآخر فهو الإبقاء على بعض المظاهر غير الإسلامية والتي اصبحت مهددة بالزوال والانقراض في ظل انتشار الاسلام وترسّخه في نفوس الناس فلم يعد ثمة وسيلة لضمان بقاء مثل هذه المظاهر إلا عبر تأطيرها بإطار اسلامي جذاب، وليس ثمة شيء أفضل من التشيّع يناسب تحقيق هذا الهدف نظراً للمكانة الخاصة التي يتمتع بها هذا المذهب الحق في نفوس المسلمين على اختلاف طبقاتهم.

ولقد كانت البذور الأولى لهذه الظاهرة سابقةً على الصفوية بوقت طويل بل يمكن القول انها بدأت في الظهور منذ زمان الامام عليّ، ولا يهمّني هنا افكار (الشيعة الغلاة) الذين يؤلّهون عليّاً، وقد ظهروا في زمانه، وقد أقدم عليٌّ بنفسه ـ طبق ما جاء في بعض كتب التاريخ ككتاب «الملل والنحل» للشهرستاني ـ على حرقهم بالنار بغية اجتثاث جذور الشرك والغلوّ والقضاء على هذه الأفكار المنحرفة في اذهان المحبّين لعليّ؛ الرجل الذي كانت شدة عبوديته لله تعدّ سرّ عظمته وسبب أفضليته المطلقة على من سواه[1].

---

(١) يقال ان جماعة من الغلاة وفدوا على بيت علي ونادوا بقنبر ان قل لإلهنا يظهر علينا، ⇐

لا يهمّني هنا هذا النوع من التشيّع المنحرف والناجم عن الجهل، وان كان الجهل هو أيضاً من جذور الظلم أو على الأقل مادة له. ولكنّ الكلام ـ هنا في التشيّع الصفويّ ـ عن تشيّع منحرف عن عمد وقصد. وتمتدّ جذوره الى الظلم مباشرة ومن دون واسطة.

هذا التشيّع ـ كما قلت ـ بدأ مع زمان علي بل ممكن القول انه ولد مع التشيّع العلوي وظل ملازماً له على طول التاريخ!

واستناداً الى ما سلفت الاشارة اليه. فان التشيّع الصفوي ليست ظاهرة جاء بها الصفويون من فراغ بل كانت له جذور وأسس. وما يقوله الناقدون لي في هذا المجال صحيح لا يمكن انكاره. بل اعتقد ان الذي اسس هذا التشيّع ووضع لبناته الأولى ليس هو الشاه عباس الصفوي بل شخص آخر عمل على ايجاد تشيّع الشرك والتفرقة؛ التشيّع المعادي لعليّ ولكن بلباس حبّ عليّ ومشايعته والانتصار له لقد قام هذا الشخص بإعلان ولادة هذا التشيّع امام علي نفسه وفي بيت فاطمة!

والأنكى من ذلك ان الشعار الذي انتخب منذ البداية لهذا التشيّع هو شعار «ولاية علي»!

لقد أوجد هذا التشيّع أحد أبرز أعداء عليّ وواحد من أركان الشرك والعداء للإسلام!

من هو إذن هذا الشخص؟!

ـ إنه ابو سفيان!

⇐ فغضب علي ووبّخهم وهدّدهم لكي يقلعوا عن ذلك، ولمّا يئس من امكانية توبتهم وعودتهم عن الشرك أمر باضرام نار عظيمة لإلقائهم فيها، فلما وقعت أعينهم على النار وهي تتسجّر قالوا: سبحان الله! هذه هي النار التي وصفتها في قرآنك!

ـ حقاً ؟!

ـ نعم، ابو سفيان لا غيره!

ـ وكيف تم ذلك ؟!

ـ كان عليّ منهمكاً بتغسيل وتكفين النبي والاستعداد لمراسيم الدفن. كان غارقاً في الحزن والهموم، إذا بخبر السقيفة ينتشر فجأة ويعلم بان القوم انتخبوا أبا بكر خليفة للنبي!

ماذا حصل بعد ذلك؟ لقد اجتمع في بيت علي أركان التشيّع العلوي، الشيعة الحقيقيون المدركون لحقيقة علي والخائفون على مستقبل الاسلام ومصير الأمة، اجتمعوا هناك واعتصموا معترضين على القرار الجائر الذي أدّى الى غصب الحكومة، ولقد كان ذلك التحصّن والاجتماع داخل بيت علي بمثابة أول اعتراض رسميّ وبداية للثورة التي ستستمر يقودها حزب العترة واهل البيت الذين كان وجودهم يساوق وجود التشيّع العلوي ككيان وخط ومنهج وأسلوب.

فجأة، دخل على هذا الجمع المتجانس عنصر غريب هو ابو سفيان! ولقد بدا هذا العنصر المتطفل وكأنه اكثر احساساً بحجم المصيبة واشدّ حرصاً على عليّ وخلافة عليّ من أبي ذر وسلمان وعمار وحتى أشدّ تحمساً لها من عليّ نفسه واكثر تصميماً على استرجاع الحق المغتصب!

لقد كان الجميع غارقين في الحزن وفي التفكير بما يجب فعله، يسكتون؟!

وكيف يمكن التزام الصمت تجاه العدوان، والسماح بانتصار السياسة على الحق؟

هل يجرّدون سيوفهم لانتزاع الحق المغتصب؟!

كيف يمكن ذلك مع إنه قد يؤدي بالتالي الى شيوع الفتنة في مدينة الرسول التي فقدت الآن قائدها وبقيت وحيدة في وسط طوفان الشرك والجاهلية، حيث القبائل تتمرد وترتدّ عن الاسلام وهناك امبراطوريتان موتورتان من الاسلام وتتحيّنان الفرص للانتقام من هذا الكيان الاسلامي الجديد الذي جرح كبرياء دولة الفرس في الشرق ودولة الروم في الغرب، ماذا سيكون الموقف لو علم هؤلاء بأن قلب العالم الاسلامي انقسم على نفسه وغرق في دوّامة حرب أهلية بين رؤوس القوم ومن اجل السلطة؟!

لقد اختاروا جميعاً السكوت حسب ما أوصاهم بذلك عليّ قائلاً: «ولقد رأيت ان الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفي الحلق شجا وفي العين قذى» وشعر علي ان دورة الامتحان الصعب قد بدأت فاستعدّ لها بلسان حال يقول:

وقد اتحمل ضرب الصديق مخافة يشمت فيّ العدوّ

ها هنا دار الأمر بين حقّين: خلافة علي، ووجود الإسلام.

ان الاسلام الوليد الذي تربّى في حضن عليّ وارتضع من روحه ودمه، هو الآن في يد أخرى تدّعي انها أمّه وقد ضَمّتْهُ الى حضنها بقوة ولا يمكن انتزاعه منها إلّا بالسيف، ولكن استخدام السيف يمكن ان يؤدي الى اصابة الطفل الرضيع، وماذا يضير الأمّ المدّعية حينذاك؟! اما الأم الحقيقية فقد اتخذت قرارها: ستعتزل في بيتها وتترك المنازعة وتتحمل ألم الفراق لكي تضمن سلامة الابن.

عندما تخيّر الأم بين حضانة ابنها وبين حياته فلا شك انها ستختار ان يبقى على قيد الحياة، بل ستبايع غاصب طفلها على ذلك وتعترف به أمّاً رسميةً للوليد!

وهكذا كان خيار علي الوحيد، ففي حين كان مشغولاً بإعداد جنازة ابن عمّه

وحبيبه وقائده والألم يعتصر روحه وقلبه والدموع تجري من عينيه وكأن العالم وصل الى نهايته، في تلك الأجواء يصله نبأ مفاده ان تجار السياسة خطفوا ابنه من بيته وباعوه الى آخر، فاختار السكوت لأن المدينة كانت محاطة بالأخطار، تحيق بها الأحقاد والاضطرابات الداخلية والتهديدات الخارجية، فالفرس والرومان يتربّصون بها الدوائر وينتظرون الساعة التي تنفجر بها المدينة من الداخل لينقضّوا على المقر المركزي لدولة محمد، ان ولاية علي الآن رهينةٌ بيد وحدة الاسلام الذي يؤمن به علي، وَمَنْ أجدرُ من عليّ في أن يضحي من اجل هذه الوحدة ؟[1]

لقد قرّر علي التزام الصمت، وتبعه في ذلك أصحابه الخلّص ابرز وجوه التشيّع العلوي : أبو ذر وسلمان وعمار، فاختاروا هم السكوت اعتراضاً والاعتراض سكوتاً، كلّ ذلك من أجل الإسلام، بَيْد أن أبا سفيان لا يرتاح لهذا الموقف! الرجل لا يمكن ان يطيق استيلاء أبي بكر على الخلافة وحرمان عليّ منها، يبدو انه أكثر ولاءاً لعليّ من أبي ذر وسلمان وعمر، وأكثر حنقاً على من غصبوا حق عليّ وقلّدوا أبا بكر وسام الخلافة بغير حق، إنه أكثر حرصاً على ولاية علي من خلّص اتباع علي بل ومن عليّ نفسه!

انه مؤسس التشيّع الصفوي والامام الأول لهذا التشيّع، وشعاره هو عين الشعار الذي يحمله اركان التشيّع العلوي: الولاية! ولاية علي لا غير!

لقد لزم علي جانب الصمت حرصاً على وحدة المسلين حيال الخطر الخارجي الذي يهدد الجميع من امبريالية الشرق والغرب في العالم القديم. ومؤسسو التشيّع العلوي فعلوا الشيء نفسه طاعة لإمامهم، أما أبو سفيان فانه أبي

---

(١) راجع محاضراتي في الارشاد تحت عنوان «عليّ مرسي دعائم الوحدة» و«علي ٢٣ سنة جهاد للمبدأ، و٢٥ سنة سكوت للوحدة و ٥ سنوات كفاح للعدالة».

السكوت مطلقاً. فالرجل غير مستعدّ للتخلّي عن ولاية عليّ، لذا صاح بعليّ وأتباعه:

اني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم، يا آل عبد مناف، فيم ابوبكر من اموركم؟ اين المستضعفان؟ أين الأذلّان عليّ وعباس؟ ما بال هذا الأمر في أقلّ حيّ من قريش؟

ثم قال لعليّ: ابسط يدك ابايعك! فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً، فأبى عليّ عليه السلام فتمثل أبو سفيان بشعر المتلمس:

ولن يقيم على خسفٍ يراد به إلّا الأذلّان غير الحيّ والوتد
هذا على الخسف مربوط برمّته وذا يشجّ فلا يرثي له أحد

فزجره علي وقال: والله ما أردت بهذا إلّا الفتنة، وانك والله طالما بغيت للإسلام شراً، لا حاجة لنا في نصحك!

وبهذا احبط علي دسيسة ابي سفيان الذي كان يهدف منها الى شق عصا المسلمين واثارة حرب داخلية في الدولة الفتية التي يتربص بها أعدؤها من الفرس والروم الدوائر ويتحيّنون الفرص السانحة للانقضاض عليها.

الأسس الاعتقادية للمذهبين!

بعد قبول الافتراض الذي مفاده ان ثمة مذهبين يوجدان الآن وكلاهما يدعي بالتشيّع، نأتي على بيان المبادىء والأسس الاعتقادية لكلا المذهبين ونعرّف باختصار كل واحد من هذه الأسس والمبادىء على ضوء المذهبين، وذلك لكي يتاح لكم أنتم المقارنة بين الاثنين وادراك الفارق بينهما.

المهم والمشكل هنا ان المذهبين لهما من حيث الاسم نفس الأصول ونفس الفروع دون اي اختلاف، وهذا ما يجعل قضية الفرز والتشخيص أكثر تعقيداً، ذلك ان التشيّع الصفوي جاء وأرسى دعائمه على هيكلية مضاهية لهيكلية التشيّع العلوي، واستعار نفس القوالب الفكرية والعقائدية لهذا التشيّع بعد أن افرغها من مضمونها ومحتواها الواقعي وركّب عليها نفس أسسه ومبادئه بأسلوب ماكر وهادىء وبالاستعانة بعلماء ذوي خبرة واختصاص، وذلك لكي يتسنّى له تمرير هذه العملية على ذقون الناس، وقد نجحوا بالفعل إذ لم ينتبه الناس لعملية التبديل تلك، رغم أنها طالت كل شيء وشملت الله والكتاب والنبي والإمام وسائر الشخصيات البارزة في الدين والتاريخ، لقد تبدّل كل شيء من دون أن يشعر أي احد! والى يومنا هذا ما زال الناس غير قادرين على اكتشاف عملية التزوير التي تمّت وتمّ من خلالها تبديل اللبّ والإبقاء على القشور فقط!

ليتَهُمْ أعلنوها صراحة، وقالوا رسمياً بأن ديناً جديداً قد جاء أو إنّ فرقة جديدة قد ظهرت الى الوجود، ولكن كيف يفعلون ذلك وهم يدركون تمام الإدراك ان مسعاهم هذا لن يكتب له النجاح ولن يخدم مصالحهم ولا يحقق الاهداف التي تدور في خلدهم، ومن هنا حافظوا على جميع المصطلحات المتداولة في التشيّع (العلوي ـ الاسلامي) وحرصوا على ابقاء نفس الأصول والفروع، نفس الأسماء والشخصيات والأعلام، بل لجأوا الى القيام بعمليات تجميل واسعة لكي تبدو تلك المصطلحات والأسماء اكثر بريقاً ولمعاناً وجذابية، ولكن في ظل هذا البريق واللمعان زرقوا موادّهم السامّة والمخدّرة والتي كانت تحمل التشيّع إسماً وهي في الواقع عناصر معادية للتشيع الحقيقي ومناوئة لأهدافه، انها عناصر تشيّع (صوفيّ ـ صفويّ) تمّ تمريرها على المجتمع دون أدنى مقاومة، وذلك لأن الضمير الاجتماعي

لم ينجح في اكتشافها نتيجة لشدة التشابه وصعوبة التمييز، فعملية التمويه كانت دقيقة ومخططة ومدروسة، واندفع الشيعة وراء المظاهر الظاهرية والمراسيم الشكلية والشعائر المفرّغة من المضمون.[١]

١ ـ العترة:

الاسلام ـ لدى التشيّع ـ يقوم على دعامتين رئيسيتين: القرآن والعترة، وذلك طبقاً للحديث المرويّ عن النبي «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي» وكما هو واضح فان التشيّع العلوي آمن بالعترة من خلال ايمانه بالسنة، ان أصل (العترة) ليس في مقابل السنة ولا في مقابل القرآن، بل ولا في مرتبتهما وانما هي طريق مباشر ومأمون للوصول الى القرآن والسنة.

ان البيت الذي يوجد فيه (الرسالة) و(المرسل) معاً يظل يفتح أبوابه بوجه طلاب الحقيقة وعشاقها، انه بيت الصدق والعصمة؛ ظاهر متواضع وباطن زاخرٌ بالعظمة والجمال انه البيت التاريخي الوحيد الذي لا مجال لظهور الخداع فيه! ان (العترة) هي الضابطة والمعيار في معرفة الروح الأصيلة للاسلام ورؤية الوجه الحقيقي للنبي ومضمون القرآن واتجاهه العام؛ وهذه هي بالضبط الرسالة الملقاة على عاتق (العترة) الطاهرة.

---

(١) ثمة مدائح فارغة وتنطوي على غلو واضح ليس فيها فائدة سوى تشويه صورة الشيعة لدى غيرهم او حتى عند مثقفي الشيعة أنفسهم واتهام الايرانيين بتزييف الحقائق المتعلقة بالدين وذلك كخطوة لاختراق الدين الاسلامي من الداخل، وهذا يؤدي بالتالي الى اعطاء مبرّر للهجمات المغرضة ضد التشيّع، وأذكر هذا البيت الشعري كمثال لهذه المدائح:

أرى موسى الكليم في محل جمع أحذية زوار ابن موسى.

أهانةٌ للنبي موسى وجهل بمقام الامام الرضا (ابن موسى الكاظم).

ان قيمة (اهل البيت) ـ في التشيّع العلوي ـ لا يمكن ان تستمد وجودها من كونهم اهل البيت النبي فحسب، بل لأن هذه الأسرة الكريمة هي اسرة مثالية يتجلى فيها مفهوم القدوة في الاسلام، حيث تمثل نموذجاً كاملاً وشاملاً ومثالياً ومتعالياً للأسرة الانسانية! انها الأسرة التي يجب ان تكون مثلما يجب ان يكون الجميع مثلها ولكنهم عاجزون ولابدّ ان يروا أمامهم نموذجاً حيّاً لمثال الأسرة النموذجية والتي هي مثال حق للأسرة بحدّ ذاتها لا من منطلق القرابة من الرسول، وذلك لأن الاعتبارات الوضعية والعلاقات النَسَبيّة لا يمكن ان تكون منشأ لقيم عملية وواقعية، ان هذه العلاقات النسبية لها قيمتها واعتبارها الخاص، ولكن لو كان قيمة عليّ تقتصر على كونه ابن عم للنبي أو صهراً له، أو كانت قيمة فاطمة في كونها ابنة للنبي، فكيف يتاح لغيرهم من النساء و الرجال ان يقتدوا بهم في حال انهم يفتقرون إلى هذه القرابة والعلاقة، وكيف يمكن لهم ان يتحملوا رسالتهم العظيمة في الإسلام، وما معنى ان يترك النبي القرآن وأهل بيته كدليلين يهتدي بهما المجتمع الذي أسّسه النبي؟

اذا لم تكن هذه الأسرة مرتبطة برابطة القرابة مع النبي هل كانت ستفقد قيمتها وصلاحيتها لأن تكون قدوة لسائر الناس؟ كلّا، دون شك ان هذه الأسرة كانت ستحتفظ بكونها اسوة وقدوة حتى لو ظهرت في اليونان أو الرومان، ان اي اسرة يكون الرجل فيها هو عليّ والمرأة فاطمة والأولاد الحسن والحسين وزينب، سوف تكون هي العترة والأسرة التي تتّسم بالأصالة، وسيكون الناس بحاجة الى وجود مثل هكذا اسرة لأجل الاقتداء والتأسي بسلوكها وسيرة أفرادها، لماذا نحن نحتاج الى اسرة بهذه المواصفات؟! اننا نحتاج لذلك من اجل معرفة الاسلام معرفة سليمة في ظل تعدّد الأدعياء ووجود أمثال مروان ومعاوية وغيرهم من خلفاء بني امية

وبني العباس وحتى الشخصيات الاسلامية في صدر الاسلام أمثال أبي بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وعثمان وسعد بن أبي وقاص وغيرهم ممن يزعمون الرواية عن النبي وتجسيد سنته وحمل أمانته. فلابد اذن من وجود معيار لتحديد الوجه الحقيقي للرسالة وصاحبها.

اما التشيّع الصفوي فالعترة عنده هي عبارة عن أسرة، وهي وسيلة لتعطيل العمل بالقرآن وسيرة النبي وتشويه الوجهة الحقيقية للرسالة ولمبادئها الاولى كالتوحيد، وبالمقابل إرساء قيم مبتدعة تقوم على اساس العنصر والدم والوراثة!

٢ ـ العصمة:

هي الأصل الثاني من اصول التشيّع العلوي، وهي هنا بمعنى ان قائد الأمة ومن بيده امور الناس والمجتمع ويتحمل اعباءهم الدينية يجب ان يكون بعيداً كل البعد عن الفساد والخيانة والضعف والخوف والمداهنة على الحق، ولا يحدّث نفسه بارتكاب الرذائل ابداً. والعصمة بهذا المعنى هي قبضة محكمة تضرب على فم كل اصحاب الادعاءات الكبيرة التي لا يصدّقها واقعهم العملي والسلوكي!

ان اعتقاد الشيعة بالعصمة جعلهم على الدوام في حصانة اجتماعية فكرية تصونهم عن التلوّث بمفاسد السلطات والقوى الجائرة. لقد كانت العصمة دائماً بمثابة وثيقة دامغة لفضح وادانة جميع من كانوا يزعمون لأنفسهم خلافة النبي في حال يحكمون على نهج أباطرة الشرق والغرب. لقد ظلت العصمة والاعتقاد بها حاجباً بين الاوساط الجماهيرية وبين الحكومات التي تعمل على استغلال تلك الأوساط باسم الدين.

أما في التشيّع الصفوي، فان العصمة كانت عبارة عن حالة فسلجية

وبيولوجية وباراسيكولوجية خاصةٍ لدى الأئمة تمنعهم من ارتكاب الذنوب والمعاصي، حسناً اذا كنت أنا مخلوقاً كذلك فلن استطيع ارتكاب الذنوب، وحينذاك فما قيمة تقواي اذن؟ ما قيمة التقوى الناجمة عن العجز عن ارتكاب المعاصي، ان الجدار وفق هذا المفهوم سيكون من أتقى الاشياء لأنه لا يستطيع ان يذنب بالطبع. ومثل ذلك ما يدّعيه بعض الوعاظ واصحاب المنابر من ان السيف لم يكن يمضّ في جسد الامام، وذلك في محاولة لاختراع كرامة وفضائل للإمام غفلة عن انهم بذلك إنما يقلّلون من شأن الامام ومن مقدار شجاعته. ذلك لأن هذا الواعظ لو كان يمتلك جسداً لا يمضّ به السيف لأصبح هو الآخر بطلاً لا يدانى! بل سيكون الاقدام على الشهادة لديه اسهل بكثير من قراءته مجلس العزاء على الامام الشهيد!

ان الامام ـ في التشيّع الصفوي ـ يتمتع بنوع من العصمة الذاتية الفاقدة لأي قيمة؛ لا انسانية، لأن الامام المعصوم عاجز عن ارتكاب الذنب، ولا قيمة عملية وتربوية لان الناس لن يكونوا قادرين على التأسي والاقتداء بشخص يختلف عنهم ذاتياً.

لقد حوّل التشيّع الصفوي الائمة الى موجودات ميتافيزيقية وكائنات مجردة وغيبية مصنوعة من نوع خاص من الماء والطين، وبالتالي افرغوا الامامة من محتواها القيمي كما افرغوا الاعتقاد بالامامة من قيمته وأثره السلوكي والعملي وهو الاقتداء!

كل ذلك جرى تحت خيمة تقديس الامام وتكريم مقامه بواسطة الملالي التابعين لجهاز الحكم الصفوي، فلقد رفع الملّا مقام الامام الى مستوى الملائكة واكتشف فضائل ومناقب عظيمة جداً لمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين،

ومنح المعصومين الأربعة عشر مقاماً سامياً إذ نسبهم الى طينة وجوهر غيبي من جنس ما فوق البشر وماوراء الطبيعة، وزعم ان ذواتهم ليس ذوات انسانية وان خلقتهم ليست خلقة آدمية بل هم عناصر من النور الإلهي اكتسبت ظاهر الآدميين، وطبقاً لما زعمه الملالي فان لأهل البيت نوعين من المناقب والفضائل بعضها مختصة بهم لا يمكن أن يتحلى بها احد غيرهم والنوع الآخر هي مزايا انسانية سامية لا يدانيهم فيها أحد وان وجدت لدى انسان غيرهم فبدرجة ضئيلة وعلى طريق الاكتساب بينما تلك الصفات لدى المعصومين هي صفات ذاتية تقتضيها طبيعة ذواتهم وليست اكتسابية، ما يعني بالتالي ـ حسب هذا المنطق السقيم ـ ان أتباع الأئمة سيكونون أفضل منهم لوضوح ان المناقب الإرادية افضل من المناقب الثابتة للمرء بالجبر والطبع الذاتي أو الموروث.

من قبيل النوع الأول كونهم (ع) يعلمون الغيب وغيرهم ليسوا كذلك، وهم قادرون على تحويل عدوّهم بنفخة واحدة الى كلب أو ذئب أو خنزير او اي شيء آخر يريدون بينما لا يقدر الإنسان العادي على ذلك، مضافاً الى فضائل ومناقب أخرى تختصّ بهم مما يصعب نقله وتصوّره لما يثير من الاشمئزاز والتقزز في نفوس السامعين:

«أن في الجنة نهراً من لبن لعليّ والزهراء وحسين وحسن»!.

ومن قبيل ما ذكر أعلاه القول بان السيدة خديجة كانت بكراً لدى زواجها من الرسول خلافاً لما هو الثابت والمعروف تاريخياً من انها كانت متزوجة من قبل ولها ولد كبير، ومثل هذه المزاعم ما يقال بشأن (زوجة الامام الحسين) من انها كانت

تصير بكراً في كل ليلة ![1]

في القاموس الصفوي، ساد تصوّر آخر مفاده ان الحاكم يجب ان يكون متقياً ومعصوماً. ولما كان الوصول الى الامام متعذراً فان هذا الشرط سيسقط عن الاعتبار وإلّا يلزم التكليف بغير المقدور، وينتج من ذلك ان افعال الحكومات واخطاءها ستصبح مبرّرة لأن العصمة لا يمكن تحصيلها في زمان الغيبة. يقولون «اننا غير قادرين، لأننا لسنا معصومين، وعلينا ان نتوسل فقط». بهذه الحيلة باتت القيادة الشيعية غير مكلّفة بمراعاة جانب التقوى الشديدة. وبهذه الطريقة تم القضاء على هذا المبدأ الثوري والحضاري السامي وحذفه من مسرح الحياة السياسية والاجتماعية ورفعه الى عنان السماء وطرده من عالم الناسوت الى عالم الملكوت!

٣ ـ الوصاية:

قبل عدة سنوات، تطرقت إلى موضوع الوصاية في حسينية الارشاد وذلك في سياق بحث اجتماعي بعنوان (الأمة والإمامة)، كما اشرت اليه في احدى محاضراتي قبل شهور.

---

(١) وآخر نظرية محققة في هذا السياق ما زعمه أحد الوعاظ المشهورين لأحدى المدن حيث نفى ان تكون خديجة قد تزوجت اساساً قبل النبي وذلك على اعتبار ان جميع المؤرخين هم من اهل السنة ـ ولا تقبل شهادتهم ـ مضافاً الى ان العقل (يحكم) ببطلان ذلك لأن الزهراء لا تولد إلّا من رحم طاهر وبما ان خديجة هي أمها اذن فافتراض ان خديجة كانت قد تزوجت قبل الإسلام يخدش في سلامة هذا الأصل، وهذه هي نظرية جديدة تاريخية وتحقيقية وفلسفية ودينية واسلامية وشيعية وعلمية ومنطقية واشراقية والهامية وفيزيولوجية وباراسيكولوجية واخلاقية وعنصرية وجينية وتراجيدية وكوميدية في آن واحد، ويذكر ان هذا الخطيب المشهور يفد على مشهد كل عام ليلتين يطرح خلالهما امثال هذه المباحث وله تأثير كبير على سوقة الناس.

ان الوصاية بحسب التشيّع العلوي وما نفهمه نحن ليست بتنصيب ولا انتخاب ولا ترشيح بل هي بمعنى قيام النبي ـ من منطلق موقعه القيادي للمجتمع ـ بتحديد أفضل الأشخاص واكثرهم جدارة بتحمل عبء مواصلة المسيرة وحمل الرسالة التي جاء بها، لكي تتخذه الأمة قائداً لها وتنقاد لأوامره وتوجيهاته.

وليست هذه الوصاية بتوصية اعتباطية من حق الآخرين ان يلتزموا بها أو لا يلتزموا، بل ان الناس ملزمون بالانقياد لقيادة أنزه واعلم إنسان على وجه الأرض حسب تشخيص النبي، ولو ان الامة الاسلامية قد التزمت بمبدأ الوصاية لكان المجتمع الاسلامي بمأمن عن خطر الانحراف على مدى اثني عشر جيلاً ولاكتسب في غضون هذه الدورة التربوية الخاصة عمقاً ونضجاً اجتماعيين كفيلين بجعله مصداقاً لقوله: ﴿كنتم خير امة اخرجت للناس﴾، امة لا توجد فيها مظاهر فساد وعبودية واستغلال وخداع وتزوير، وكل فرد من افرادها يتمتع بتجربة ورصيد سياسيين ودينيين يؤهلانه لتقرير مصيره على ضوء القاعدة الاسلامية الاخرى لتعيين الحاكم وهي (الشورى والبيعة) التي ستكون بديلاً عن قاعدة الوصاية.

هذا هو المعنى الذي يفهمه الانسان الواعي من سيرة محمد وعلي حول مفهوم (الوصاية)، في قبال المعنى المقرّر لها في التشيّع الصفوي حيث تكون (الوصاية) عبارة عن نظام وراثي وسلالات حكم تنتقل القيادة فيها من الأب الى الابن ومن الاخ لأخيه ومن جيل الى جيل يليه، وعلى ضوء ذا الفهم الخاطيء للوصاية، يقال ان الامام الاول صار اماماً أول لأنه ابن عم النبي وصهره وأول السلسلة، اما الامام الثاني فصار اماماً ثانياً لأنه ابن للامام الأول والامام الثالث صار اماماً لأنه أخ الامام الثاني ومن ثم استمرت الامامة نسلاً بعد نسل، فالأصالة ليست لشخصية الوارث والموروث وانما لعلاقة النسب والقرابة القائمة بين الاثنين،

وفي هذا توجيه واضح لقانون انتقال الحكم بالوراثة وهو القانون الذي كان متبعاً ابان العهد الساساني والنسخة طبق الأصل منه أعني العهد الصفوي!

٤ ـ الولاية :

وهي في التشيّع العلوي بمعنى التزام الناس بحكومة علي بكل أبعادها وضوابطها والتبعية له والاقتداء به وقبوله كأسوة حسنة، والتسليم المطلق لحكومته ونظامه هو فقط لا غير!

أما الولاية عند التشيّع الصفوي فهي بمعنى ولاية (مولائية) نجم عنها بالتالي عناصر دخيلة مثل الاسماعيلية والعلي اللهية والباطنية والحلولية والصوفية والهندية، ولا داعي للتوضيح اكثر!

٥ ـ الإمامة :

وهي ـ في قاموس التشيّع العلوي ـ عبارة عن الاعتقاد بنظام ثوري قادر على بناء مجتمع ينهض بواجبات نظام دولي مؤهل للوقوف بوجه الانظمة القائمة، وأمّة تحمل رسالة سامية بحجم الرسالة التي تطرفت لها لدى الحديث عن الوصاية، ومصاديقها الخاصة بعد النبي هم الأئمة الذين يتحلّون بمقامات ذاتية تؤهلهم لتقلّد وسام القيادة للمجتمع وتلبية مستلزمات هذه المهمة. وبناء على ذلك فان الاعتقاد بالائمة يعني في مفهوم التشيّع العلوي أن المعتقد يأبى التسليم امام اي نظام حكومي لا ينسجم مع نظام الإمامة، وان الشيعي لا يعترف باي حكومة في زمان غيبة الامام المعصوم ما لم تكن تلك الحكومة قد اكتسبت الشرعية من خلال نيابتها عن الامام، وحكمت في الناس على ضوء الضوابط والمقررات المنسجمة مع هدف الأئمة المعصومين واسلوبهم في الوصول الى ذلك الهدف.

ولكن التشيّع الصفوي ينظر الى الاعتقاد بالائمة من زاوية اخرى يكون فيها الاعتقاد بهم ليس سوى اعتقاد بـ(١٢) شخصية من جنس ما وراء الطبيعة واثني عشر رقماً وإسماً مقدساً يجب علينا أن نحبّ أصحابها ونثني عليهم ونتقرب اليهم دون السعي الى الالتزام بالتبعية والاقتداء بهم، وذلك لاننا عاجزون عن اتباع الائمة وتقليد سيرتهم لأن ذاتهم تختلف عن ذواتنا اختلاف جوهرياً، وعليه يكون الاعتقاد بالائمة في منظار التشيّع الصفوي عبارة عن عبادة (١٢ اسماً) والتعبد بها كما نتعبّد بوجود (١٢٤) الف نبي، وبالتالي يكون بمقدورنا التعاطي مع أي نظام حكم قائم في زمان غيبة الائمة، شريطة ان يقترن ذلك مع الايمان القلبي بهم والتودد لأصحاب هذه الأسماء الاثنتي عشرة، ولا يهمّ ما سوى ذلك من نوع الحكم والنظم القائم وطبيعة التعامل مع الناس لعدم ارتباطه اساساً بموضوع الحب والتولي، فالامامة عقيدة غيبية وتاريخية ليس ذات علاقة مع طبيعة الحياة وخصوصيات الزمان والمكان!

٦ ـ العدل :

وهو هنا بمعنى الايمان بان الله عادل، وهو في التشيّع العلوي بمعنى ان كل موبقة سيكون وراءها حساب شديد كما ان كل منقبة ستكون سبباً للفوز بالثواب الجزيل.

الايمان بان الله عادل، يعني ان العدل ليس بمثابة نظام وضعي يستحدث في المجتمع ونهج سياسي أو حزبي، بل هو في التشيّع العلوي مبدأ مرتبط بالله بمعنى ان العدل هو أسّ بناء الخلقة، وعليه تتمحور الرؤية الكونية للانسان المسلم، واذا لم يكن البناء الاجتماعي راسياً على دعامة العدل فان المجتمع سيصبح مجتمعاً

مريضاً منحرفاً متزلزلاً ومهدّداً بالزوال.

اما في التشيّع الصفوي، فالعدل معناه ان الله ليس بظالم، وان يزيد سيذهب بعد الموت الى جهنم، بينما الحسين يذهب الى الجنة وليس ثمة علاقة لذلك بحياتنا الدنيوية واوضاعنا الراهنة بل هو مجرد بحث علمي من شأن الفلاسفة الإلهيين ولا علاقة له بالناس!

٧ ـ التقية:

وهي عبارة عن نوعين من التكتيك ؛ الأوّل هو (تقية الوحدة):

ومعنى التقية من هذا المنظار أن الشيعي لا ينبغي له ان يبرز موارد الاختلاف في المجمع الاسلامي الكبير لئلّا يتسبّب في إثارة الفرقة وتشتيت وحدة المسلمين. فالتقية اذن هي غطاء يلجأ اليه الشيعي في الحفاظ على عقائده من الضياع والاندثار دون ان يعرّض المجتمع المسلم الى خطر التشتت والفرقة والخصام. ولذلك يقال مثلاً انه اذا ذهبت الى مكة فصلِّ معهم، ويوصينا علماؤنا الكبار بالصلاة خلف امام الجماعة في مكة والمدينة من هذا المنطلق أيضاً. هذه هي التقية، نبذ للطائفية والتعصب، وتجنب لترويج موارد الاختلاف والمسائل المثيرة للفرقة، وتحمّل للرأي الآخر المخالف لرأيك، واحترام لأفكار الأخوة واعمالهم. التقية هي منهج لسلوك الأقلية في مقابل الاكثرية في مجتمع معين وذلك بهدف الحفاظ على الوحدة الداخلية وضمان عدم تعريض الأهداف المشتركة الى الخطر وشماتة الأعداء (ومثالها الأبرز هي سيرة عليّ حيال معارضي حكومته في الداخل). والمعنى الآخر للتقيّة هو (تقية النضال): وهي عبارة عن مراعاة الشروط الخاصة بمواصلة النضال في دورة السلبي حفاظاً على قوى الايمان (لا على نفس

المؤمن)!. ومعناه ان الشيعة يجب ان يستمروا في مزاولة نشاطهم الفكري والاجتماعي والسياسي مع رعاية جانب الكتمان وحفظ الأسرار وعدم إعطاء ذريعة للحكام الظلمة ومستمسك يسوّغ لهم إبادتهم وتدمير تشكيلاتهم بلا مبرّر منطقي ومعقول. اذن فالتقية هي منهج علمي وعملي لضمان سلامة الكيان الشيعي مقابل اجهزة السلطة التي تتحين الفرص للإجهاز على هذا الوجود والقضاء عليه. (والمثال الأبرز لهذا النمط من التقية هي سيرة الائمة ابان الحكم الأموي والعباسي).

أمّا ما تفهمه العقلية الصفوية من تقية فهو واضح ولا يحتاج الى مزيد بيان. كما ان أمثلته واضحة لديكم، وخير من عبّر عن هذا المعنى من التقية هو الشاعر مولوي في قوله:

(لا ينبغي قول الحق إلّا تحت اللحاف)!

ان المؤمن بالتقية على الطريقة الصفوية عندما يسأل عن عنوان منزله يضطرب ويذهب لون وجهه من شدة الخوف، وهو من شدة تقيته وتكتمه على معتقده يكاد ينسى الشيء الذي يعتقد ويدين به!

التقية، في التشيّع الصفوي، تعني السكوت امام كل الانحرافات واعمال الضلال والظلم التي تمارسها السلطات الحاكمة، وذلك بحجة الحفاظ على النفس من الضرر مهما كانت درجته ضئيلة ومهما تسبّب ذلك في تعطيل المسؤوليات الاجتماعية والعقائدية!

ومن هنا نجدُ ان التقية حسب التصور العلوي هي عامل وحدة وانسجام مع الأخ وكفاح للعدو، بينما هي في التصور الصفوي مبرر لشلّ ارادة الرفض والنضال أمام العدو وفي نفس الوقت هي سبب فاعل في اثارة النعرات الطائفية والفرقة والاختلاف بين الاخوة!

التقية، في التشيّع العلوي، عبارة عن تكتيك عملي يخضع لضوابط وظروف معيّنة يقدّرها القائد، ولذا قد تجب التقية وقد تحرم، بينما التقية في المنظار الصفوي هي جزء من عقائد الشيعة الثابتة والملازمة لشخصية الشيعي في كل الأحوال!

٨ ـ السنّة ونبذ البدعة:

وفق المفهوم الصحيح للسنة فان التشيّع العلويّ يعدّ أكثر المذاهب والفرق الاسلامية تسنّناً! بمعنى انه اقرب المذاهب وأضبطها في الاعتقاد بالسنّة النبوية والالتزام بها عملياً.

علي (ع) كان يعتقد بان سنة النبي لا توجد قوة قادرة على تغييرها والتلاعب بها بزيادة أو نقصان أو تحريف هذا في حال ان منافسي عليّ ممّن ادعوا حمل لواء التسنّن هم اكثر من اعطى لأنفسهم الحق في التلاعب بالسنة وعدم الالتزام بها إلّا حسب اجتهادهم، وجوّزوا لأنفسهم الاجتهاد مقابل النص وهو ما حرّمه عليّ على نفسه، بينما نجد ان عمر بالذات سوّغ لنفسه ان يجتهد في مقابل ما ورد فيه نص عن النبي خاصة في الأمور ذات الطابع السياسي والاجتماعي.[1]

---

(١) من الموارد التي اقدم عمر صراحة على الاجتهاد فيها بالرغم من ثبوت النص هو منعه لمتعتي النكاح والحج حيث قال (متعتان كانتا على عهد رسول الله وانا أحرّمهما) وكذلك قبوله التثليث في الطلاق تشديداً على الرجال خلافاً لما كان ثابتاً في عصر النبي وابي بكر وأوائل عهد عمر نفسه «نقل في (احكام الموقعين) ان سبعة عشر مورداً حصل في زمان النبي على خلاف ما حكم به عمر. ومن ذلك أيضاً زيادة مقطع (الصلاة خير من النوم) لأذان الصبح، والتكتف حين الصلاة تشبهاً بالفرس عندما يقفون امام ملكهم، واداء صلوات ليالي رمضان المستحبة جماعة، واخيراً حذف سهم المؤلفة قلوبهم، وكان عمر يتذرع عادة بالظرف الاجتماعي والسياسي لتوجيه عمله هذا.

وقد بالغ عمر في ذلك الى درجة انه منعَ صراحة عن كتابة وضبط احاديث النبي والروايات المنقولة عنه، ومنح لنفسه الحق في ذلك من موقع كونه مجتهداً وخليفة للنبي، وهذا ما يعترف به علماء السنّة أنفسهم.

في ضوء ذلك يجب القول ان التسمية الحقيقية للتشيع العلوي هو ان يقال بانه المذهب الحافظ للسنة والمناهض للبدعة، وان علياً هو أجلى مصاديق التبعية الحقة والالتزام الدقيق بالسنّة سواء على صعيد الروح والمضمون والاتجاه العام (المنهج النبوي) أو على صعيد الأحكام والأفعال والأقوال (السنّة النبوية).

غير ان التشيّع يبدو في حلّة اخرى عندما ننظر اليه بعدسة صفوية فيتحول الى فرقة ومذهب مناوىء للسنة النبوية بحيث يضع العترة واهل البيت في مقابلها. يقول أحد المعتقدين بالتشيع الصفوي: هل رأيت في هذا الكتاب نصّاً عن النبي يقول فيه (اني تارك لكم الثقلين كتاب الله وسنتي)؛ اذن من اين جئت بذلك؟! النبي قال: (كتاب الله وعترتي) ولم يقل (كتاب الله وسنتي)!

التشيّع الصفوي ينفي ـ إذن ـ وجود حديث فيه عبارة (كتاب الله وسنتي) مثلما ان أركان التسنن الأموي ينفون النصّ القائل (كتاب الله وعترتي)، هذا في حال ان (كتاب الله وعترتي) ليست سوى تفسير وتتميم ونتيجة لـ (كتاب الله وسنتي)، ويجب الاعتقاد بالاثنين معاً إذ لا تنافي بينهما، بل أحدهما مكمّل للآخر كمصراعي باب؛ لا فائدة من وجود أحدهما مفرداً!

بيد أن التشيّع الصفوي يرى ان (كتاب الله وعترتي) هي بديل عن (كتاب الله وسنتي) ولا يمكن ان يجتمعا معاً، وهذا الادعاء يساوي خطورة وسوءً ادعاء

التسنّن الأموي[1] بأن التشيّع العلوي مخالف للسنة وان الشيعة روافض يعتبرون علياً هو النبيّ بل هو الإله!

بينما يسعى التشيّع العلوي لتأكيد حقيقة ان (العترة) هي الناطق الرسمي باسم كتاب الله وسنة النبي ووجهاً من وجوه السنة وعناوينها... كم هو التناقض بين هذين التشيعين؟![2]

باختصار، اقول إن التشيّع العلوي هو مذهب السنة، بينما التشيّع الصفوي وقرينه التسنن الأموي كلاهما مذهب بدعة واختلاف وذلك لأن كليهما يمثّلان الإسلام الرسمي، غايتها ان احدهما اتخذ من (الاجتهاد) ذريعة للتلاعب بالسنة

(١) ان التسنن الأموي هو قرين التشيّع الصفوي، وكلاهما دين حكوميّ! الأول هو لتبرير الوجود الاموي في موقع الخلافة واضفاء طابع اسلامي عليه والثاني هو لتبرير وتوجيه الحكم الصفوي...

ولم يكن الدور الذي لعبه التسنّن الأموي بصعب جداً، وذلك لأن هذا المذهب كان من البداية ديناً حكومياً رسمياً ولم يكن عليه سوى طيّ المسافة من عثمان إلى معاوية ولم تكن بطويلة! اما التشيّع الصفوي فقد واجه مشكلة عويصة على مستوى التطبيق، وذلك لصعوبة ايجاد مواءمة وانسجام بين نظام السلطنة الصفوية وبين مذهب ثوري معارض للحكومات ومبتنٍ على دعامتي العدل والإمامة، إذ المسافة جدّ بعيدة بين (الحسين) وبين (شاه سلطان حسين)!

(٢) لقد منع (الخلفاء الراشدون) ضبط وتدوين الحديث واستمر هذا المنع الى زمان عمر بن عبدالعزيز، أما علي واولاده واتباعه فقد اهتموا كثيراً بضبط الحديث وتدوينه حتى انهم استشهدوا في هذا الطريق، ولكن عندما ظهر (المرجئة) وقالوا بان الذنب والمعصية لا تضرّ مع وجود الايمان القلبي، ومن ثمّ ظهرت بدعة خلق القرآن وحُبس احمد بن حنبل في عهد المأمون لانه لم يعتقد بها! ولم يطلقوا سراحه إلا في عهد المتوكل، تقرر حينها قبول كل ما ورد في السنّة وردّ ما سوى ذلك من عقائد (المرجئة) وغيرهم، عند ذاك ظهر مصطلح (السنة).

بينما اختفى الآخر وراء (العترة) لتحقيق مآربه واطماعه، وكلاهما (الاجتهاد والعترة) عنوانان مقدّسان! وهنا يكمن الخطر!

٩ ـ الغيبة :

بالأمس تحدثت في ندوة (الانتظار، مذهب الرفض) عن فلسفة الغيبة في التاريخ الشيعي والمقطع الزماني الذي حصلت فيه. الغيبة لها فلسفة دقيقة وأبعادها الاجتماعية والسياسية اكبر وأهمّ بكثير من الجانب الميتافيزيقي فيها.

في التشيّع الصفوي يحمل الانتظار مفهوماً سلبياً ويعبّر به عن منهج التسليم والتحمّل والصبر والسكوت، وفيه يكون الامام المعصوم غائباً ممّا يعني ضرورة تعطيل الاسلام ببعده الاجتماعي وعدم إعادته الى مسرح الحياة إلّا بعودة الإمام وظهوره من جديد. وذلك لان الامام غير موجود وبالتالي لا مجال لاقامة الجمعة ولا الجماعة ولا الدعوة الى الجهاد.[١]

ان نائب الإمام موجود بالطبع، ولكن وجوده ليس لأجل الجهاد وما شابه، بل لأجل جمع الحقوق و(الضرائب) الشرعية واستلام سهم الامام الغائب، اما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهما وظيفتان ساقطتان إلّا في المجالات الفردية والاخلاقيات الشخصية والنصائح الأخوية فيما يرتبط بفوائد الاعمال الحسنة ومضار الاعمال السيئة! وتجنب الخوض في المنكرات الاجتماعية من قبيل (الكلام بأمور الدنيا في المسجد) والانحرافات السلوكية نظير أكل المشمش مع

---

(١) حسب ما زعمه احد كبار الفقهاء المعاصرين فان البعض يميل الى القول بتعطيل الحدود وعدم اجراء الاحكام والمقررات الجزائية في الاسلام! «وبالطبع يقصد ان احكام الدين تعطلت منذ عام. ٢٥ هجري قمري الى حين ظهور الامام الثاني عشر».
انظروا الى ظاهرة ال(آنارشيسم) الدينية!

اللبن واسوأ من ذلك اطلاق شعر الرأس وحلق اللحية، مضافاً الى مقارعة البدع التي تظهر في المجتمعات الاسلامية وتحذير الناس من الأخطار التي تهدد هذه المجتمعات في ايامنا هذه كاستبدال منبر النبيّ بمنصة وميكروفون ومكبرات صوت وتصفيق الحاضرين! وتناول الماء اثناء الخطبة...(١)

والأهم من ذلك كله الوقوف بوجه الاخطار الناجمة عن الوحدة بين المسلمين في مقابل الاستعمار والصهيونية!

ويعود السبب في ذلك الى ان التشيّع الصفوي هو في الأساس فرقة طائفية مناوئة للمجتمع المسلم وتقوم فلسفة وجوده على اساس بثّ الفتنة وزرع الاختلاف بين اعضاء الجسد الاسلامي الواحد، والانفصال عن الجسد الإسلامي الأم الكبير، وما وجد التشيّع الصفوي الا من اجل تحقيق هذا الغرض، ويؤيد هذا التصور ان التشيّع الصفوي ظهر وتحالف مع القوى الصليبية والبرجوازية العدوانية في اوربا لضرب القوة الاسلامية الوحيدة التي كانت تتصدى لهم ولو باسم الامبراطورية العثمانية البغيضة، وقد كانت الضربة التي وجّهها التشيّع الصفوي بمثابة طعنة في الظهر، تجلّت على شكل لقاءات مشتركة بين السلاطين الصفويين وسلاطين أوربا الشرقية تمخّضت عن اتفاقات ومخططات للقضاء على العدو المشترك للمسيحية الغربية والتشيّع الصفوي والمتمثل آنذاك بالدولة العثمانية.

ومن هنا نرى ان مراسيم (التشبيه) وهي نسخة طبق الأصل من طقوس دينية يؤدّيها المسيحيون على خشبة المسرح، بدأت تتضمن لقطة جديدة يدخل في غضونها شخصية ترتدي الملابس الافرنجية من السترة والبنطال وتنضم الى معسكر

---

(١) يراجع كتاب (الروحانية في الشيعة) (روحانيت در شيعة).

الامام الحسين في كربلاء وتقاتل معهم بحماسة واستبسال منقطعي النظير!

في الوقت الذي شعرت به كل معسكرات الغربَ بالخطر يداهمها متمثلاً بهجوم الجيش الإسلامي الهادر، وبعد ان تحوّل اسم القسطنطينية عاصمة الامبراطورية الرومانية الشرقية والمركز العالمي المقتدر للمسيحية الى مدينة (إسلامبول)، فيما خضعت اليونان وبلغاريا ويوغسلافيا وغيرها الى هيمنة المسلمين وسيطرت القوات الاسلامية على البحر الابيض المتوسط وحاصرت كلاً من النمسا وايطاليا، آنذاك تعرّض التشيّع العلوي القائم على أساس العدل والإمامة والحامل لهمّ الدفاع عن الحق حيال الباطل وعن السنّة تجاه البدعة وعن الخط الإسلامي الأصيل بإزاء النظم المنحرفة التي طرأت على الإسلام وغصبت الخلافة من أهلها وتنكّرت لوصية النبي ؛ التشيّع العلوي الذي يسخط نفسياً على غصبة الحق ومردة كربلاء ويشجب فكرياً كل من يرضى بأعمالهم ويتبع منهجهم ويسير على خطاهم ؛ هذا التشيّع تبدّل فجأة الى التشيّع الصفوي وهو تشيّع يتعاطى مع كل العقائد والعواطف النبيلة المشار اليها أعلاه بشكل مختلف ويحوّلها الى أحقاد دفينة وضغائن سياسية وقومية وعداء بين العرب والترك والايرانيين. ويحيل الاختلاف بين التشيّع والتسنن الذي يعكس فى واقعه الاختلاف بين اسلام الشعب واسلام الحكومة، بين اسلام الرب واسلام الأرباب، بين اسلام النبي واسلام الخليفة المزعوم!... يحيله الى حقد أعمى بين السنة والشيعة، بين المجتمع السني الموجود الآن وبين المجتمع الشيعي الذي يعايشه، وبالتالي عمل على توظيف كل العواطف والعقد الشيعية في سبيل تحقيق اهدافه ومراميه المتمثلة باقامة الدولة الصفوية. وبدلاً من ان يوظف هذه العواطف والمشاعر الجياشة في العمل من اجل انقاذ الناس من مظاهر الزور والتزوير واقرار العدالة الاجتماعية عمد على العكس من ذلك إلى

جعلها مادة استهلاكية على الصعيدين الإعلامي والعسكري لتدعيم موقعية الجيش (القزلباشي)[١]، وايجاد رابطة وآصرة تربط بين سلالة السلطنة الصفوية وسلسلة الامامة العلوية. و بِمَنْح رجال الصفوية لقب (السيادة) ـ وهم أحفاد الشيخ صفيّ[٢] ـ تمّ ربط الدم الصفوي بآل البيت النبوي، وتحوّل الشاه عباس الفاسد، والذي لم يتورع حتى عن ابادة رجال أسرته، الى (الخضر) الموعود ليصبح فارس أحلام العوام.

لقد ظل التشيّع يرفض كل أشكال الحكم إلا ما كان ينطبق وينسجم مع نظام حكم وقيادة عليّ وأتباع علي، وقد شمل هذا الرفض ـ بحق ـ حتى حكومة عمربن عبدالعزيز الوجه الذي تمتع بتقوى وعدالة نسبية عاليتين، وذلك لأن الرفض العلويّ لم يكن رفض اشخاص بل رفض مناهج وأفكار وأشكال حكم خالفت المنهج الإلهي الأصيل، بيد إن هذا التشيّع تعرّض الى عملية تحوير شاملة انتهت به إلى أن يعتبر قيام الدولة الصفوية نصراً تاريخياً له! ومن ثمّ عمل على شدّ أزر الشاه عباس الصفوي لجهاد الأخوة المسلمين أمام أنظار الغرب الكافر!

ونظراً لأن التشيّع الصفوي يرى ضرورة تجميد كل الفعاليات والانشطة الاجتماعية في زمان الغيبة، فلقد بات من غير المبرّر الاهتمام بصلاح او فساد المجتمع وشكل الحكومة حقاً أو باطلاً، وذلك لأن حكومة الحق مختصة بحكومة الإمام المعصوم بشخصه ولأن شخص الإمام غائب بالفعل، فليس للإسلام ما يقوله

---

(١) القزلباش: اسم قبيلة اعتمد الصفويون على أبنائها في تحكيم سلطانهم وفرض هيمنتهم على إيران.

(٢) المؤلف هنا يشير ان صفة السيادة للصفويين مفتعلة هي الأخرى، والسيّد والشيخ مصطلحان مختلفان عند الشيعة، يرمز الأول إلى من يعود نسبتهم إلى النبي.

خلال فترة الغيبة عل صعيد الحياة الاجتماعية والسياسية للمجتمعات. فالاسلام صامت تجاه هذه الأمور وأمثالها، وكون الإسلام ساكتاً يفسح المجال للشاه عباس في ان يتحدث بحريّة ويقول ما يشاء دونما اشكال عليه! وهكذا أصبحت فترة الغيبة فترة تعطيل وتجميد للطاقات والنشاطات ولا ينبغي فيها سوى الانتظار والتحمل وكفى!

وبسبب انتفاء موضوعة المجتمع وموضوعة الحكومة وما لازمهما، فمن الطبيعي حينئذ أن تتحدد المسؤوليات الاجتماعية في إطار الوظائف الأخلاقية والواجبات الفردية، ويتعين على كل انسان ان يحفظ نفسه لصعوبة حفظ المجتمع، لأن القاعدة والتيار العام يؤول الى انحطاط المجتمع وزوال الايمان وانهيار النظام وتفسخ الأخلاق الاجتماعية وفساد الثقافات الى حين ظهور الامام! من هنا نرى ان الغيبة تصبح وفق هذا المنظور بمثابة صكّ غفران لقوى الهيمنة وأنظمة الجور لتفعل كل ما يحلو لها، وهي في الوقت ذاته فتوى بوجوب التسليم بل الاستسلام للأمر الواقع : أيّ شيء كان ومن أيٍّ صدر وعلى أي شاكلة!

هذا النوع من التثقيف الديني يؤدي بالتالي الى تحجيم الشعور بالمسؤولية العامة لدى أفراد المجتمع ليحلّ محلّه الاتجاه الفردي في التعاطي مع الأوضاع والمستجدات الاجتماعية والسياسية، واختزال جميع الآمال والتطلعات والأحاسيس والمسؤوليات للانسان الشيعي في دائرتين ضيقتين هما: العزاء، والعداء للسنّة، ولا غير!

هذا، بينما نرى بالمقابل ان فترة الغيبة في أفق الذهنية التي يتبنّاها التشيّع العلوي تعدّ من أحرج الفترات على صعيد تحمل المسؤوليات الاجتماعية والسياسية والعقائدية والفكرية، وبكلمة أوضح، فإن التاريخ الانساني ينقسم في

منظار التشيّع العلوي الى أربع مراحل: المرحلة الأولى تبتديء من زمان آدم (بدء البشرية) الى زمان الخاتم (نبي الاسلام) وهي مرحلة النبوة، وفيها يتحمل الأنبياء مهمة حمل الرسالة الإلهية.

اما المرحلة الثانية فتبدأ بعليّ وتنتهي بنهاية الغيبة الصغرى ـ الزمان الذي اختفى فيه الإمام الثاني عشر عن الأنظار واستمر يتّصل بالناس ويقودهم عبر وكلائه الأربعة ـ وهي مرحلة (الوصاية) بازاء اصطلاح الخلافة الخاص بالحكومات القائمة آنذاك!

المرحلة الثالثة، وتبتديء مع بداية الغيبة الكبرى عام ٣١٩ هـ، حيث اختفى الإمام لمدة طويلة مجهولة الأمد وانقطعت صلته بالناس رسمياً، وهي مرحلة الغيبة التي نحن الآن فيها.

والمرحلة الرابعة هي مرحلة ما بعد الظهور حيث تنتهي غيبة الإمام ويعود الى تولّي قيادة العالم بعد ثورة عالمية شاملة لإرساء العدالة على مستوى البشرية جمعاء.

والملاحظ ان في المرحلتين الاولى والثانية وكذلك في المرحلة الرابعة تقع مهمة حمل رسالة القيادة على عاتق النبي او الوصيّ حيث يتمّ تعيين كل منهما سماوياً لتولّي مهمة القيادة السياسية والاجتماعية والفكرية والتربوية شخصياً، بينما الأمر يختلف في ظل المرحلة الثالثة اذ لا نبي ولا وصي ظاهر، وبالتالي تقع مسؤولية الأنبياء والأوصياء على كاهل المجتمع نفسه، وعلى الناس أن يعرفوا الإسلام ويشخصوا الحق ويجروا الحدود ويديروا امر المجتمع بأنفسهم، ويختاروا الشكل الأنسب لطريقة قيادة المجتمع والأسلوب الأمثل للدفاع عن الاسلام والمسلمين ازاء الخطر المحدق بهم من اليهود والنصارى وغيرهم من أعداء الدين،

وعليهم تبعاً لذلك ان يفتحوا باب الاجتهاد وان ينفر منهم طائفة ليتفقهوا في الدين واستنباط الأحكام والقوانين وحلّ مشاكل المجتمع والتعاطي مع المستجدّات والمظاهر المعاصرة، وان يتولّوا بأنفسهم مهمة قيادة المجتمع فكرياً وسياسياً ويختاروا الرجل الأصلح والأجدر بالقيادة من حيث الوعي والكفاءة والتخصص والالتزام وينتخبوه للتصدي لمهام القيادة كبديل عن الإمام الذي هو بدوره بديل عن النبي. ما يؤهلهم للإحساس بالمسؤولية اكثر تجاه الوظائف الحساسة المناطة به، وهي بالطبع نفس وظائف الإمام ويجعلهم ذلك جديدين باقامة حكومة العلم وتحديداً العلم الملتزم كما تمنّاها افلاطون ـ!

وهكذا نرى أن الغيبة في التشيّع العلويّ هي على طرف نقيض من الغيبة في التشيّع الصفويّ الذي يدعو إلى تعطيل المسؤوليات الاجتماعية وتفويض مصير الناس الى عامل الجبر المهيمن على الزمان والمكان.

الغيبة في التشيّع العلوي تحمّل الناس مسؤوليات اكثر واكبر من تلك المسؤوليات التي يتحتّم عليهم القيام بها إبان مرحلة النبوة او مرحلة الوصاية او مرحلة ما بعد الظهور، وتضع في اعناق الناس مهامّ حساسة وخطيرة من قبيل بذل اقصى الجهد في مجال نشر الحق ومقارعة الباطل والجهاد والتربية والحكم وهداية المجتمع، ان المجتمع الشيعي يتحمل جميع هذه المسؤوليات مضافاً الى ان عليه اختيار الشخص الذي تناط به مهمة القيام بدور الإمام في قيادة الأمة نحو الصالح العام وفي إطار الاسلام. وصفوة القول ان الشخص الذي يختاره الله في مرحلتي النبوة والوصاية، يتعين على الناس انفسهم اختياره في المرحله الثالثة (الغيبة)!

في ضوء ما ذكرناه، تتبين فلسفة الغيبة في التشيّع العلوي وانها لا تكتفي بعدم تعطيل الوظائف الاجتماعية لأبناء المجتمع الشيعي بل على العكس من ذلك

تضيف اليها وظائف إلهية أعظم خطراً!

وباختصار نقول ان الامة الاسلامية تضطلع بمهمة اختيار اشخاص يتحلّون بالتقوى والورع والعلم والوعي والكفاءة للقيام بدور النيابة عن النبي او الإمام في قيادتها على الصعيد الفكري والاجتماعي، ومعنى ذلك ان مهام القيادة تناط بأشخاص ينتخبون بواسطة الناس الذين يصبحون وفق ذلك بديلاً عن النص الإلهي في تحديد مورد القيادة المعنوية والمادية للمجتمع المسلم. ان مرحلة الغيبة هي في الواقع مرحلة الديمقراطية التي تكون فيها مهمة انتخاب القائد مهمة اجتماعية يشترك جميع أبناء المجتمع في اعداد مقدماتها وتهيئة ظروفها ومزاولتها عملياً! واذا كان مصدر تحديد القيادة في المرحلتين الاولى والثانية (النبوة والامامة) يأتي من فوق فان مصدر تعيينها في المرحلة الثالثة يأتي من تحت، من صلب المجتمع ومن إجماع أبنائه على اتخاذ قرار!

١٠ ـ الشفاعة :

لقد طرحت قضية (الشفاعة) في المؤتمر المذكور وكذلك في كتاب (فاطمة، فاطمة)! من المنظار العلوي وبحسب ما أفهمه منه. وقلت هناك انني اؤمن بالشفاعة، ليس ذلك فحسب بل اعتبرها عنصراً فاعلاً وبنّاءاً في تحقيق التكامل المعنوي والتربوي والثقافي، قلت أيضاً انني لا اكتفي بقبول مبدأ شفاعة النبي والامام بشخصيهما بل أعمم ذلك لكل الشخصيات الصالحة العظيمة (الصلحاء والأولياء بالمعنى الحقيقي للكلمة اي اولئك الذين يتحلّون بروح عالية وزاخرة بالجمال والعطاء المعنوي والقيم الالهية المتعالية) وأرى ان ذلك امر منطقي يدركه العقل وتؤيده تجربتي الخاصة!

والتشيّع الصفوي يقول بذلك أيضاً، هنا وفي أي مكان آخر. فقد اكّدت في اكثر من موقع على ان التشيّع الصفوي حافظ على نفس معتقدات التشيّع العلوي غير أنه جرّ نفع وفائدة ذلك الى نفسه وبما يضرّ المجتمع ككل.

الشيعي الصفوي يقول انّ الامام الحسين وأبا الفضل العباس وزينب وعلي الأكبر والأصغر سوف يشفعون له في لحظة الامتحان النهائي.

في تلك اللحظة الحرجة، حيث يُنصب ميزان العدل الالهي ليزن بدقة بالغة الاعمال الحسنة والسيئة لكل انسان ويعلن عن النتيجة وليصدر الحكم في ضوئها على الشخص بنجاة او سقوط. هناك يعمد الشيعي الصفوي الى الغش في قاعة الامتحان، فيتواطأ مع احد المراقبين في القاعة من اقربائه او معارفه ليسرّب اليه بخفاء الأجوبة الصحيحة. أو أنه لا يتجشّم حتى عناء الكتابة فيعطي ورقته بيضاء أو محشوّة بكلام هراء من سبّ وسخرية أو طلاسم وأوراد فالولد لم يتصفح كتاباً من قبل ولم ير مدرسة أصلاً. فاذا بالنتيجة تأتي عشرة من عشرة وربما كان صاحبنا هو الأول بين سائر التلاميذ؛ وذلك اذا كانت تربطه صلة خاصة بالمشرفين على نتائج الامتحانات أو انه قد نسّق معهم من ذي قبل!

ان الشفاعة ـ في المنظار الصفوي ـ لها آثار أخطر من أثار الغش في الامتحان او الرشوة في القضاء او دفع الضرائب. فإن أقوى (واسطة) في الامتحان هي تجاهل أخطاء واشتباهات الطالب الكسول. كما ان اكثر ما يمكن ان يفعله موظف في دائرة الضرائب او قاض في محكمة هو إعفاء من يدفع الرشوة من دفع الضرائب أو من عقوبة التهمة الموجهة اليه. بيد ان الشفاعة في التشيّع الصفوي تذهب أبعد من ذلك فتمنح الجواب الخاطيء نمرة إضافية وتحوّل مبلغ الضرائب الى استحقاقات للفرد على الدولة كما تحول التهمة بقتل النفس الى معجزة بإحيائها

وذلك وفق قانون ﴿يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ حيث تفهمه الصفوية على هـذا المنوال: ان سيئات الإنسان الشيعي تتبدل يوم القيامة الى حسنات لا أنها تـمحى عنهم فقط! ومعنى ذلك بالجملة ان الانسان الشيعي يعتبر مغفلاً للغاية إذا لم يسرف في ارتكاب الذنوب ولم يسوّد صحيفة أعماله، اذ لن تكون لديه مادة وفيرة صالحة لتبديلها الى حسنات!

بالطبع، فان للشفاعة في المنظار الصفوي للتشيع ضريبة وتكاليف، وهذا امر طبيعي لأن المهمة صعبة، إذ كيف يمكن الاحتيال في امتحان يشرف عليه بصورة مباشرة الله سبحانه وتعالى ويتولى بنفسه فيه طرح الأسئلة وتصحيح أوراق الامتحان وهو الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء! ويعلم ما تبدي الأعين وما تخفي الصدور، ويطلع على ما تخفيه السرائر والضمائر وما يدور في الاذهان من خواطر، وان كل شيء عنده إلا بمقدار، يزن اعمال الخير والشر فمن عمل مثقال ذرة خيراً يره ومن عمل مثقال ذرة شراً يره، كل ذلك على أساس قرآنه الذي وبّخ فيه نبيّه العزيز، لا لشيء إلا لمجرد أنه عبس وجهه في وجه الأعمى الذي زاحمه وهو عاكف على تبليغ رسالة السماء وأداء وظيفته الالهية في هداية الناس الى الدين القويم. لم يشفع ذلك له كلّه، فاستحق التقريع والعتاب بشكل صريح وواضح وعلى مرأى ومسمع جميع الناس بل جميع من يخلق منهم إلى يوم القيامة. وهذا يعني ان الارادة الإلهية لم تكن مستعدة لأن تشمل بكرمها الواسع شخص النبي المصطفى رغم تضحياته الجسيمة وإيثاره العظيم، فتغفر له هذه (التعبيسة) حفاظاً على كرامته وحرمته بين الناس، أو على الأقل يوبّخ ولكن ليس في القرآن الذي سيبقى مقروءاً الى الأبد!

ومثل ذلك ما حصل مع نوح الذي ظل تسعمائة عام يدعو قومه الى الهدى

لإنقاذهم من المصير المحتوم الذي كان بانتظارهم، وفي تلك اللحظات وعندما كان نوح يُدخل الحيوانات والطيور ال سفينة النجاة، وقعت عينه على ابنه الذي كان في معرض الغرق في الطوفان، فسأل الله سبحانه أن يغفر له اكراماً لأبيه فجاء الردّ الإلهي حاسماً بالرفض، وجاء الجواب على شفاعة نوح النبي العظيم بتعبير قاطع وعميق ودقيق ـ لا تستوعبه العقلية الضيقة والمحدودة للشيعي الصوفيّ الصفويّ ـ: ﴿انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح﴾ !

هذا هو تمام القول في معنى الشفاعة عند التشيّع العلوي ـ وهو ليس إلّا الإسلام المحمدي ـ فلا شيء غير سنة الله التي لا تتبدّل في هداية الانسان وكشف واستخلاص كنوز الوعي والمعرفة والاحساس والقيم والقابليات الاعجازية المذخورة في فطرة الانسان والمحبوسة بين أنقاض وجوده الحيواني الظاهري، وذلك ضمن عملية التكامل المعنوي للانسان!

نلاحظ في هذه القصة ان طلب النبي نوح لم يكن اعتباطياً بل مستنداً إلى وعد الهي محدّد وذلك لأن الله تعالى هو الذي وعد نوحاً بإنقاذ أهله إذا حصل الطوفان وهيمن الماء على كل شيء.

وهذا بخلاف الطلبات الشائعة فيما بيننا والمنطلقة في الغالب من عواطف جوفاء غير منضبطة، من قبيل اننا (الأمة المرحومة) فلنا حصانة اسمها (الدمع) وضمانة اسمها (الولاية) لم يكن يتمتع بها مَنْ هم قبلنا من انبياء اولي العزم ولا حتى نبي الاسلام ووصيّه وعترته من ائمة التشيّع العلوي الذين لا يجمعهم مع إئمة التشيّع الصفوي سوى الاسم!

كلاّ، لم يتوجّه نوح ـ عليه السلام ـ الى ربّه بالمطالبة بانقاذ ابنه إلّا على اساس الوعد الإلهي السابق له بذلك: ولم يكن خطأ نوح هنا سوى انه لم يكن

يدرك بالضبط المراد الإلهي من اصطلاح (أهلك) ففسّره بما هو المعهود من هذه اللفظة بين أهل زمانه حيث تطلق على من تربطهم بالمرء رابطة الدم فيقال انهم أهله! وهو ذات الخطأ الذي ما زلنا نقع فيه نحن بالنسبة لمفهوم أهل البيت حيث نعتبر الأئمة ائمة كراماً ومعصومين فقط لأنهم ذرية النبي، ومن السلالة الأنقى والأطهر، نحن نقدّس علياً وفاطمة والحسن والحسين لأنهم (اهل بيت الرسول) فالحسين ابن فاطمة وعلي، وفاطمة ابنة النبي وعلي ابن عمه وصهره! (وكأننا ننسى أو نتناسى ان أبا لهب عمّ النبي وأولاده أصهاره، كما انّ عثمان كان الصهر المزدوج للرسول)!.

ها هنا، يبيّن الله تعالى لنوح المعنى الحقيقي للقرابة والأهلية والقومية والوراثة والشفاعة عسى ان نفهم نحن ونعتبر (ولكن هيهات كيف سنفهم وهناك من يحول بيننا وبين ذلك زاعماً ان القرآن لا يمكن ان يفهمه أمثالنا، وإلّا فما فرقه عن سائر كتب المطالعة؟!) الله سبحانه يقول لنوح ان ابنك ليس من أهلك وذلك لأن قوام الانتماء ليس باللحم والدم والتراب والنطفة والجوهر والماء والعناصر المركبة او الملّة او الطبقة أو النسب أو العلم أو المال.. كل هذه الأمور لا تصمد امام عامل أهم في هذا المضمار ألا وهو (العمل)!

وفي ضوء ما تقدم، فان البشرية تنقسم في جميع مناطقها ومراحلها الزمنية الى سلالتين أساسيتين وخطين منفصلين ينحدران من العمل الصالح والعمل الفاسد! وكلّ من كان عمله صالحاً فهو من اهل بيت نوح! ربان سفينة النجاة في طوفان الهلاك المحتّم على العالم، (كل شيء هالك إلا وجهه).. اما العمل غير الصالح فهو محكوم بالعدم والبطلان وهذه سنّة الهية، والسنن الإلهية لا تتبدل ولا تتحول، حتى الارادة الالهية لا يمكن ان تتعلق بكسر السنن الإلهية فكيف يمكن للشفاعة ان تفعل ذلك؟!

لا يوجد شيء في مسرح الوجود بوسعه ان يمنح العمل غير الصالح مصيراً يضاهي المصير المترتب على العمل الصالح. ولكن ثمة عوامل لا تحصى يمكنها ان تبدل العمل غير الصالح الى عمل صالح.

والشفاعة هي أحد هذه العوامل، وليس المراد من الشفاعة هنا شفاعة نوح وابراهيم ومحمد وعلي والحسنين وزينب فقط، بل شفاعة التراب وشفاعة الدم، كلمة الشفاعة تستبطن هذه المضامين كلّها على خلاف ما ربّينا عليه في الانظمة الاستبدادية والنبلائية إذ فهمناها وفق هذه التربية على انها عبارة عن توسط شخصية ذات جاه ونفوذ لتخليص صاحب الذنب او الجريمة من عواقب الجرم الذي ارتكبه. كلا! ليس هذا معنى الشفاعة. الشفاعة في اللغة تأتي من الشفع إلى الزوج وهي تعطي مفهوم التركيب والتوصيل بين شيئين اثنين ليصبحا شيئاً واحداً بعد ان ينضمّا إلى بعضهما ويقترنا معاً وتسري خصائص وصفات كل منهما إلى الآخر...

ان الشيعي الصفوي يؤمن أيضاً بشفاعة الحسين ولكن بأي معنى؟ انه يؤمن بها بالمعنى المنافي لمعناها الحقيقي وبالمعنى الذي يفرّغها عن مضمونها ويسلب منها آثارها...

ما المراد من شفاعة التراب وشفاعة الدم؟ الشيعي الصفوي يرى ان تراب كربلاء له خواص مميّزة ينفرد بها عن سائر الأتربة ويتألف من مواد مختلفة عن تلك التي تتألف منها الاتربة الأخرى، وربما كانت له خواص فيزياوية وكيماوية فريدة من نوعها! في تراب، كربلاء روح خفية وقوة غيبية وخاصية اعجازية ميتافيزيقية وله كرامة ذاتية جوهرية وفضائل ومناقب لا يدركها عقل الإنسان هي التي اكسبته هذه القدسية الدينية التي تفتقر اليها سائر انواع التراب.

ماوراء هذا التراب ثمة (مانا)[١] غيبية وخاصية سحرية واكسير كيمياوي يفعل في المريض فعل الدواء ويؤثر اثره في الشفاء بصورة أسرع، انه يذيب المرض مثلما يذيب التيزاب كل شيء يلامسه او يقع فيه. هذا الإكسير له فوق ذلك خاصّية تبديل الاشياء الى اشياء اخرى لها صفات وخصائص تختلف جوهرياً عن صفاتها الأولى!

ومن ثمّ فإن هذا التراب يلجأ اليه في حال أريد إنقاذ نفس شيطانية وتجنيبها خطر مواجهة نتائج اعمالها الخبيثة. وهو لذاك يباع ويشترى وبأسعار باهظة. أو يتمّ اقتناؤه عن طريق توسيط شخصيات ذات وجاهة اجتماعية ونفوذ. أو عبر إنجاز سلسلة صفقات ومعاملات رسمية او غير رسمية لأجل ان تدفن فيه جنازة متعفنة لشخصية من أصحاب الذوات. وذلك كيما تتولى هذه التربة المقدسة وبمقدار ما بذل من اجل تحصيلها من مال في حياته أو بمقدار ما كان له من مكانة أو لأولاده من وجاهة ونفوذ. فان هذه التربة ستطوّقه بنفسها وتمنع وصول منكر ونكير إليه وتعمل عى إعفائه من الحساب كليّاً او على الأقل تخفيف حسابه بشكل مؤثر وتعينه على عبور الصراط بسرعة ويخرج منتصراً من محكمة العدل الإلهي كما خرج اسفنديار من المخمصة وكأن شيئاً لم يكن!

بيد ان الشيعي العلوي يدرك جيداً ان تراب الحسين لا يفرق عن باقي الأتربة أصلاً، ليس فيه قوة غيبية وخاصية اعجازية ولا ميزة ماوراء طبيعية. انه تراب مثل سائر الأتربة. غير ان هذا التراب فيه تذكير للشيعي العلوي صاحب الروح الحسينية وللإنسان الكربلائي الحقيقي (لا الكربلائي الشائع وجوده في قاموس التشيّع الصفوي. فالفرق بينهما كبير)! الإنسان الكربلائي الحقيقي هو رجل عقيدة وجهاد.

(١) المانا: قوة تأثير غيبي في أدبيات الديانة المانوية وهي ديانة قريبة من الزردشتية.

انسان يفهم معنى الشهادة وفلسفتها، يدرك مغزى الحرية الانسانية التي يدعو اليها الحسن كما يدعو لها الدين، ويعلم ان كربلاء لم تكن مجرد مصيبة وحدث تراجيدي نستخدمه سنوياً للبكاء واللطم والغيبوبة عن الوعي وغير ذلك من المظاهر التي نكرّرها كل عام طوال عمرنا. بلى! ان كربلاء مدرسة ومنهج وخط، كربلاء ليست مقبرة للنوح ولبس السواد. انها جامعة للتربية والتعليم والبناء والتحضرّ. ليست لوحة موت وفناء انما هي لوحة حياة وحركة واحساس بالمسؤولية وشجاعة ووعي...

الانسان الكربلائي في التشيّع العلوي يعني ان يتخلص الانسان من انتماءاته الاخرى فهو ليس دمشقياً ولا مدائنياً ولا قسطنطينياً ولا كوفياً ولا بغدادياً ولا اصفهانياً، وعلى الصعيد التاريخي والحضاري هو ليس من أثينا ولا من اسپارتا ولا من بنارس ولا... ولا...

انه كربلائي وحسب! ابن هذا التراب وخريج هذه المدرسة وربيب هذه الأرض وأسير هذا التاريخ. بالنسبة لإنسان كهذا فان تراب الحسين وزيارة هذا التراب وشمّه وتذكّر هذا التراب وضمّه هو في الواقع استذكار لكلّ ما يريد منه خونة التاريخ أن ينساه! ويريدون منا ان ننساه أيضاً! هذا التراب يبعث الحياة في عقولنا الخاملة وينشط قلوبنا التعبى ويحرّك اراداتنا الميّتة ويبعث في اجسادنا الحرارة وفي ارواحنا الحياة! انه يعيد لنا انسانيتنا التي معها فقط نستحق النجاة. هكذا يشفع لنا تراب الحسين، وهذه الشفاعة ليست غشّاً في الامتحان وانما هي حثّ لنا على الدراسة المكثفة وتأهيل لنا لدخول قاعة الامتحان. الشفاعة بمعناها الصفوي إنقاذ لغير المؤهل بينما هي عند التشيّع العلوي تأهيل لمن يراد انقاذه. وشتان بين الاثنين!

ومن هنا يمكن معرفة الفارق بل الحاجز بين فلسفة الغَيْبة في المنظار الصفوي وفلسفتها في المنظار العلوي، وبتبع ذلك يمكن تحديد حجم المسافة بين التشيعين الصفوي والعلوي بمنتهى الدقة. وادراك خطورة الإكسير الذي صنعوه واستطاعوا بواسطته الحفاظ على ظواهر المفاهيم الدينية وقلب حقائقها وتفريغ مضامينها حتى بات الترياق بديلاً عن الدم!

١١ ـ الاجتهاد:

يعدّ الاجتهاد واحداً من أجلّ وأعظم المبادىء الشيعية ـ في التشيّع العلوي ـ وهو مفخرة للشيعة ومورد اعتزازهم جميعاً.

وحقيقة الاجتهاد تكمن في ان القوانين والمقررات العامة للشريعة واحكام الفقه المدونة قد لا تستوعب جميع الحالات الاجتماعية بالتفصيل نظراً لتعدد خصوصيات الزمان والمكان وتبدّلها وتبدل النظم الاجتماعية التي تنبثق عنها، ما يجعل الحاجة ملحّة لفتح باب الاجتهاد المتحرك لكي يلبّي المجتهد عبر ذلك المتطلبات المستجدة أو بتعبير الرواية (الحوادث الواقعة)، ويتاح هذا العمل للمجتهد المحقق المتفتح في عقله وتفكيره فيعكف على استنباط الأحكام على حسب القواعد العامة ومع الأخذ بعين الاعتبار روح الشريعة السمحاء وأهدافها وخصالها الكلية من العدل والمساواة وذلك استناداً الى الأصول الأربعة متمثلة بالكتاب والسنة والعقل والاجماع، ليخرج بأحكام وفتاوى تتلاءم مع الواقع الراهن وقادرة على تلبية واشباع الطلبات المتنوعة للتزود بأحكام الشريعة في مختلف الوقائع وفي كافة المجالات القضائية والاقتصادية والسياسية وغيرها.

وفي ضوء ما تقدم فان الاجتهاد الحرّ يُسهم كثيراً في عدم تقوقع الدين على

نفسه وانكماشه في زاوية ضيقة وينمّي الذهنية المتفتحة بين المسلمين لإثراء ملكة الاستنباط والاستدلال والبحث العلمي وتهذيب الروح وشحذ همة الانسان للانطلاق في عالم التكامل والسموّ الفردي والاجتماعي مواكبةً لحركة التطور البشري عبر التاريخ. الاجتهاد الحر يمثل عنصراً فعالاً في الحيلولة دون بقاء المذهب أسيراً في قوالب ثابتة قديمة الأمر الذي حصل مع المذاهب الاسلامية الأربعة لأهل السنة. لكنه ـ أي الاجتهاد ـ في التشيّع الصفوي ليس اكثر من ادعاء ضخم ولقب عظيم فارغ من المحتوى، وهو مجرد منصب رسمي ديني للمجتهد أشبه ما يكون بالبطريرك او الأسقف او الكاردينال، خلافاً للمجتهد عند التشيّع العلوي فهو عبارة عن مفكر ومحقق مجدّد وذي عقلية مواكبة لتطورات الزمن له قدرة على ان يتواءم مع حركة التاريخ والاطلاع على (الحوادث الواقعة) والمشاكل والمعضلات السياسية والاجتماعية والعلمية والفكرية والجزائية المتجددة. وهذا ما يجب ان يكون، لأن المسؤولية الجسيمة التي ينهض بأعبائها تتطلب منه ذلك، اما المجتهد الصفوي فكلما كان اكثر رجعية وتخلفاً وتحجراً وجموداً كلما كان شأن مرجعيته واجتهاده اكثر!

اذا ارتدى المجتهد الصفوي لباساً اقدم، وكان هندامه أقدم وسلوكه اقدم وحياته ونمط تفكيره اقدم وكذلك مزاجه وذوقه ولغته واخلاقه ومعلوماته، كان شأنه ومكانته وقدسيته أرفع واسمى وأعظم، خاصة إذا كان اكثر جهلاً لأصول الحياة الجديدة والاكتشافات الحديثة وتطورات الزمن الذي يعيش فيه! لا يطالع الصحف، ولا يصغي للمذياع، ولا يجيد لغة اجنبية، ولا يعلم اي شيء عن شؤون عصره، ما أروعه اذا كان كذلك! انظروا إليه! نور عليّ يطفح على وجهه وعينيه، انه ملاك من نور، ليس من أهل هذه الدنيا، انه يتعلق بعالم آخر: عالم القدس

والمعنوية والانجذاب!

ذات مرة رأيت «مريداً» صفوياً يتحدث عن شيخه (المراد) بشغف وانفعال، ويقول بشأنه انه ليس من أهل هذه الدنيا! وأنه سأله ذات يوم عن جواز الإصغاء للراديو باعتبار انه يقدم احياناً محاضرات دينية وهناك فترات دينية فيه لتلاوة القرآن أو رفع الأذان... فأجابه صاحبنا بسؤال:

لا اعلم عمّن تتحدث، وتشخيص الموضوع ليس من وظائفي كمجتهد، اذهب انت وتفحص عنه لتعرف ان كان مسلماً أم لا، وما هي معتقداته واعماله فإذا كانت سابقته حسنة لِمَ لا؟! يجوز الاستماع له، ولكن قل لي أولاً أين يرتقي صاحبك المنبر؟!

لاحظوا كيف يتغزل هذا المريد بمراده ويعتبره تحفة خالصة حباها الله إياه في هذا الزمن العصيب!

المجتهد الصفوي لا ينبغي له ان يكثر الحديث والكلام والكتابة، ولا يليق به ان يشتغل بتفسير القرآن، او يقرأ السيرة والتاريخ، لأن هذه المهام خاصة بالفضلاء وليس بالمجتهدين والعلماء!

المهمة الوحيدة للمجتهد ان يتقن (الفقه)، ولكن اي فقه وعلى خلفية أي متطلبات وحاجات ومسائل؟ النظام الاقتصادي على أساس الانتاج الزراعي والحيواني لقبائل الجزيرة في عهد النبي أما النظام الاجتماعي فعلى اساس قانون الاستعباد، اما النظام السياسي فهيهات!

التشيّع الصفوي لا يتدخل بشؤون السياسة، فقد فوّض هذا الحقل الحياتي الى السلطان! فالمرحلة هي مرحلة الغيبة الكبرى، فماذا تعني السياسة والحكومة؟

وهل لهما معنى في ظلّ غياب الامام؟! الأرجح للمجتهد إذن ان يَعكف على استنباط الاحكام الفردية التي توطّد جسور الصلة والارتباط بين العبد وربّه وليذهب العالم الى الجحيم! اسأله حول اي مسألة بشأن الحيض والنفاس والجنابة وآداب بيت الخلاء واحكام العبيد وحقوق الأسياد ستجد الجواب حاضراً على البديهة وبمنتهى التفصيل. فلقد أمضى الاستاذ الكبير زهاء ستة أشهر في مجال البحث حول آداب التخلّي فقط! اما المواضيع ذات الصلة بالسياسة والتي يمكن ان تثير سخط الشاه عباس فما شأننا بها، انها أمور دنيا. والمجتهد الصفوي انسان شديد الورع والتقوى، ولا علاقة له مطلقاً بمثل هذه الأمور!

١٢ ـ الدعاء:

الدعاء في التشيّع العلوي هو دعاء النبي ودعاء القرآن ودعاء علي ومظهر تجلّيه في دعاء الامام زين العابدين. والدعاء بهذا المعنى هو وسيلة لتلقين النفس على ان تظل طامحة دائماً الى الأهداف والطموحات الانسانية السامية واحياء هذه المطامح في نفس لداعي. الدعاء هو مجموع هذه الأهداف والطموحات المتكونة من الحكم المتعالية والأفكار السامية في معرفة الله والكون والانسان.

اما الدعاء الصفوي فهو وسيلة لتغليف مواطن الضعف والنقص والمذلّة وفي إطار اناني ضيق ووضيع! لقد كان الامام زين العابدين يدعو لأهل الثغور في ظل حكومة يزيد وطغيان بني امية. لم تكن بحوزته مسؤولية اجتماعية ولم يكن يتاح له فعل شيء لصالح الأمة والمجتمع. فمقاليد الأمور بيد أعدائه. ولكن لا شيء يمنعه من الدعاء لجنود الإسلام وحراس ثغور الدولة الإسلامية.. وعندما يتعرض

للدعاء لنفسه يدعو لها بأن لا يجعلها الله أداة بيد أعداء الإسلام! هذا هو دعاؤه كما هو دعاء شيعته!

اما دعاء الشيعي الصفوي فيقتصر على التوسل بالله سبحانه ليقضي له دَيْنه ويحفظ اقرباءه الذاهبين في سفر بعيد ويعجّل بعودتهم سالمين غانمين! جميع المسلمين يبادون اليوم في فلسطين ولكن صاحبنا اديه مسافر عزيز! زوجته او ابنه او أخوه او شريكه في التجارة ويخاف ان ينقطع به السبيل او ينفجر احد اطارات سيارته او يصيبه الإسهال نتيجة عدم مراعاة مطاعم الطريق للمقررات الصحّية... إلهي بلطفك وقدرتك التي لا يردّها شيء اجعل مسؤول الذاتية في دائرتنا يشتبه بحقّي فيمنحني أربع علاوات دفعة واحدة!

الأدعية الصفوية جميعها تدور في هذا الفلك وتنحصر في هذا الاطار الضيق المحدود، انه وسيلة للتخلص من المسؤولية والهرب منها، هو وسيلة للحصول مجاناً على ما يحتاج تحصيله الى بذل جهد وتحمل مشقة وعناء. لقد جعلت الذهنية الصفوية الدعاء بديلاً عن العمل، بينما كان النبي يجهد نفسه بالعمل ومن ثم يدعو! يذهب الى الجهاد ويقاتل ببسالة ويصاب ويصيب ومن ثم يدعو، لقد تحمل النبي عناء شهر كامل من المرابطة في الخندق، وفي أُحُد جهّز المهاجرين والأنصار وكان على رأسهم حمزة ومصعب بن عمير وأبي دجانة، وأعطى اللواء لعليّ، وتولّى القيادة بنفسه، ولكنّه خسر المعركة، لماذا؟ فقط لأن ثلّة من مقاتليه لم يعملوا على طبق ما أمرهم به، نعم عصيان أمر واحد تسبّب في تلك الخسارة الجسيمة! بينما يريد صاحبنا هنا ان يحقق بالدعاء وحده جميع آمال وتطلعات المسلمين!

إن من حق أي انسان عاقل ومتفتح أن يرفض هذا المنهج، ومن الطبيعي جداً أن يسخر من أصحابه والمتمسكين به، بينما هو مضطر الى ان يقدر ويحترم المنهج

الآخر: منهج محمد وعلي اللذين كانا يقومان بجميع وظائفهما وعلى أتمّ ما يكون ومن ثم يرفعان أيديهما إلى السماء!

١٣ ـ التقليد:

التقليد ـ في التشيّع العلوي ـ كان مبدأ في غاية الأهمية في مجال قيادة الأمة في العهود التي كانت كل مراكز القوى الرسمية حكراً على ابناء الطائفة السنّة ولم يكن للشيعي الحق في التصدّي لأي منصب ريادي يتمكن من خلاله من الدفاع عن وجوده الحضاري والاجتماعي، وكان ـ التقليد ـ في الوقت ذاته عنصراً فاعلاً جداً في الحيلولة دون انهيار الوحدة الفكرية للشيعة مضافاً الى ما يتيحه للعلماء من الحرية في الاجتهاد والاستنباط (على خلاف ما نراه اليوم من الإجهاز والقتل المعنوي لكل من يأتي بفكرة جديدة أو حتى باصطلاح جديد) وكان الاختلاف الفكري أمراً طبيعياً للغاية حتى انه يمكن القول ان الاختلافات الاجتهادية والمناظرات والاعتقادية بين علماء الشيعة الكبار كالسيد الرضي والسيد المرتضى والشيخ الكليني ربما كانت اكثر حدّة من الاختلافات بينهم وبين علماء المذاهب الأخرى. ولقد أسهم ذلك كثيراً في إثراء الحركة الفقهية وتكاملها في اطار التراث الشيعي، بما يحقق مصداقاً واضحاً للحديث المروي عن النبي (اختلاف علماء امتي رحمة).

وفي هذا الصدد يقول (عبد الرحمن بدوي) عالم سنّي معاصر: ان التشيّع هو مذهب الرؤية المعنوية والنهضة الروحية الفكرية. وان شأن التشيّع هو النفوذ الى عمق القوالب الفكرية المذهبية والوصول الى لب لبابها. وانه يتيح للباحث المفكر عدم التقيد بالقوالب السائدة والتحرر في البحث والتحقيق للوصول الى شيء جديد

اعتماداً على القاعدة القائلة (للمصيب أجران وللمخطيء أجر واحد).

وهكذا نفهم ان الباحث الذي يبذل جهده في الوصول الى الحقيقة فله اجر وثواب حتى لو لم ينجح في الوصول إليها، وهذا انما يعكس مدى الاهتمام والاحترام الذي يوليه الدين الاسلامي والتشيّع على وجه خاص لمهامّ البحث العلمي، ومنه نكتشف سعة الفجوة بين نمط التفكير السائد هذه الأيام وبين ما كان عليه قبيل ظهور التشيّع الصفوي، والأنكى من ذلك ان هذا الجمود والتعصّب والتحجّر ينتشر باسم الإسلام ليبلغ درجات مثيرة للقرف من قبيل الاعتراض على المحاضر لمجرد انه يشرب الماء خلف المنصة، والاعتراض على آخر لأنه ألقى محاضرة جيدة حول صاحب الزمان إلا انه استخدم فيها اصطلاحاً يثير امتعاض احد وجهاء المنطقة، والاعتراض على ثالث لأنه تحدث عن قيمة الدعاء والمناجاة وكان موفّقاً في الحديث لولا أنه انتقد ضمن ثنايا حديثه مطلباً وارداً في هامش لكتاب ألّفه أحد الوعاظ المشار إليهم بالبنان، وما كان ينبغي ذلك! في التشيّع العلوي، يكون العالم الباحث حرّاً في اجتهاده، وعلى العاميّ ان يقلّده، وهذه منظومة اجتماعية علمية جديرة بالتقدير، بينما التقليد في التشيّع الصفوي يعني ان يكون الناس جميعاً صماً بكماً عمياً بازاء من يرتدي اللباس الرسمي المعترف به من قبل أجهزة السلطة، ولا يجوز لغيره ولوج هذا الباب ليس في المجالات الفقهية الفنية وحسب بل حتى في مضمار فهم واستنباط القضايا الاعتقادية التي يفترض ان كل انسان يكون مطالباً بنفسه بالاجتهاد فيها[1].

---

(١) وردت في مجلة (مكتب اسلام) الصادرة في قم اتهامات (أخّاذة) ضد كتابي (معرفة الاسلام = اسلام شناسي)، حاول فيها الكاتب من خلال تحريف ما جاء في الكتاب ان
⇔

ومن ثم يقوم هذا العالم الرسمي بتقرير جميع الأصول العقائدية والاحكام الشرعية والنظريات العقلية والاجتماعية ويقدمها للملأ على شكل تعليمات إلزامية يجب على العوام اتباعها دون السؤال عن مستند أو دليل. وهكذا يتضح لنا ان التشيّع العلوي لا يؤمن بالتقليد في باب الأصول والعقائد، ويحصره في دائرة الأحكام الشرعية والفروع، بل يذهب أبعد من ذلك ولا يسوّغ التقليد إلّا في تفاصيل الفروع وفروعها حيث توجد مجال لاختلاف العلماء حولها. أما فروع الدين الثابتة كالصلاة والصوم والحج فلا مجال للتقليد فيها لأنها مسلّمة وضرورية، اذ من الثابت عدد ركعات الصلاة وأركانها والأذكار الواردة فيها ولا يمكن التقليد في ذلك. اذن ما هي الموارد التي يجوز فيها التقليد؟! الجواب يجوز التقليد في مثل الجهل بعدد الفراسخ التي ينبغي طيّها لتحقق المسافة الشرعية التي توجب قصر الصلاة وترك الصيام، أو في المسائل المستحدثة والتي ليس لها موضوع في السابق حيث يتعين على الفقيه استنباط حكمها ويتعين على المقلّد ان يلتزم بحكم الفقيه فيها من قبيل احكام البنوك والمصارف واليانصيب والسرقفلية وما شابه ذلك.

اما في التشيّع الصفوي فيتعين على المرء ان يكون تابعاً ومقلداً أعمى في جميع الأمور والمجالات لـ(الروحاني) الذي يعيّن ـ عبر الفتاوى التي يصدرها على نحو دساتير مقتضبة وقاطعة ـ كل ما يتعلق بافكار الناس وعقائدهم واحاسيسهم وامزجتهم وطبيعة حياتهم الفردية والاجتماعية والسياسية والاخلاقية والتربوية...

↔ يتهمني باتهامات زعم أنه يسجّلها عليّ منذ سنتين، مفادها أنني في البحث المتعلق بالشورى وانتخاب الخليفة خلطت بين مفهومين للاجماع احدهما خاص بهذا البحث ويعني اجماع الأمة والآخر خاص بباب الفقه ومعناه اجماع الفقهاء على الحكم في مسألة شرعية معينة، وانهال عليّ بالهجوم، وعندما أجبته عى الاتهام كتب لي ان هذه الأمور داخلة ضمن اطار اختصاصنا ولا ينبغي لك ان تعترض لأنك خارج اطار هذا الاختصاص!

خذ على سبيل المثال كاتباً مختصّاً بالعلوم الطبيعية الرائجة هذه الأيام على نطاق واسع وهو في الوقت نفسه إنسان متديّن له معرفة وإلمام بالقرآن ويريد ان يبحث بحثاً علمياً في موضوع التكامل، ليخرج بنظرية جديدة حول خلق آدم، وذلك في بحث علمي فلسفي يمثل عصارة جهده واختصاصه العلمي، مدعوم بمئات الأدلة والشواهد العلمية والقرآنية.

انا لا أزعم هنا ان الكتاب عارٍ عن النقص ولا مجال للنقد والاعتراض عليه ولكن من جهة اخرى فانّ الكاتب انسان ملتزم وصاحب نظرية في مجال اختصاصه في المعرفة والانسان والقرآن، ولكن الذي سوف يحدث على الخط الصفوي ان مقلّداً جاهلاً غير قادر على قراءة الكتاب قراءة واعية سيقتطف عدة عبارات من الكتاب ويدوّنها على ورقة صغيرة ومن ثم يذهب الى (الروحاني) يستفتيه عن الكتاب وما فيه. لن يقول له صاحبنا ان هذا الأمر خارج عن صلاحيتي واختصاصي وانه يرتبط بعلم التفسير والعلوم الطبيعية وأن مجال تخصصي هو الفروع الفقهية، بل سيبادر الى اصدار فتواه على ضوء الاستنتاج الذي توصل اليه ذلك الانسان العامّي والذي استفتاه حول الكتاب وصاحبه، وسيأتي الجواب سريعاً وعلى الفور بان عقيدة صاحب الكتاب فاسدة وتنافي صراحةً نص القرآن وروايات المعصومين، وعلى المؤمنين كافة ان يحولوا دون انتشار هذا النمط من كتب الضلال!...

وفجأة يجد المؤلف المسكين نفسه أمام ورطة كبيرة. فالرجل أراد أن يستثمر قدراته العلمية والمعلومات التي اكتسبها بفعل احتكاكه بالمحافل العلمية الدولية، ليوظفها في اكتشاف نظرية قرآنية يطرحها على الصعيد العالمي بعد ان كانت يتمّ تداولها بشكل محدود ومبتور في المجالس والتكايا والحسينيات، وبعد ان امضى

عمره وأضنى جهده في البحث والتدقيق العلمي في هذا المضمار وتوصّل الى إثبات الفرضية يجد الآن نفسه في مقابل ثلة من المؤمنين المتحمسين وهم يحملون بأيديهم نصّ الفتوى التي وزّعها عليهم المجتهد الذي يقلدونه ويتحول البحث العلمي الى (بحث عملي)! وكان الله بعون الكاتب المسكين!

لقد كلّف (الروحاني) الصفوي هؤلاء المؤمنين بالمتابعة (العملية) لصاحب هذه النظرية (العلمية) والنتيجة الطبيعية لمثل هذا التكليف ان يوقف الكاتب وسط الشارع ويؤخذ بتلابيب قميصه ويُخاطب بالقول: عديم الدين! تزعم ان القرآن فيه تكامل؟ وهل كان القرآن ناقصاً لكي يتكامل شيئاً فشيئاً، وتقول أيضاً أن آدم تكامل أيضاً والمخلوقات تتكامل أيضاً. فهل الباري عزّوجل يخلق اشياء ناقصة حتى تتكامل بالتدريج وبفعل الطبيعة؟! تبّاً لك يا عدوّ الله والدين والقرآن و... (إنا لله وانا اليه راجعون)!!

ذات يوم كنت مارّاً في احد شوارع مدينتنا مشهد، فإذا بي أسمع اسمي واسم كتابي يذكر بحنق عبر مكبرات الصوت لأحد المجالس المذهبيّة. (ان من عادة هؤلاء ان لا يواجهوا صاحب الكتاب او النظرية ويتهرّبوا من النقاش معه وجهاً لوجه، ويفضّلوا طرح آراءهم النقدية في مجالس النسوة ومحافل العزاء وتكايا اللطم وعلى مسمع البسطاء الذين يأتون إلى مثل هذه التجمعات لتناول الشاي وسكب الدمعة وربما الفوز بإغفاءة سريعة هروباً من زحمة السوق. قرّرت الدخول في المجلس المنعقد للنيل منّي فوجدت ان المستمعين هم من النوع الذي لا احتمل ان يوجد بينهم من يستطيع التعرف عليّ، انتهت فقرة توزيع الشاي وبدأت فقرة النوم! ولم يحن بعد أوان فقرة النوح والبكاء، أراد الواعظ ان يشحن جوّ المجلس لإيقاظ من نام من الكسبة البؤساء والقرويين الغرباء، فصرخ بأعلى صوته: لقد

انتهى كل شيء! لقد ضاع شبّانكم وضيّعت الجامعات ووصلت اليوم النوبة الى السوق وغداً سيدخلون بيوتكم، وأنتم نائمون!!

سوف تسري إليكم (معرفة الإسلام) ـ ويقصد كتابي ـ وعليكم ان تحصّنوا انفسكم بتناول المضادات، فالوقاية خير من العلاج! إنكم لا تدرون ماذا جلب هذا الكتاب للإسلام من مصائب، مؤلّفه يزعم ان حركة الانسانية في الاسلام والقرآن والتاريخ والمجتمع تعتمد على أربعة عوامل: السنّة والصدفة والشخصية والناس! لاحظوا أولاً ان الكاتب لم يأتِ على ذكر الله أصلاً، يعني ان المشيئة الإلهية ليس لها دور في حركة الحياة، لم يتطرق الكاتب الى ذكر النبي ولا ذكر (المولى)[1] ولا ذكر الائمة المعصومين. ماذا لديه اذن بدلاً من الله والرسول والقرآن والدين والإمام، الجواب: الناس! بلى! ليس لله أثر ولا للأنبياء ولا للأئمة المعصومين، الأثر كله للناس، هم الذين يصنعون المعجزات ويرسمون المصير... الناس فحسب!

ها هنا ينتبه المؤمنون الحاضرون في المجلس وأغلبهم من القرى الحدودية المتاخمة لأفغانستان ويكتشفون الأثر العجيب والخاصية الفريدة التي يتصف بها ال(الناس)[2] وربما كان بعضهم واقعاً تحت تأثيرها ويعيش في نشوة وفرّتها له علبة ال(ناس) التي يحتفظ بها في جيبه!

وبالتالي فهم سيلمسون بالوجدان قوة النقد الذي يوجّهه المتكلم ربما أكثر من المتكلم نفسه ويتمنّون لو أنهم يَحْظَون في تلك الساعة بالكاتب (فيعلّموه) جيداً ان ال(الناس) لا يروّج له في السوق بهذه الطريقة المبتذلة حيث يؤلف كتاب كامل

(١) اشارة الى الإمام علي.

(٢) لجأ المؤلف هنا الى استغلال التشابه بين لفظة الناس بمعناها المعروف في العربية وبين معنى لها عند أهل تلك القرى يطلق على مادة مخدرة يتعاطونها هناك!

يروّج لهذه المادة الزهيدة المتكونة من الرمل والزرنيخ... ويرفعها الى مصافّ الله والرسول والائمة الطاهرين!

التقليد، في التشيّع العلوي، لا يكون إلّا في المسائل الفرعية العملية، وهو عادة ما يكون على شكل ابداء رأي كلّي وبيان مفهوم ذي طابع عام، فمثلاً يفتي الفقيه بحسب الضوابط العلمية والموازين التي لديه بجواز الاشتراك في الانتخابات وعدم جوازه، أو جواز الدخول في معاملات مع الأجانب الذين لهم الأثر الاجتماعي والاقتصادي الكذائي وعدم جوازه، او امكانية مطالعة الكتاب الفلاني لكاتب غير مسلم او غير شيعي او عدم امكانية ذلك، او انه هل يجوز لنا أو لا يجوز حضور المحافل التي يجرى فيها الحديث عن ضرورة توحّد المسلمين لمواجهة المستعمر الغربي. وفي كل هذه المسائل وامثالها تكون مهمة تشخيص الموضوع والمورد بعهدة عقل المكلف المقلّد.

بيد ان هذه المهمة ـ في التشيّع الصفوي ـ تكون هي الاخرى من مهامّ وصلاحيات (الروحاني) وعلى المقلّد ان يستفتيه فيها ليجيبه جواباً فورياً صريحاً فيقول لمقلّده مثلاً: اعطِ رأيك لفلان لأنه رجل صالح! ولا تنتخب فلاناً من الناس لانه انسان منحرف، وعليك ان تقرأ الكتاب الفلاني لأن مؤلفه هو عماد الدين وثقة الاسلام والمسلمين ومروج احكام الدين المبين وغير ذلك من الألقاب المجانية! واذا بنا نتصفح الكتاب فنعثر فيه على رواية منقولة عن النبي: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من أكل البطيخ وجبت له الجنة)[١]. أو ينهاه عن مطالعة الكتاب الفلاني لأن مؤلفه لم يتطرق للتعريض بالصحابي الفلاني والقول بأنه كان مبتلىً بالمرض الفلاني، ومن خلال ذلك يعلم ان عقيدة المؤلف فاسدة وربما كان

(١) يراجع كتاب: (راه بهشت = طريق الجنة) طبع مشهد.

وهابياً لا يؤمن بالولاية ! صحيح ان المؤلف له مؤلفات وبحوث عديدة في اثبات اصالة التشيّع وأحقّية المذهب والغدير والوصاية وأرجحية أهل البيت وعدم صلاحية مناوئيهم لخلافة النبي، وصحيح أنه سخّر قلمه ولسانه للدفاع عن التشيّع بالحكمة والدليل وبالأسلوب المعاصر، غير ان امامة اهل البيت وولايتهم ممّا لا صلة له بالدليل ومنطق البرهنة والاستدلال، ولا تُنال مثل هذه الأمور وتدرك إلّا بتوفيق من الله عزّ وجلّ ـ يؤتيه من يشاء ويمنعه عمّن يشاء، ومن كان لديه هذا التوفيق الالهي لا حاجة له بالدليل والآية والحجة، وكل من سوّد الله قلبه ولم يكن مستحقاً للفوز بالهدى ونوال هذه المكرمة الإلهية فلن ينفع معه الدليل ولا يمكن ان يهتدي إلى الحق بالمنطق والحجة والاستدلال، لأن قضية الولاية هي بالأساس أجنبية عن مضامير البحث العلمي والاستدلالات العقلية والذهنية، انهاقضية قلبية وتعبّدية ! دعك من ذلك كلّه، فالتولّي لأهل البيت والتبرّي من أعدائهم لا يتمّ بايراد مئات الأدلة والشواهد التحليلية التاريخية على خطأ سياسة عمر وأبي بكر وبطلان الشورى وادانة مؤامرة السقيفة وبيان الخطوط العامة لمنهجية عليّ، بل هو يتمّ من خلال التعرّض للخلفاء وسبّ الصحابة والتعريض بزوجة النبي وما شابه ذلك من الأعمال التي تعدّ علامة للانسان الشيعي !!

(بعض المتظاهرين بالوعي يقولون انه ليس من المصلحة التطرق لمثل هذه الأمور والتصريح بها، وجوابي على هؤلاء ان هذه المسائل يتمّ تداولها يومياً وعلى نطاق واسع وهناك من يعمل ليل نهار من اجل تكريسها كواقع وصفة ومَعْلم من معالم التشيّع، وانا اعتقد ان من الواجب على كل انسان يشعر بالمسؤولية حيال مصير التشيّع العلوي ويهمّه حفظ وصيانة كرامة وشأن علماء الشيعة الحقيقيين ان يتصدى لمواجهة هذا التيار المدمّر، ولا أدعو الى ان يستخدم نفس اسلوبهم في

الشتائم ويضيّع وقته بالجدال معهم، بل ارى أن المهم هو أن تفكك المغالطات التي يضعونها ويبيّن للعالم ان هذا المنطق هو منطق التشيّع الصفوي، والتشيّع الصفوي هو فرقة خاصة دخيلة على التشيّع العلوي ولا تمت بصلة حقيقية إليه، وذلك لكي يفهم كافة العلماء المنصفين في العالم ان للشيعي العلوي منطقه السليم وقدرته على اثبات ولاية عليّ وأحقّيته واصالة العترة وضرورة الايمان بالإمامة والعدل والانتظار والشفاعة ونقد المنهج الفقهي السنّي ونقد الدور التاريخي الذي لعبته المذاهب السنية باسلوب علمي رصين بعيد عن المهاترات ومنصف يقبله العقل والقرآن والوجدان الانساني ناهيك عن الوجدان الإسلامي الذي يفترض أن يتحلّى بحيوية ونقاء أكثر.

وسوف يساعد ذلك ايضاً على إلفات نظر الشرائح المثقفة في مجتمعاتنا والتي تعتمد العقل والمنطق واللغة المعاصرة والسلوك العملي والتوجه الفكري والاجتماعي العام ودرجة الأدب والانصاف، معاييرَ في الحكم على الدين وبخاصة الدين الاسلامي والتشيّع على نحو أخصّ. من اللازم إلفات نظر هؤلاء إلى الخطأ الذي يقعون فيه بعدم التمييز بين علماء التشيّع الحقيقيين وبين (الروحانيين) الرسميين الذين هم إفراز لنظام التشيّع الصفوي المقيت ونتاج للتشيع الحكومي الذي ظلّ مهيمناً على حركة التشيّع طوال القرون الثلاثة الأخيرة، وهم يمثّلون الوجه الآخر للروحانيين الرسميين من متعصّبي السنة الوارثين للتسنّن الحكومي الذي ظلّ ميهمناً هو الآخر على حركة التاريخ الاسلامي طوال ثلاثة عشر قرناً تلاقف الخلافة فيها بنو امية وبنو العباس وبنو عثمان، وأنتج بالتالي طائفة من الملالي وأنصاف العلماء من المغرضين الحاقدين وفي الغالب العملاء المأجورين والمأمورين ببثّ سموم الفرقة بين ابناء الدين الواحد والعاكفين على تشويه سمعة

الشيعة عبر الاستناد الى آراء وسلوكيات اجهزة الإعلام الديني الصفوية[١]، وتلطيخ صورتهم في أذهان اخوانهم المسلمين في شتّى أصقاع العالم الإسلامي الكبير، وذلك من خلال اتهام التشيّع بأنهم مركب من المجوس واليهود يختبيء وراء لافتة اهل البيت لتوجيه ضربة غادرة للإسلام وانهم يعتبرون القرآن ناقصاً ولا يتورعون عن التعريض بناموس النبي ونسبة الكفر الى الصحابة والقول بان الخلفاء منافقون وخونة ومشركون ولم يدخل الايمان في قلوبهم طرفة عين...

الشيعة لا يؤمنون بالصلاة مع المسلمين ويعبدون عليّاً، ويعدّون جبرئيل خائناً لأنه كان مأموراً بابلاغ الرسالة الى علي ولكنه قام بتبليغها الى محمد! الشيعة يعبدون التربة ويستشفون بالقبور ويشيّدون للأولياء أضرحة ليطوفوا حولها بدلاً من الطواف حول الكعبة، ويتقربون بالنذور لغير الله ويعتبرون ائمتهم شركاء لله في خلق الموجودات وتسيير امور الكائنات وطلوع الشمس ونزول المطر ونبات الشجر، ولهذا وغيره فالشيعة مشركون واعداء للاسلام والمسلمين والقرآن والرسول...

سنوياً، يجتمع علماء التسنن الأموي هؤلاء في سورية وعلى الغالب في السعودية خاصة في موسم الحج حيث يجتمع المسلمون من أقطار الدنيا في مكة فيستثمرون الفرصة في طباعة ونشر مئات الكتب والبيانات واعداد البرامج الاذاعية والتلفزيونية والخطب والمنشورات التي تحمل بين طياتها سموم الفرقة بين ابناء الدين الواحد وتحريض المسلمين على بعضهم وعلى الشيعة بالخصوص مستندين إلى كتابات رجال التشيّع الصفوي، وعلينا ان نعلن للعالم كلّه ان الحرب الدائرة هذه

---

(١) يراجع لهذا الغرض، البيان الذي أصدرته ثلة من أبرز وجوه التشيّع الصفوي ضد حسينية الإرشاد، وخاصة ما ورد على هامشه بقلم احد ابرز علماء الخط الصفوي من نقد لكتاب (معرفة الاسلام) ومن استدلالات في الدفاع عن التشيّع والهجوم على التسنن!

الأيام بين المسلمين ليست حرباً بين التشيّع العلوي والتسنن المحمدي، وانما هي حرب بين التشيّع الصفوي والتسنن الأموي وهي انعكاس مباشر للحروب التي دارت بين الصفويين والعثمانيين على مدى قرون واستخدمت فيها العواطف الدينية من قبل الدولتين لأغراض سياسية تخدم اهدافهما ومطامهما التوسعية والقومية.

وثانياً ان هذه الحرب التي تمّ احياؤها هذه الأيام بين دول العالم الاسلامي، ونظمت برامج ومخططات وانفقت اموال طائلة لأجل تأجيجها، تأتي مباشرة عقب اندلاع الحرب بين المسلمين والصهيونية وتبلور المشروع الداعي الى توحيد المسلمين في أذهان عموم المسلمين على الخصوص العلماء الواعين المخلصين من انصار التشيّع العلوي والتسنن المحمدي، وان المخطط الراهن هو مخطط استعماري غاشم هدفه بث الفرقة بين المسلمين واثارة الفتنة خلف الجبهة الاسلامية الموحدة وذلك لكي ينشغل المسلمون عن الخطر المشترك الذي يحيق بهم متمثلاً بالصهيونية!

ومن هنا نفهم مغزى الدعوات التي انطلقت أخيراً لتقول للسنة ان الخطر المحدق بالاسلام يأتي من جانب التشيّع، وتقول للشيعة ان الخطر الذي يهدد الاسلام يأتي من جانب التسنن! ولعمري ان العدوّ لا يحلم بوضع أفضل من أن تنشغل القوات المعادية له بالاقتتال فيما بينها في الخندق المقابل له ليتاح له الهجوم عليها في ظل الجدل القائم بين ابناء الخندق الواحد. فيمسك الشيعي بتلابيب السنّي ويعنّفه بالقول إنك توالي من كسر ضلع الزهراء، ويعيد السنّي الكرة الى ملعب الشيعي فيتّهمه بأنه يتعرض لعمر وأبي بكر والصحابة ويعلو الصياح والضجيج ولا تنجلي غبرة المعركة إلّا عن قهقهة العدوّ معلناً انتصاره واحتلاله للضفة الغربية للنهر!

موسم الحج:

في العالم الماضي، سمعت في مسجد النبي بالمدينة أحد وعاظ التسنن الوهابي ـ وهو وريث التسنن الأموي والاسلام الحكومي ـ وكان يحرّض بسطاء الناس من المسلمين ويستفزّ مشاعرهم المتحمسة للدين بالقول:

(هؤلاء الروافض ـ تهمة يلصقونها بالشيعة ـ أسوأ من اليهود. فاليهود عدوّ ظاهر ومنظور، ولكن الشيعة عدو خفيّ. اليهود يسلبون الأرض منا ولكن الشيعة يسلبون القرآن، الميرزا حسين النوري احد احد اكبر علماء الشيعة ومحدّثيهم ألّف كتاباً في الردّ على القرآن قال فيه: ان هذا القرآن محرّف ولا يمكن الاعتماد عليه، لقد حذفوا منه اشياء عديدة، والقرآن الحقيقي هو عند الأئمة وهو الآن عند الإمام صاحب الزمان وهو غائب مثل الإمام! ان اليهود يقتلون رعايانا ويأسرونهم، أما الروافض فهم يهتكون كرامة اصحاب النبي وازواجه، اليهود كذا والروافض كذا...).

إذن فالشيعة ـ لدى المسلمين ـ شرّ من اليهود، فهم اعداء من الداخل ومنافقون، والمنافق شرّ من الكافر!) وفي العام نفسه وقبل استماعي لهذا الواعظ بحوالي شهرين وبالتحديد في شهر رمضان سمعت احد وعاظ التشيّع الصفوي يتحدث في احد المساجد بحماس يشبه حماس صاحبه (الوهابي) ويحرّض البسطاء أيضاً بالقول:

(هؤلاء النواصب ـ تهمة يلصقونها بالسنّة ـ هم اسوأ من اليهود! فاليهود كفار، لا يؤمنون بالنبي ولا بالإمام ولكن ليس لديهم بغض وعناد شخصي، أما السنة فهم اعداء اهل البيت، اريد ان أوجّه سؤالاً لمن يقولون ان المسلمين يجب ان يصبحوا يداً واحدة، اريد أن أسأل هؤلاء واسألوا معي أيضاً وليجيبونا ان استطاعوا: هل اليهود هم الذين أشعلوا النيران ببيت فاطمة الزهراء، هل الصهاينة عصروا بنت

النبي خلف الباب، هل الاسرائيليون هم الذين أسقطوا منها جنينها المحسن؟)...

وهنا قرأ عليهم الواعظ تعزية ساخنة حرّكت عواطفهم واستفزّت مشاعرهم وعلا صوت النياح والبكاء واللطم على الرأس والصدور، وفي هذه الأثناء صرخ بهم بأعلى صوته:

قولوا لهم ـ والمقصود نحن! ـ من أعطي فدكاً للزهراء ومن منعها اياها؟! هذا هو التاريخ، تاريخهم الذي يعترفون ويقرّون فيه بأن (فدك) كانت مزرعة يملكها اليهود وقد وهبوها للنبي بلا حرب ولا ضغط ولا تهديد، قدّموها بأيديهم هدية للنبي ولكن السنّة هم الذين انتزعوها من اهل البيت عنوة!).

أعود وأقول ان الحرب الدائرة حالياً بين الشيعة والسنة هي في الواقع حرب بين التشيّع الصفوي والتسنن الأموي، والهدف منها هو إشغال المسلمين عن الصراع القائم بين الاسلام والاستعمار بين المسلمين والصهاينة، ان التزامن بين الحربين والتضامن بين الجبهتين أمر واضح لا غبار عليه لمن له أدنى اطلاع بمجريات الأحداث في عالم اليوم. وإن اثارة قضية (غصب فدك) في هذه الأيام بشكل غير طبيعي ـ وكأن العملية وقعت اليوم ـ هو في الواقع مسعىً مغرض يراد من ورائه لفت الأنظار عن حادثة (غصب فلسطين).

لقد تعرّضت بنفسي الى بيان وشرح حادثة غصب فدك في كتاب (فاطمة، فاطمة) وبيّنت حجم الفاجعة والسبب الذي كان وراءها، وفلسفة اهتمام فاطمة (ع) بهذه القضية ومتابعتها بجدية واصرار، واعتقد انه يجب إثارة هذه القضية في كل مناسبة، وتحليلها تحليلاً علمياً تاريخياً اجتماعياً، بيد أن ما يجري الآن هو حملة اعلامية مغرضة يقودها رجالات التشيّع الصفوي، وهدفها اثارة مشاعر الشيعة ضد اخوانهم السنّة في باقي أصقاع الدنيا، وكأن القضية وقعت اليوم، وكأن الذين

تورطوا بغصب فدك هم اخواننا السنة والفلسطينيون على وجه الخصوص ويجب في ضوء ذلك محاربتهم من اجل استرجاع الحق المغتصب! ان هناك من يطرح القضية بطريقة توحي للشيعي ان غصب اسرائيل لصحراء سيناء وهضبة الجولان وبيت المقدس، هي قضية خاصة بالسنّة، اما قضيتنا نحن الشيعة فهي قضية غصب فدك، على الفلسطينيين ان يقاتلوا اسرائيل لاسترجاع أرضهم المغتصبة وعلى الشيعة ان يقاتلوا الفلسطينيين لاسترجاع فدك!

ليس من باب الصدفة إذن، ان ينبري أحد دعاة الجهاد من اجل تحرير فدك في مدينتنا (سبزوار) فيرفع دعوى قضائية ـ مستخدماً الاستمارة التي توزّعها المحاكم الرسمية لأصحاب الشكاوى ـ وذلك ضد أبي بكر مطالباً باسترجاع جميع بساتين فدك مع مبالغ اجارتها لمدّة الف وثلاثمئة وثمانين عاماً، والمدّعي هو السيد حسين الواعظي السبزواري احد الورثة القانونيين للمتوفى! وقد قام بتسليم الدعوى الى محكمة سبزوار، وبالكليشة أدناه:

المدّعي	المدّعى عليه	موضوع الدعوى
السيد حسين الواعظي	أبو بكر بن ابي قحافة	مزرعة فدك

نعم يجب علينا ان لا نسكت على مثل هذه الأمور. يجب على الكتاب المنصفين والمثقفين الواعين الذين يشعرون بالمسؤولية تجاه اخوانهم المسلمين والمدركين لحقائق الاسلام والواقع الذي يعيشه المسلمون الآن ـ عليهم ان ينبّهوا شعوبهم الى الأخطار الحقيقية التي تحيق بالعالم الإسلامي وتهدد عقائد المسلمين ووجودهم، ويحذّروهم من مخططات ودسائس الأعداء ويميطوا اللثام عن أعمال الطابور الخامس ومحاولاته المحمومة لايجاد الفرقة وبث الاختلاف واثارة النعرات الطائفية البغيضة. يجب ان يكشف النقاب بشجاعة وتضحية واخلاص عن عملاء

العدو في الداخل من امثال عبدالله بن أُبيّ وكعب الأحبار وسواهم من وجوه الختل أو النفاق، وممّن تلبّسوا بلباس العالم والواعظ والفقيه والمؤرخ والمفسّر السنّي وادّعوا لأنفسهم ـ زوراً ـ مقام الدفاع عن السنة النبوية والاسلام الأصيل، وهم في الحقيقة رجالات التسنن الأموي وابواق الصهيونية الذين ما فتئوا يؤلّبون المسلمين على اخوانهم الشيعة وينثرون بذور الحقد والعداء في قلوبهم.

على العلماء المخلصين من السنّة ان يفنّدوا هذه المزاعم ويدفعوا هذه الشبهات التي تثار ضد اخوانهم من الشيعة، وليقولوا لأبناء جلدتهم ان الشيعة هم من صلب الاسلام ولا غير، ليسوا اعداءً للمسلمين ولا حلفاء للصهاينة، وليقولوا لهم ان النواصب والوهابيين هم ورثة فقهاء ووعاظ البلاط الأموي، وان علماء السنة الحقيقيين لهم رأي بالشيعة يختلف تماماً عن الافتراءات والاتهامات التي يختلقها هؤلاء المغرضون. أما الكتب التي تطبع هنا وهناك لتنال من الشيعة وتنتقص منهم مثل كتاب (الخطوط العريضة) والبحوث التي تعدّ لإثبات جواز او عدم جواز زواج المرأة المسلمة من الرجل الشيعي، انما يؤلفها أشباه العلماء والكتاب المغرضون الذين يطبعون ويوزعون آلاف المنشورات التي تنال من الشيعة في مواسم الحج، ويناقشون هذه الأيام (نهج البلاغة) ويتهجّمون عليه في الاذاعة والتلفزيون ويتهمون الشيعة بأنهم ضد القرآن والسنة واعداء لجميع الصحابة وزوجات النبي وينكرون الحج والصلاة والتوحيد ويؤلّهون عليّاً ويعبدون الأضرحة ومراقد الأولياء، هؤلاء هم ابواق الصهيونية وان ارتدوا زيّ العلماء والخطباء والوعاظ والقضاة والأئمة والمفسّرين.

على العلماء الواعين المنصفين من اهل السنّة أن يوضحوا هذه الحقائق لأقوامهم لكي لا يقعوا في شراك الأعداء وينشغلوا عن معاداة اليهود والنصارى

الذين تسلّلوا الى عقر دار المسلمين بمعاداة اخوانهم الشيعة، وعليهم ان يطلقوا عنان ألسنتهم واقلامهم الرشيدة والمسؤولة لتمزيق الأقنعة التي يختبيء وراءها أحفاد كعب الأحبار ليبثّوا سموم مذهب (بن غوريون) بلسان الواعظ والمبلّغ والفقيه الحنفي أو الشافعي أو الحنبلي أو المالكي، يجب ان يتمّ اطلاع عوام السنّة على حقيقة المذهب الشيعي وحقيقة علمائها الصادقين ويقال لهم ان الشيعة ليسوا اعداء الاسلام ولا الايرانيين هم روافض المجوس واليهود، وان صحاحكم الستة التي تعتزّون بها كَتَبها جميعاً شخصيات ايرانية مسلمة. وأن رؤساء مذاهبكم إما ايرانيون أو تلامذة عند ايرانيين، وان الشيعة قد قدّموا اعظم الخدمات للاسلام في حقول الفقه والتفسير والتاريخ والفلسفة والحضارة. وان علماء السنة الواعين يكنّون الاحترام والتقدير للشيعة ومذهبهم، فهذا عبد الرحمن بدوي من أكابر المحققين السنة يعتبر النهضة الشيعية أساس النهضة المعنوية في الاسلام، الباحثة عن الحقيقة في العمق! كما ان الشيخ شلتوت المفتي الأعظم والمرجع الروحي الرسمي لأهل السنّة يفتي بان المذهب الشيعي مذهب رسمي في الاسلام ويجيز لأبناء العامة التعبّد بأحكامه الفقهية!

عرّفوا العالم الاسلامي بأن الأصول العقائدية للشيعة باتت في هذا العصر الذي تجلّت فيه الحقائق وضعفت الأحقاد والضغائن، باتت مورد قبول كل الكتاب المرموقين في العالم السنّي من امثال طه حسين وعباس محمود العقاد وعبدالرحمن بدوي وجودة السحّار وبنت الشاطيء والغزالي وغيرهم، بل قبلها حتى العلماء غير المسلمين من العرب نظير جورج جرداق والكتاني وجبران خليل جبران وجرجي زيدان ونحوهم... هؤلاء يقولون بأن التشيّع العلوي ليس مشركاً ولا مخالفاً للقرآن ولا سبّاباً ولا فحاشاً ولا يعبد القبور، وان هذه مجرد تهم

وافتراءات اختلقها التسنن الأموي، والشيعة منها براء، التشيّع العلوي ليس سوى الاسلام الحقيقي، الإسلام من دون أجهزة الخلافة والجور والظلم والتمييز العنصري والكذب والبدعة والنفاق، التشيّع هو الإسلام بعينه! الاسلام الذي يرفض التاريخ حرصاً على حقيقة الاسلام التي شوّهها وعاظ السلاطين، التشيّع لا يريد سوى أن يأخذ الاسلام من منبعه الصافي متمثلاً بأهل البيت عليهم السلام وليس من أجهزة الخلافة ومن يدور في فلكها من العلماء والانتهازيين.

ويجب كذلك على علماء ومفكري الشيعة المدركين لمعنى الاسلام ومغزى التشيّع وحقيقة علي؛ كيف يفكر كيف يعمل وماذا يقول وما هو الطريق الذي ينتجهه وما هو الهمّ الذي يحمله، وما هو دور اهل البيت ؛ علي وفاطمة والحسنين وزينب والائمة الآخرين، وأنهم يحملون رسالة واحدة ويهدفون الى غرض واحد هو تلقين الاسلام الأصيل للأمة. على هؤلاء العلماء الشيعة الذين يدركون الواقع المحيط بهم ويفهمون حقيقة الاستعمار والصهيونية، وما هي الصورة التي رسمها التسنن الاموي عن الشيعة في اذهان المسلمين، على هؤلاء العلماء ان يبيّنوا للناس ان الاشخاص الذين رفعوا لافتة عليّ واهل البيت والمهدي الموعود وكربلاء وغصب الخلافة... انما يلعبون بين اوساط الشيعة نفس الدور القذر الذي يلعبه رجالات التسنن الأموي بين الأوساط السنية، وانهما وجهان لعملة واحدة!

يجب ان يوضحوا للعالم بأسره ان اجهزة دعاية التسنن الأموي تستغلّ الأقاويل والمزاعم التي يتشدق بها رجالات التشيّع الصفوي والعلي ـ اللهية والشيخية والصوفية والاسماعيلية، للإساءة الى كل الشيعة وتشويه صورتهم عند اخوانهم السنّة، وفي المقابل فان اجهزة دعاية التشيّع الصفوي تفعل الشي ذاته فتقتنص اقاويل ودعاوى ومزاعم النواصب والوهابيين وتلصقها باسم السنّة جميعاً.

على العلماء الواعين والمفكرين الملتزمين أن يقوموا بفرز هذه الأوراق المخلوطة عمداً ويجنّبوا الناس خطر الوقوع في هذه المتاهات، ويصرّحوا لهم بأن من يحكمون اليوم بأن هذا شيعي وهذا سنّي! وان الفلسطينيين هم اعداء اهل البيت، وان اسرائيل ـ عند الشيعة ـ افضل من الفلسطينيين وان كل من يدعو الى الوحدة بين المسلمين فهو مخالف لأهل البيت وعدوّ لولايتهم... هؤلاء يجب ان يكشف النقاب عن حقيقتهم ويقال للناس انهم لا يمثلون الشيعة بأي وجه وان ارتدوا لباس العالم الشيعي واختاروا هندامه! إنهم أتباع نفس ذلك الخط الذي يقرأون تعزية فدك لصالحه! ويشكرونه لأنه وهب فدك لأهل البيت، ومن ثم يقبضون أجرهم الجزيل وتتحسن اوضاعهم المعاشية بشكل كامل وملحوظ بين عشية وضحاها، هؤلاء دخيلون على الحوزة العلمية وعلماء التشيّع ومراجعه الحقيقيين...

يجب ان يقال للمسلمين جميعاً ان فكرة الاتحاد بين المسلمين هي من إبداع الشيعة انفسهم، وان علماء الشيعة كانوا وما زالوا ينتهجون هذا السبيل ويستمرون عليه بخطىً جريئة وواثقة.

يجب على هؤلاء ان يبيّنوا للشيعة ان آية الله البروجردي مرجع الشيعة الكبير هو صاحب الخطوة الأولى نحو التقريب بين المذاهب، حتى انه بعث ممثلاً عنه ودعم تشكيل مؤسسة «دار التقريب بين المذاهب» ومؤسسها عالم شيعي ايراني هو الشيخ محمد تقي القمي الذي بفضل جهوده صدرت الفتوى الشهيرة للشيخ شلتوت في الاعتراف رسمياً بالمذهب الشيعي في الوسط السنّي، وبالذات في جامعة الأزهر، تلك الفتوى التي عمل التسنن الأموي فيما بعد على محو آثارها مثلما حرص التشيّع الصفوي على مسحها من الأذهان، وكان للهجوم الاسرائيلي

دور ايضاً في احباط هذه المحاولات للتقريب ليحلّ مكانها دعوات الفرقة والتناحر خدمة لأهداف الصهيونية...

لابدّ من تدوين الحقائق المتعلقة بالمساعي والجهود المخلصة التي يبذلها علماء كبار من الشيعة لمواجهة مخططات التشيّع الصفوي وبرامجه الاعلامية المغرضة والهادفة الى بث سموم الفرقة في الوسط الشيعي. يجب ان يتمّ إفهام الجميع بان العقائد المنحرفة من قبيل عبادة عليّ والمراقد والأضرحة هي من معالم التشيّع الصفوي وخصائص هذه الفرقة. وإلّا فان علماء التشيّع لهم فتاواهم الصريحة والواضحة في هذا المجال. ويتفقون في الرأي على ان عبادة غير الله والاعتقاد بان غيره مؤثر في الوجود والطواف حول غير الكعبة وحتى المحبة لغير الله هي من مظاهر الشرك بالله تعالى.

والذين يقولون بان اسرائيل لدينا افضل من الفلسطينيين صادقون فيما يقولون لأنها كذلك عندهم وليس عند الشيعة. هؤلاء ليسوا سوى ابواق اعلامية لاسرائيل وببغاوات يردّدون ما يلقن إليهم من قبل رجالات التشيّع الصفوي. اما فتوى علماء الشيعة الحقيقيين فهي تعكس بصراحة موقفهم من اسرائيل والفلسطينيين. لقد أفتوا بتحويل مبالغ الحقوق الشرعية الى الفلسطينيين دعماً واسناداً لهم في المعركة غير المتكافئة التي يخوضونها مع اسرائيل. انهم يفتون بذلك نيابة عن الإمام المعصوم ويصرّحون بموقفهم هذا دون تردد أو محاباة!

أما السبّ والشتم والتعرض للآخرين والصاق تهم الشرك والكفر وخباثة المولد بصحابة النبي. فهي من مميزات منطق التشيّع الصفوي شأنه في ذلك شأن قرينه التسنن الأموي! ان منطق التشيّع العلويّ واضح جداً بشأن الصحابة واهل السنّة والأمثلة على ذلك كثيرة. كتاب (النقض) موجود منذ الف سنة الى الآن. كتب

الشيخ كاشف الغطاء والسيد شرف الدين والسيد محسن العاملي وغيرهم وهي متناول يد الجميع، وليس فيها شيء سوى النقد العلمي والتحليل التاريخي المهذّب الرصين، وفيها يصرّح بأن الاقتتال بين السنة والشيعة يحصل في الداخل كلما كان هناك عدو خارجي يتربّص الدوائر بالمسلمين. (هذا العام نشبت نزاعات الدموية بين السنة والشيعة في باكستان، وعلى الجانب الآخر أثيرت قضية تحريف القرآن والتحالف مع اليهود).

ان الاختلاف بين التشيّع العلوي والتسنن المحمدي ليس اكثر من الاختلاف بين عالمين وفقيهين من مذهب واحد حول مسألة علمية. يجب ان يعلم المسلمون ان جميع مراجعنا العظام صرّحوا رسمياً بان القرآن ليس فيه حتى كلمة واحدة محذوفة او مضافة، وكل من يعتقد غير ذلك فهو ضالّ ومنحرف، وما هذه الأقاويل إلا من صنع رجالات التشيّع الصفوي ليقدّموا بذلك ذرائع وحججاً للطرف الثاني في اللعبة وهم رجالات التسنن الأموي ليقمعوا الشيعة بمثل هذه الاتهامات والافتراءات ويشوهوا سمعة الشيعة في عالم اليوم، وينسفوا كل الخدمات والتضحيات الجسام التي قدّمها الشيعة على الصعيد الفكري والعملي والجهادي لخدمة الإسلام واحكامه السمحاء ويشوّشوا على الذكر الحسن الذي يتمتع به علماء التشيّع الحقيقيون في نفوس المسلمين ويُبدِلوه بأحقاد وضغائن وعقد نفسية ويحذّروننا من بعضنا لكي لا نتحذّر من شيء آخر اسمه الاستعمار! ويعبّئون قوانا في مواجهة بعضنا البعض لكي لا نهمّ بمواجهة اسرائيل، ويوقعون بيننا لكي ننسى اين هي الجهة الحقيقية التي ينبغي ان نشهر بوجهها السلاح!

ليس من الصدفة ان تُؤتي كل هذه الإثارات والمجادلات والأحاسيس المتفجرة نتيجة واحدة يتفق التشيّع الصفوي والتسنن الأموي على إصدارها بنفس

الصيغة مع اختلاف طفيف بالموارد والجزئيات!

فمن الجهة الأولى يفتي (الروحاني) الأموي بانه ثبت لجميع المسلمين بأن الشيعة اسوأ من اسرائيل! ومن الجهة المقابلة يفتي (الروحاني) الصفوي بانه ثبت لدى جميع المؤمنين بأن السنّة أسوأ من اسرائيل!

ولا ريب ان محصلة الجمع الرياضي المنطقي بين هاتين المعادلتين هو الخروج بنتيجة مفادها ان اسرائيل افضل من كل المسلمين!

ولك ان تخمّن كم من الأموال انفقت من اجل اصدار فتوى كهذه وعلى لسان المسلمين انفسهم وعبر ممثّليهم الرسميين!

وهاهنا يتبيّن الحكمة في اصرار التشيّع العلوي على عدم جواز التقليد في اصول الاعتقاد وحرمة التقليد في المسائل العقلية، وان على كل امرىء ان يفحص ويحقق للوصول الى النتيجة بمقدار ما يتاح له ذلك بحسب مقدرته العلمية وطاقاته الفكرية والذهنية. التقليد ليس سائغاً إلا في المسائل الفنية ذات التخصص الفقهي وفي فروع الاحكام العملية، وهذا الطراز من التقليد لا يخلّ بمنطق العقل والاستدلال والتفكير الحرّ المستقلّ. لانه ليس تقليداً عقلياً بل تقليد فني واختصاصي، من قبيل التقليد الذي أقُدم عليه حينما أسأل عاملاً في ورشة سيارات حول اسباب عطل السيّارة وكمية الزيت اللازم لإدامة محركها، ومن قبيل التقليد الذي يلجأ إليه المريض حينما يسأل طبيبه الذي انتخبه لعلاج مرضه بعد ان رجّحه بعقله وتشخيصه على غيره من الأطباء تبعاً لشهرته العلمية وطول تجربته العملية، والتقليد بهذا المنظار يعدّ من مميزات المجتمع المدني. وكلّما كان المجتمع متحضراً اكثر كانت الحاجة الى التقليد فيه اكثر إلحاحاً وأوسع مجالاً، ومن المؤكد ان الإنسان الذي يعيش اليوم في المدن الكبيرة ـ لا محالة ـ يزاول التقليد بدرجات

أكبر من الانسان القاطن في القرى والأرياف لأن حاجة الأخير أقلّ بكثير. ويشبه ذلك ان المسافر في طائرة نفاثة او سفينة فضائية يجد نفسه ملزماً باتباع توجيهات قائدها اكثر من الإلزام الذي يشعر به من يسافر على عربة خيل! إن الخطر يكمن في التقليد العقلي والفكري، لأن ذلك عامل من عوامل انهيار العقل وانعدام الوعي والشعور ونفي انسانية الانسان ،وذلك لأن الانسان عبارة عن كائن له خصيصتان هما (العقل والاختيار)، والتقليد من شأنه ان يقتل هاتين القابليتين في نفس الإنسان، ويحوله الى قرد أو ببغاء! وهكذا فان التقليد الذي يعتبر على نطاق التشيّع العلوي عامل نضج فكري، هو في نطاق التشيّع الصفوي عاملٌ يساعد على تحويل البشر الى انعام واغنام.

الله ورسوله وإمامه عندما يتحدثون مع الناس يمنحونهم شأناً وحرمة وكرامة حتى ان الله عندما يريد ان يصدر حكماً للإنسان يبيّن له علّته وفلسفته والنتيجة التي سوف يسفر عنها. اما الصفويون فيعتبرون الناس عوامّ كالأنعام ويتعاملون معهم على هذا الأساس!

أسألُ أحدهم: أخي! لماذا لا تحضر في المحفل الفلاني؟ يقول: ان (الآقا)[1] أمرني بعدم الذهاب، أقول له لماذا؟

يجيب: لأن (الآقا) يقول انهم هناك يشجعون على استماع الموسيقى، وولايتهم ضعيفة، وثمة نساء يأتين بلا حجاب، وأساساً ليس من المصلحة الذهاب هناك!

أسأله: انك كنت تأتي هنا وتعرف كل شيء حول البرامج والأشخاص

---

(١) اصطلاح يطلق عادة على الشخصية الدينية الموقرة، وتعني لغوياً (السيّد).

الموجودين، فهل صحيح ما يقوله (الآقا)؟ يجيب: كلا، في كل المرات التي أتيت بها في السابق لم الاحظ اي مظهر من مظاهر الانحراف وكنت احب المجيء هنا كثيراً. اقول له: هل رأى (الآقا) شيئاً مما يقول؟ وما هي البرامج او المطبوعات أو المحاضرات التي ألقيت في هذا المكان وأثارت سخط الآقا؟ ثم هل من الانصاف الحكم بشكل قاطع وشمولي على مؤسسة كاملة استناداً الى محاضرة او محاضرتين ومقالة او مقالتين؟!

يجيب: كلا، فالآقا لم يطّلع على اي من البرامج او الكتب والمطبوعات التي تصدر عن المؤسسة ولا يعرف احداً من الاشخاص المشرفين عليها والعاملين فيها! اقول له: فلماذا اذن لا يشرّفنا الآقا بحضوره يوماً ليطلع عن كثب على حقائق الأمور، ومن ثم يصدر أحكامه ـ ان شاء ـ بشأن المؤسسة، واذا رأى خللاً او اشكالاً فليتفضل علينا بالتوجيهات اللازمة، واذا لم ينفع ذلك في ردعنا، فليأمر أتباعه ومريديه بعدم الحضور فيها؟ يجيب ان الآقا لا يحضر أساساً في مثل هذه الأمكنة!

أسأله: إذن كيف يسوّغ الآقا لنفسه إصدار حكم قاطع كهذا حول المؤسسة او الكتاب الفلاني او المحاضرة الفلانية؟ يقول: ثمة اشخاص يلتقون بالآقا أو يبعثون إليه رسائل تستنكر برامج المؤسسة، ولذا أمرنا بعدم الذهاب إليها! أقول له: هؤلاء الأشخاص من اي صنف هم؟ هل هم من الصنف السالم والعالم؟ وعلى الأقل هل حضر هؤلاء بأنفسهم ورأوا وسمعوا بما يجري هنا؟

يقول: كلّا! ولكنّهم اشخاص خيّرون ولهم في السوق وجاهة واعتبار، يصلّون ويصومون ويدفعون الحقوق الشرعية، وبالتالي هم اشخاص صالحون متدينون ولا يمكن ان يكذبوا! اقول: يعلم من خلال ذلك انهم اشخاص (سالمون)،

فكيف نعرف انهم (عالمون)؟ يقول: (والله) ليس لديّ اطلاع بهذه القضايا وقد قلت ذلك افتراضاً. ولعلّ الآقا له اساليب وطرق أخرى تمكّن من خلالها من معرفة ما يجري هنا أو أخبره أناس ثقاة! اقول: نفرض ان كل هذا صحيح، إلّا انك قد جئت بنفسك الى هنا ورأيت الأمور عن كثب وتعرف بأن ما نُقل للآقا ليس بصحيح، فلماذا تقبل بحكمٍ يصدره إنسان غير مطلع على مؤسسة انت مطلع على تفاصيلها؟ يقول باستغراب: ويحك! وهل تريد مني ان اخالف أمر الآقا؟! أقول له: كلّا! ولكن ألم يكن بوسعك الذهاب الى الآقا واطلاعه على حقيقة الأمر، وان الأخبار التي نقلت إليه حول المؤسسة غير دقيقة لأنك تحضر فيها بشكل دائم ولم تر ولم تسمع بأي مظهر من المظاهر الانحرافية التي نقلت الى الآقا بهدف تشويه سمعة المكان في ذهنه؟ يقول: لم لا؟! ذهبت عدة مرات الى الآقا لهذا الغرض، لكنني في المرة الأولى فوجئت بمجموعة من الأشخاص قد حضروا قبلي وكانوا يؤلبون الآقا بشدة ضد الكتاب والمؤسسة ويقولون له: أخبَرَنا فلان بان المؤسسة فيها كذا وأيّده فلان حول الكتاب، وهذه القضية أصبحت مشهورة ومتواترة والكل يتحدث بها وكذا وكذا...

وقد رأيت ان الآقا تأثر بشدة بكلامهم وتجهّم وجهه، فلم أرَ من الصالح الحديث معه بهذا الشأن، وفي المرة الثانية ـ ولا أعلم ماذا كان قد حصل قبل وصولي ـ فاجأني الابن الاكبر للآقا بالقول ان الآقا لا يرى مصلحة في التحدث بشأن هذا الموضوع الآن! ولكن في المرة الثالثة حصلت فرصة لعرض الموضوع على الآقا ولكن بسبب ارتباكي لم اكن موفّقاً في طرح الموضوع بشكل يليق بشأن الآقا وقد ندمت بعدها. قلت للآقا: ثمة تصورات لدى حضرتكم حول المكان والكتاب الفلاني وقد رأيت ان واجبي يحتمّ عليّ ان أفيد جنابكم ان البعض قد أفاد جنابكم بشيء هو خلاف الواقع، وقد حاولت في المرة السابقة ان افيد جنابكم

بذلك لكني فوجئت بأن أناساً آخرين كانوا يفيدون جنابكم. لذا رأيت من الصالح أن لا أفيد جنابكم...!!

فجأة، قاطعني الآقا بعصبية: لقد أفاد جنابي بذلك أشخاص موثّقون وانا اعتمد عليهم!

ـ تلعثم لساني ولم أعرف ما أقول فانحنيت وقبّلت يد الآقا وانصرفت قاطعاً للآقا عهداً على نفسي بأن لا ارتاد هذا المكان بعد اليوم ولا أطالع الكتاب!!...

وأخبرني صديق آخر لي وكان عالماً من علماء (التشيّع العلوي) بقضية يمكن ان تكون مثالاً نموذجياً من الناحية النفسية والاجتماعية لدراسة ماهية (التشيّع الصفوي) وذلك لأنها تتيح للباحث معرفة مستوى الانحطاط الذي يبلغه عقل الإنسان الذي يعيش في المناخ الصفوي بحيث ربما يصل من الناحية الفكرية والذهنية الى مستوى إنسان النيندرتال، ممّا يثير الاستغراب حول الآلية التي يتّبعها التشيّع الصفوي في غسل الأدمغة وتبخيرها!

قال صاحبي: ذات يوم كنت مارّاً في مسجد (گوهرشاد) بمشهد، فاعترضتني سيّدة يبدو انها فهمت من خلال الزيّ الذي أرتديه انني أحد رجالات التشيّع الصفوي، فطلبت مني ان آخذ لها (استخارة)! ونزولاً عند رغبتها، اخرجت السبحة من جيبي واتجهت صوب القبلة وبدأت أتلو بعض الأذكار كمقدمة للاستخارة، غير ان السيّدة فاجأتني بالقول: أيها الآقا! قلت: نعم، أختي! قالت: لو تفضّلت بالنيّة أيضاً بدلاً عنّي!

لاحظوا ان (الآقا) في المذهب الصفوي يقوم بنفسه بكل الأشياء، هو ينوي وهو يستخير! واما المريد والمقلّد له فهو بازائه ذليل وضيع الى درجة فقدانه حتى خصوصياته الإنسانية الطبيعية، فيكون مستعداً للانقياد الأعمى لرأي الآقا حتى في

الموارد التي تكون خبرته فيها اكثر من خبرة الآقا، بل قد يكون هو يلمسها ويشاهدها بأم عينه بينما الآقا ليس لديه أدنى اطلاع بها إلّا ما يسمعه عنها من عوامّ الناس ووكالة (قالوا)!. مع ذلك فانّ المريد يستخفّ بعقله وبامكانياته الحسيّة ويسلّم لآقاه تسليماً مطلقاً، ومن هنا يفهم المعنى العميق الذي يستبطنه قوله تعالى: ﴿اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله﴾[1].

وحيث نعلم تاريخياً ان اليهود والنصارى لم يعبدوا علماءهم في أي من المراحل الزمنية، فان تفسير الآية يعطي معنىً آخر يشير إليه القرآن بكلمة (أرباب) والأرباب جمع ربّ والربّ يعني هنا السيّد والآقا في مقابل العبد والمملوك!

واما اصطلاحات (المريد) و(المراد) و(الارادة) فهي تعابير تمثل هذا الثلاثيّ المكوّن من الآقا والعبد والعلاقة بين الاثنين في مذهب عبادة الذوات والآقاوات:

أ ـ في التراث الايراني القديم ثمة تعبير للشاعر الفردوسي يقول فيه (كلّنا مماليك وأتباع لخسرو) وقد بلغت تلك التبعية والتقليد ـ حد يصفه الشاعر سعدي بالقول (إذا قال ـ (السيّد) ـ للنهار انه ليل يجب عليه ـ أي العبد ـ ان يقول ما أحلى القمر)!

ب ـ في التراث الصوفي، تعدّ العبودية هي الخطوة الاولى في السلوك، وعلى السالك ان يمعن في التقليد والتبعية للشيخ (الروحاني) الى الحدّ الذي يصفه الشاعر حافظ الشيرازي بالقول:

اذا قال لك الشيخ ان الخمر سجادة ملونة فصدّقه!... لأن السالك ينبغي له ان يكون جاهلاً حتى بالصور والأشكال

ج؛ وفي الحركات الوطنية والقومية، يوجد أيضاً ميل عام نحو تمجيد

(١) التوبة: ٣١.

الأشخاص وتعظيمهم، وعادة ما يتجلّى ذلك في صورة (القائد) و(الزعيم) الذي لا مثيل له ولا بديل، ومن ثم ينظر اليه على أنه يمثل الشعب بأسره وان آمال وتطلعات وضمير الأمة تتجسم في شخصيته التي سوف تُمنح مزايا استثنائية خارج اطار الوضع الطبيعي للبشر.

وعندما يُشيد ابناء الشعب بهذا (القائد) فكأنهم يشيدون بأنفسهم وينفّسون بذلك عن الشعور الاستعلائي الموجود في وجدانهم تجاه غيرهم من الأقوام والأمم. وأوضح نموذج لهذه الحالة في عصرنا الحالي هما النازية في ألمانياوالفاشية في ايطاليا.

من هذا المنطلق تحوّل وتبدّل التشيّع الذي كان يمثل في الجانب العلوي منه حقيقة التوحيد المطلق والاسلام الأصيل وكان عليّ فيه مرآةً لتجلّي العبودية المطلقة لله، واصبح الناس في البعد الصفوي منه رعايا ومماليك لأقاوات الدين والدنيا، وتشكلت منهم علاقة ثلاثية مؤلفة من العناصر الثلاثة التي قامت الحركة الصفوية على اساسها وهي: السلطنة والتصوف والقومية، لتجتمع في اطار واحد هو (التشيّع الصفوي) وفيه يعبد الناس ثلاثة اشياء: (الله) و (ظلّ الله) و (آية الله)!

الحديث طويل والوقت قليل والامكانيات اقلّ! واعتقد ان مجرد اطلاع أبناء الجيل الجديد ممّن لديهم وعي واحساس بالمسؤولية على حقيقة المصائب التي ألحقت بنا وبديننا ومجتمعنا وحضارتنا، هو كافٍ لإشعارهم بحجم المسؤولية التي يتعيّن عليهم النهوض بأعبائها ولكي يدركوا ان وراءهم طريقاً طويلاً يحتاج الى همة عالية وبذل مزيد من الجهود والتضحيات.

وختاماً، سوف أحاول تلخيص نتائج هذا البحث في رؤوس أقلام أؤشر من خلالها على الفوارق المبدئية والمنهجية بين التشيّعين المتشابهين في الشكل والمتناقضين في المحتوى والمضمون:

التشيّع العلوي

الوصاية: هي توصية من النبي بأمر من الله لتشخيص الفرد الأصلح طبق معياري العلم والتقوى.

الإمامة: القيادة الثورية النزيهة الهادفة لهداية الناس وبناء المجتمع بناء سليماً والارتقاء به الى مستوى الطموح والنضج والاستقلال وتربية (الانسان المافوق) لكي يمثّل التطبيق الحسّي للدين ولكي يتسنّى للآخرين التأسّي به والاقتداء بسيرته.

العصمة: الايمان بنزاهة وتقوى روّاد المجتمع على الصعيد الفكري والاجتماعي وكونهم أئمة مسؤولون عن صيانة ايمان الناس وقيادتهم بالعدل ونبذ الظلم والخيانة والتبعية لعلماء الفساد وعملاء الاجهزة الحاكمة

الولاية: وتعني المحبة والقيادة وقبول حكومة عليّ وأتباع عليّ دون غيرهم،

التشيّع الصفوي

الوصاية: هي قاعدة تنصيب وراثي وسلاليّ للحكم على أساس العنصر والقرابة.

الإمامة: هي الاعتقاد باثني عشر إماماً معصوماً مقدساً من عالم (ما فوق الإنسان) وهم الوسيلة الوحيدة للتقرب الى الله والتوسل به والاستشفاع إليه، وهم اثنا عشر ملاكاً غيبياً يلعبون دور الآلهة الصغار ويدورون حول إله السماء الأكبر.

العصمة: وهي تعبر عن وجود ذوات استثنائية وموجودات غيبية ليس من صنف البشر المخلوق من الطين، وليس بوسعهم ارتكاب المعاصي والأخطاء، والايمان بان المعصومين الأربعة عشر هم جميعاً كذلك. وبالتالي فان الخيانة والظلم من غير هؤلاء المعصومين تعدّ امراً وارداً ولا محيص عنه!

الولاية: الاقتصار على حبّ عليّ والتهرب من كافة المسؤوليات وذلك

وحب علـيّ لأنـه المثال الأسمى للعبودية، ولأن قيادته للمجتمع ستكون مصباح النجاة، ولأن حكومته كانت وما تزال تمثل أمل الانسانية.

كفيل بضمان الفوز بالجنة والنجاة من النار. مضافاً الى الاعتقاد بان الولاية ليست من شؤون الناس والمجتمع بل هي شأن إلهي له صلة بخلق الكائنات وادارتها.

الشفاعة: هي سبب لكسب استحقاق النجاة.

الشفاعة: طريق لنجاة غير المستحق!

الاجتهاد: سبب لبقاء الدين متحركاً وحيّاً ونابضاً في مختلف الأزمنة ومواكباً لحركة التاريخ وتكامل الرؤية الدينية ومواءمة تحولات النظم الاجتماعي البشري.

الاجتهاد: عنصر تحجر وجمود وحيلولة دون التقدّم والتطور والتجديد، وأداة للتكفير والتفسيق وشجب وادانة لكل تحرك جديد او كلام جديد او اسلوب جديد في فهم الدين ونظم الحياة على الاصعدة الفكرية والعلمية والاجتماعية وغيرها.

التقليد: علاقة طبيعية ومنطقية بين العالم والجاهل والمتخصص وغير المتخصص في مجال الاحكام القضائية والشرعية ذات الطابع الفني التفصيلي.

التقليد: وهو الطاعة العمياء والتبعية المطلقة لـ(الروحاني) في قناعاته وتصرفاته وفتاواه وبالتعبير القرآني عبادة الأحبار والرهبان.

العدل: وهي عقيدة أن الله عادل وان نظام الوجود قائم على اساس العدل

العدل: هو بحث علمي في باب الصفات الإلهية يرتبط بما بعد الموت

وكذلك نظام المجتمع والحياة، وان الظلم والتمييز هو مظهر غير طبيعي ويتنافى مع الغرض الالهي، وان العدل هو احدى دعامتي المذهب وهو هدف الرسالة وشعار الاسلام الكبير.

الدعاء: هو نصّ تعليمي تربويّ يربّي الانسان على الفضائل، وهو ممارسة عملية تكسب الروح صفاءً ومعنوية وتعرج بها الى مقامات القرب الإلهي.

الانتظار: استعداد روحي وعملي واعتقادي للإصلاح والثورة على الوضع الفاسد، وقناعة راسخة بأن الظلم يزول وان الحق سينتصر لا محالة وان الأرض يرثها المستضعفون وأهل الصلاح.

الغيبة: تحمّل الناس أنفسهم لمهمة تحديد المصير وقيادة المجتمع معنوياً ومادياً، وانتخاب الفرد الأصلح ليقوم

وتوقع الكيفية التي سيحكم بها الله بين عباده يوم القيامة، ولا صلة له بما قبل الموت، فالعدل في هذا العالم هو مهمة الشاه عباس ومن لفّ لفّه. ما لله لله وما لقيصر لقيصر، والدنيا تقع ضمن دائرة سلطنة الشاه عباس، وليس لله سوى الآخرة.

الدعاء: هو مجموعة من الأوراد والأذكار، اذا حملها الإنسان أو تلاها تكفيه مؤونة السعي وراء رزقه وتحمل مسؤولياته، وتمنحه ثواباً وعطاء في الدنيا والآخرة دون الحاجة الى العمل او التفكير.

الانتظار: تلقين على الرضوخ والاستسلام للوضع القائم وتبرير لفساد الاوضاع ويأس من امكانية إصلاحها وادانة كل خطوة في هذا الاتجاه، والانتظار السلبي لظهور المصلح الكبير.

الغيبة: سلب المسؤوليات وتعطيل الأحكام الاجتماعية للإسلام والتملّص من مواجهة المسؤولية تحت

بمهامّ النيابة عن الإمام الغائب.	ذريعة عدم جدوى العمل والتغيير لان الامام هو الوحيد القادر على إصلاح ما فسد وكل ما سوى ذلك هباء. ولا يجوز العمل الا بحضور الامام، حيث انه غائب فلا مشروعية لكل شيء!

❊ ❊ ❊

التشيّع العلوي هو تشيّع الحب والمعرفة	التشيّع الصفوي تشيّع الجهل والمحبّة
التشيّع العلوي تشيّع السنة	التشيّع الصفوي تشيّع البدعة
التشيّع العلوي تشيّع الوحدة	التشيّع الصفوي تشيّع الفرقة
التشيّع العلوي تشيّع العدل	التشيّع الصفوي تشيّع العدل!
(العدل الاجتماعي في المجتمع والحياة)	(العدل الفلسفي لما بعد الموت)
التشيّع العلوي تشيّع السماء	التشيّع الصفوي تشيّع الاسم
التشيّع العلوي تشيّع الاقتداء	التشيّع الصفوي تشيّع المدح والثناء
التشيّع العلوي تشيّع الاجتهاد	التشيّع الصفوي تشيّع الجمود
التشيّع العلوي تشيّع المسؤولية	التشيّع الصفوي تشيّع تعطيل المسؤوليات
التشيّع العلوي تشيّع الحرية	التشيّع الصفوي تشيّع العبودية
التشيّع العلوي تشيّع ثورة كربلاء	التشيّع الصفوي تشيّع مصيبة كربلاء
التشيّع العلوي تشيّع الشهادة	التشيّع الصفوي تشيّع الموت
التشيّع العلوي تشيّع التوسل لأجل	التشيّع الصفوي تشيّع التوسل لأجل

التكامل	الخداع
التشيّع العلوي تشيّع التوحيد	التشيّع الصفوي تشيّع الشرك
التشيّع العلوي تشيّع الاختيار	التشيّع الصفوي تشيّع الجبر
التشيّع العلوي تشيّع نصرة الحسين	التشيّع الصفوي تشيّع ندب الحسين
التشيّع العلوي تشيّع الانسانية	التشيّع الصفوي تشيّع القومية
التشيّع العلوي تشيّع الامامة العلوية	التشيّع الصفوي تشيّع السلطنة الصفوية
التشيّع العلوي تشيّع الانتظار الايجابي	التشيّع الصفوي تشيّع الانتظار السلبي
التشيّع العلوي تشيّع تقية المناضل الشجاع	التشيّع الصفوي تشيّع تقية الخامل الجبان
التشيّع العلوي تشيّع (لا)	والتشيّع الصفوي تشيّع (نعم)!

الملاحق

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأعلام

فهرس أسماء الفرق والأقوام والطوائف

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الكتب والمصادر

فهرس الموضوعات

التشيّع العلوي و التشيّع الصفويّ

الامام، في السماء مع الله!

الامام في الأرض مع الخليفة!

الملاحق

إن حزني وألمي الوحيد, هو إنني لم أستطع أن أنهي أعمالي، بل إنني لم أستطع الإستمرار بها، وستبقى تلك غصة ماثلة أمامي، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن حزني وألمي على إن الكثير من أعمالي الرئيسية بقيت أسيرة زمانها، ومهددة بالزوال, وما نشر منها طبع على شكل مسودات مليئة بالأغلاط, وذلك لقلة الإمكانات وكثرة المشاغل.

يجب عدم النظر إلى أعمالي على إنها أعمال تحقيقة فحسب، بل يجب أن نتلقاها كصرخات - من شدة الألم والأسى - ودلائل بإتجاه الطريق وهزات من أجل الصحوة، ومشاعل على الطريق ونظرات كلية في إطار الدين ودعوة واحدة ورؤى، وأخيراً نوعاً من التعبئة الفكرية والروحية في المجتمع.

كل ذلك كتبته وأنا منفي وتحت ظروف ضاغطة، ومؤامرات محاكة، وفي حال كنت أنتظر فيها المصيبة في كل لحظة، لذلك يجب أن يعاد النظر في هذه الكتابات من الناحية العلمية والفنية، وتصحيح الأخطاء اللفظية والمعنوية وتطبع مرة أخرى، فهي ثمرة حياتي، وكل ما أتمنى، وهي كل وجودي وميراثي.

أن لطف الله وحرقة أوليائه للدين، جعلتني أتكلم في هذا السكوت المطبق في زمان أصبحنا نفقد فيه كل شئ فأمتنا تعاني من مسخ هويتها، وغديرنا العذب في حال الجفاف، وهذه منائرنا الشامخة بقيت بلا مدافع عنها أمام االهمجية والغوغائية، حتى أضحى من الصعب أن يجد كلامي طريقة بين آلاف الأحقاد والآلام التي تحيطنا إنني أستودعتك الله (الباحث الإيراني محمد رضا الحكيمي) وأستودعه هداية وتربية الناس الذين هم أعز من أولادي، وإنني بإنتظار مشيئة الله سبحانه وتعالى.

ISBN 9953-476-51-9

9 789953 476506

منشورات الأمير

بيروت. لبنان